٣٥٠ قصة
من قصص الصالحين

تأليف
صلاح الدين محمود السعيد

الناشر
دار البيان العربي



٣٥٠ قصّة

مِنْ قَصَصِ الصَّالِحِين

اسم الكتاب : ٣٥٠ قصة من قصص الصالحين

اسم المؤلف : صلاح الدين محمود السعيد

مقاس الكتاب : ١٧ x ٢٤

عدد الصفحات : ٢٦٤صفحة

عدد الأجزاء : جزء واحد

رقم الإيداع : ٢٢٦١٢/ ٢٠٠٦ م



دار البيان العربي

الأزهر / درب الأتراك ت: ٥١١٨٠٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١).

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١).

أما بعـــــــد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار.

وبعـــــــد:

فإن القصص وسيلة عظيمة من وسائل تربية الأمة وتثبيتها على الحق فبدلاً من أن تنشغل الأمة بالروايات والأكاذيب التى تبث فى وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية والتى تدعو إلى الفاحشة والرذيلة وهدم القيم والأخلاق، تنشغل بقصص القرآن والسنة وقصص الصالحين من هذه الأمة، ففى قصصهم أعظم العبر.

ومن أجل ذلك أسوق إليك أخى الكريم هذه المجموعة القصصية من حياة السلف الصالح سائلاً الله عز وجل أن ينفعنى والمسلمين بها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبـــــــه

أبو أنس / صلاح الدين محمود السعيد

١- أبو حنيفة والزنديق

«أرنى عقلك أرك الله»

جاء زنديق إلى الإمام أبى حنيفة، وقال: يا إمام: هل رأيت ربك؟.

قال الإمام: سبحان ربى، لا تدركه الأبصار.

قال الزنديق: فهل سمعته؟ هل أحسسته؟ هل شممته؟ هل لمسته؟.

فقال الإمام: سبحان ربى، ليس كمثله شىء وهو السميع البصير.

فقال الزنديق: إن لم تكن رأيته ولا أحسسته ولا شممته ولا لمسته فكيف ثبت أنه موجود؟.

فقال الإمام: هل رأيت عقلك؟. قال: لا.

قال الإمام: فهل أحسست عقلك؟. قال: لا.

فقال الإمام: فهل سمعت عقلك؟. قال: لا.

فقال الإمام: فهل لمست عقلك؟. فقال: لا.

فقال الإمام: أعاقل أنت أم مجنون؟ **قال الزنديق:** بل عاقل!.

فقال الإمام: فأين عقلك؟ **قال الزنديق:** موجود.

فقال الإمام: كذلك الله موجود، الله فوق كل شىء وليس تحته شىء، وهو فى كل شىء (بعلمه وإحاطته) لا كشىء فى شىء، وليس كمثله شىء وهو السميع البصير.

* * *

٢- «أسلم من فى الكنيسة على يديه»

كان أبو يزيد البسطامى نائمًا ذات يوم فرأى قائلا يقول له: اذهب إلى الدير لتدافع عن نبيك محمد ﷺ، فذهب ودخل الدير وجلس، فوقف البابا ليتكلم، وقال: لن أتكلم لأن بينكم رجل محمدى، فقالوا له: كيف عرفته؟ قال: لأن أصحاب محمد سيماهم فى وجوههم من أثر السجود.

فقام أبو يزيد لينصرف، فقال له البابا: إنى سائلك أسئلة إن أجبت عنها آمنا بدينك.

السؤال الأول: من الواحد الذى لا ثانى له؟

السؤال الثانى: ما الاثنان اللذان لا ثالث لهما؟

السؤال الثالث: ما الثلاثة التى لا رابع لها؟

السؤال الرابع: ما الأربعة التى لا خامس لها؟

السؤال الخامس: ما الخمسة التى لا سادس لها؟

السؤال السادس: ما الستة التى لا سابع لها؟

السؤال السابع: ما السبعة التى لا ثامن لها؟

السؤال الثامن: ما الثمانية التى لا تاسع لها؟

السؤال التاسع: ما التسعة التى لا عاشر لها؟

السؤال العاشر: ما العشرة التى لا حادى عشر لها؟

السؤال الحادى عشر: ما الأحد عشر التى لا ثانى عشر لها؟

السؤال الثانى عشر: ما الاثنا عشر التى لا ثالث عشر لها؟

السؤال الثالث عشر: ما الثلاثة عشر التى لا رابع عشر لها؟

السؤال الرابع عشر: ما الشيء الذى خلقه الله وأنكره؟

السؤال الخامس عشز: ما الشيء الذى خلقه الله وعظمه؟

السؤال السادس عشر: ما الشيء الذى تنفس ولا روح فيه؟

السؤال السابع عشر: ما القبر الذى سار بصاحبه؟

السؤال الثامن عشر: ما الشجرة المكونة من اثنى عشر غصنًا فى كل غصن ثلاثون ورقة فى كل ورقة خمس ثمرات؟

السؤال التاسع عشر: ما مفتاح الجنة؟

فأجاب أبو يزيد:

إجابة السؤال الأول: أما الواحد الذى لا ثانى له فهو الله عز وجل.

إجابة السؤال الثانى: وأما الاثنان اللذان لا ثالث لهما: فهما الليل والنهار، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ﴾ (الإسراء: ١٢).

إجابة السؤال الثالث: وأما الثلاثة التى لا رابع لها فهى أسئلة نبى الله موسى عليه السلام للخضر.

إجابة السؤال الرابع: وأما الأربعة التى لا خامس لها فهى الكتب السماوية الأربعة: الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن.

إجابة السؤال الخامس : وأما الخمسة التى لا سادس لها فهى الصلوات الخمس.

إجابة السؤال السادس : وأما الستة التى لا سابع لها فهى أن الله خلق السموات والأرض فى ستة أيام قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴾ (سورة ق : ٣٨).

فقال البابا : ولم قال : ﴿ **وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴾ **قال** : لأن اليهود زعموا أن الله خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام فتعب فاستراح فى اليوم السابع فقال : ﴿ **وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ** ﴾ أى من تعب.

إجابة السؤال السابع : أما السبعة التى لا ثامن لها فهى أن الله خلق سبع سموات قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا** ﴾ (نوح : ١٥).

إجابة السؤال الثامن : وأما الثمانية التى لا تاسع لها فهم حملة العرش قال تعالى : ﴿ **وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ** ﴾ (الحاقة : ١٧).

إجابة السؤال التاسع : وأما التسعة التى لا عاشر لها فهى معجزات موسى التسع قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ** ﴾ (الإسراء : ١٠١).

إجابة السؤال العاشر : وأما العشرة التى لا حادى عشر لها فهى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها.

إجابة السؤال الحادى عشر : وأما الأحد عشر التى لا ثانى عشر لها فهم إخوة يوسف.

إجابة السؤال الثانى عشر : وأما الاثنا عشر التى لا ثالث عشر لها فهى انفجار الحجر إلى اثنتى عشرة عينًا.

إجابة السؤال الثالث عشر : وأما الثلاثة عشرة التى لا رابع عشر لها فهم إخوة يوسف وأبوه وأمه.

إجابة السؤال الرابع عشر : الشى الذى خلقه الله وأنكره صوت الحمير، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ** ﴾ (لقمان : ١٩).

إجابة السؤال الخامس عشر : الشىء الذى خلقه الله وعظمه كيد النساء قال تعالى : ﴿ **إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ** ﴾ (يوسف : ٢٨).

إجابة السؤال السادس عشر : الشىء الذى تنفس ولا روح فيه فهو الصبح قال تعالى : ﴿ **وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ** ﴾ (التكوير : ١٨) أى أضاء

إجابة السؤال الثامن عشر: أما الشجرة المكونة من اثنى عشر غصنا فى كل غصن ثلاثون ورقة فى كل ورقة خمس ثمرات فهى السنة فيها اثنا عشر شهرًا فى كل شهر ثلاثون يومًا فى كل يوم خمس صلوات.

إجابة السؤال التاسع عشر: وأما مفتاح الجنة فهو: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فأسلم الجميع وقالوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

* * *

٣- القوة الخفية

هذا جعفر الصادق ناقشه أحد الزنادقة فى وجود الله تعالى، **فسأله جعفر**: هل ركبت البحر؟ **أجاب الزنديق**: نعم، **قال**: هل رأيت أهواله؟ **قال**: بلى هاجت يومًا رياح هائلة فكسرت السفن وأغرقت الملاحين فتعلقت أنا ببعض ألواحها ثم ذهب عنى ذلك اللوح فإذا أنا مدفوع فى تلاطم الأمواج حتى دُفعت إلى الساحل، **قال جعفر**: قد كان اعتمادك من قبل على السفينة والملاح ثم على اللوح حتى تنجيك، فلما ذهبت هذه الأشياء عنك هل أسلمت نفسك للهلاك أم كنت ترجو السلامة بعد؟ **قال**: بل رجوت السلامة، **قال**: فممن كنت ترجوها؟ فسكت الرجل.

قال جعفر: إن الصانع هو الذى كنت ترجوه فى ذلك الوقت وهو الذى أنجاك من الغرق.

* * *

٤- الوفاء العجيب

عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ: «أنه ذكر رجلاً من بنى إسرائيل سأل بعض بنى إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتنى بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فأتنى بكفيل، فقال: كفى بالله كفيلاً، قال: قد صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج للبحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يقدم عليه للأجل الذى أجله فلم يجد مركبًا فأخذ خشبة، فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجج موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أنى كنت تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألنى كفيلا فقلت: كفى با لله كفيلاً، وسألنى شهيداً، فقلت: كفى بالله شهيداً، وإنى قد جهدت أن أجد مركبًا أن أبعث إليه الذى له، فلم أقدر، وإنى استودعتكها فرمى بها فى

البحر، حتى ولجت فيه ثم انصرف، وهو فى ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التى فيها المال فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذى كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، وقال: والله ما زلت جاهدًا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبًا قبل الذى أتيت فيه، قال: فإن الله قد أدى عنك الذى بعثت به فى الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدًا» (أخرجه البخارى ٢٢٩١).

* * *

٥- ستر الناس

قال أحمد بن مهدى: جاءتنى امرأة ببغداد ليلة من الليالى فذكرت أنها من بنات الناس وأنها امتحنت بمحنة وسألتنى بالله أن أسترها، فقلت: وما محنتك؟ فقالت: أكرهت على نفسى، وأنا حبلى، وذكرت للناس أنك زوجى، وأن ما بى من الحبل منك، فلا تفضحنى، استرنى سترك الله، فسكت عنها ومضت، فلم أشعر حتى وضعت وجاء إمام المحلة فى جماعة الجيران يهنئوننى بالولد فأظهرت لهم التهلل ووزنت فى اليوم الثانى دينارين ودفعتهما إلى الإمام فقلت: أبلغ هذا إلى تلك المرأة لتنفقه على المولود فإنه سبب ما فرق بينى وبينها، فكنت أدفع كل شهر دينارين وأوصلها بيد الإمام وأقول: هذه نفقة المولود، إلى أن أتى على ذلك سنتان، ثم توفى المولود، فجاءنى الناس يعزوننى فكنت أظهر لهم التسليم والرضا، فجاءتنى المرأة ليلة من الليالى بعد شهر ومعها تلك الدنانير التى كنت أبعث بها بيد الإمام فردتها وقالت: سترك الله كما سترتنى، فقلت: هذه الدنانير كانت صلة منى للمولود وهى لك فإنك ربيته فاعملى فيها ما تريدين.

* * *

٦- حفظ الفرج

عن سليمان بن يسار أنه خرج من المدينة حاجًّا ومعه رفيق له حتى نزلا بالأبواب، فقام رفيقه وأخذ السفرة وانطلق إلى السوق ليبتاع شيئًا، وجلس سليمان فى الخيمة، وكان من أجمل الناس وجهًا وأودعهم، فبصرت به أعرابية من قمة الجبل فانحدرت إليه حتى وقفت بين يديه، وعليها البرقع والقفازان فكشفت عن وجهها له كأنه فلقة قمر وقالت: اهنئنى،

فظن أنها تريد طعامًا، فقام إلى فضلة السفرة ليعطيها فقالت: لست أريد هذا، وإنما أريد ما يكون من الرجل إلى أهله، فقال: حمقك الله.

ثم وضع رأسه بين ركبتيه وأخذ فى النحيب فلم يزل يبكى، فلما رأت منه ذلك سدلت البرقع على وجهها وانصرفت راجعة حتى بلغت أهلها، فجاء رفيقه فوجده يبكى فسأله فأخبره، فجلس رفيقه يبكى بكاءً شديدًا، فقال سليمان: وأنت ما يبكيك؟ فقال: أنا أحق بالبكاء منك لأنى أخشى أن لو كنت مكانك ما صبرت.

فلما انتهى سليمان إلى مكة سعى وطاف ثم أتى الحجر فغلبته عيناه فنام وإذا برجل وسيم له شارة حسنة ورائحة طيبة، قال له سليمان: رحمك الله من أنت؟ قال: أنا يوسف، قال: يوسف الصديق؟ قال: نعم، قال: أنا فى شأنك وشأن امرأة العزيز معجبًا، فقال له يوسف: إن شأنك وشأن صاحبة الأبواب لأعجب.

* * *

٧- قمة الحلم

مر يهودى ومعه كلب على إبراهيم بن آدهم - رحمه الله - فقال له اليهودى ألحيتك يا إبراهيم أطهر من ذنب هذا الكلب أم ذنب الكلب أطهر؟ فقال إبراهيم: فى هدوء وحلم: إن كانت فى الجنة فهى أطهر من ذنب كلبك، وإن كانت فى النار فذنب كلبك أطهر.

فقال اليهودى: هذه أخلاق الأنبياء أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله.

وقـــــال:

لو كل كلب عوى ألقمته حجرًا
لأصبح الصخر مثقال بدينار

* * *

٨- ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾ (الفرقان: ٦٣)

كان الإمام أحمد فى مجلسه ومعه تلاميذه، فأقبل عليه برجل فبالغ فى سبه وشتمه وتمادى فى الإساءة، والإمام أحمد ساكت لم يرد عليه، فقال الطلاب والتلاميذ: يا أبا عبد الله رد على هذا السفيه.

فقال الإمام أحمد: لا والله: فأين القرآن؟ ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا ﴾.

* * *

٩- الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان والزنادقة

وقد أثر عن الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان عدة مواقف ومحاورات دارت بينه وبين الزنادقة، ومن ذلك أنه كان جالسًا يومًا فى مجلسه إذ انقضوا عليه مشرعة سيوفهم يريدون أن يقتلوه، ولكن أبا حنيفة طلب إليهم فى ذلك الموقف العصيب أن يجيبوه عن مسألة يعرضها عليهم ثم يفعلوا ما يريدون، فقال لهم: أجيبونى عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم. قالوا له: هات.

قال أبو حنيفة: ما تقولون فى رجل يقول لكم: إنى رأيت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة بالأثقال، قد احتوشتها فى لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهى من بينها تجرى مستوية ليس لها ملاح يجريها ولا متعهد يدفعها هل يجوز ذلك فى العقل؟! قالوا: لا، هذا شىء لا يقبله العقل.

قال أبو حنيفة: يا سبحان الله! إذا لم يجز فى العقل أن تجرى سفينة فى البحر مستوية من غير متعهد ولا مُجْرٍ فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع ولا حافظ ؟!فلم يملكوا أمام هذا المنطق إلا أن يقولوا: صدقت.

* * *

١٠- ورقة التوت دليل على وجود الله

وقد سئل الإمام الشافعى: ما الدليل على وجود الصانع؟ قال: ورقة الفرصاد [التوت] طعمها ولونها وريحها واحد عندكم؟ قالوا: نعم، قال: فتأكلها دودة القز فيخرج منها الإبريسم والنحلة فيخرج منها العسل والشاة فيخرج منها البعر ويأكلها الظباء فينعقد فى نوافجها المسك فمن الذى جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الجميع واحد؟ فاستحسنوا منه هذا البيان وأسلموا على يديه [وكانوا سبعة عشر رجلا] والإمام الشافعى استلهم هذا المعنى من قول الله ـ عز وجل: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ** ﴾ (الرعد: ٤).

١١- فى كل شىء له آية

جلس أبو العتاهية القاسم بن إسماعيل على دكان وراق فكتب على ظهر دفتر هذه الأبيات:

أيا عجبًا كيف يعصى الإلـ
ـه أم كيف يجحده الجاحدُ؟!
وفى كل شىء له آية
تدل على أنه الواحدُ

ثم جاء أبو نواس فقرأها فقال: أحسن قائله والله، والله لوددت أنها لى بجميع شىء قلته، لمن هذه؟ قيل له: لأبى العتاهية، فأخذ فكتب فى جانبها:

سبحان من خلق الخلـ
ـق من ضعف مهين
يسوقه من قرار
إلى قرار مكين
يخلق شيئًا فشيئًا
فى الحجب دون العيون
حتى بدت حركات
مخلوقة فى سكون

* * *

١٢- لا يركع إلا لله

أرسل الملك عضد الدولة الإمام أبا بكر البلاقلانى برسالة إلى ملك الروم، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل عليه أحد إلا من باب قصر كهيئة الراكع، ففهم الباقلانى أن مراده أن ينحنى له الداخل عليه كهيئة الراكع لله ـ عز وجل.

فدار إلى الملك ودخل الباب بظهره يمشى القهقرى فلما وصل إليه أقبل فسلم عليه فعرف الملك ذكاءه ومكانه من العلم والفهم فعظمه.

١٣- إسلام قسيس

عن وهب بن منبه قال: رأيت أسقف قيسارية فى الطواف فسألته عن إسلامه فقال: ركبت سفينة أقصد بعض المدن فى جماعة من الناس فانكسرت السفينة وبقيت على خشبة تضربنى الأمواج ثلاثة أيام بلياليها ثم قذف بى الموج إلى غيضة (غابة) فيها أشجار لها ثمار مثل النبق ونهر مطرد فشربت الماء وأكلت من ذلك الثمر، فلما جن الليل صعد من الماء شخص عظيم وحوله جماعة لم أر على صورتهم أحداً فصاح بأعلى صوته: لا إله إلا الله، الملك الجبار، محمد رسول الله، النبى المختار، أبو بكر الصديق صاحب الغار، عمر بن الخطاب مفتاح الأمصار، وعثمان بن عفان حسن الجوار، وعلى بن أبى طالب قاصم الكفار، على باغضيهم لعنة الله، ومأواهم جهنم وبئس الدار، ثم غاب، فلما كان بعد مضى أكثر الليل صعد ثانيًا فى أصحابه ونادى: لا إله إلا الله القريب المجيب، محمد رسول الله النبى الحبيب، أبو بكر الصديق الشفيق الرفيق، وعمر بن الخطاب ركن من حديد، وعثمان بن عفان الحيى الحكيم، وعلى بن أبى طالب الكريم المستقيم.

ثم بصرنى (رآنى) أحدهم فدنا منى فقال: جنى أم إنسى؟ قلت: إنسى، قال: ما دينك؟ قلت: النصرانية، قال: أسلم تسلم، أما علمت أن الدين عند الله الإسلام؟ فقلت له: من هذا الشخص العظيم الذى نادى؟ قال: هو التيار ملك البحار، هذا دأبه (عادته) كل يوم فى بحر، ثم قال: غداً يمر بك مركب فصح بهم أو أشر إليهم يحملوك إلى بلاد الإسلام، فلما كان من الغد مر بى ركب فاشرت إليهم - وكانوا نصارى - فحملونى وقصصت عليهم قصتى فأسلموا كما أسلمت وضمنت الله - عز وجل - أن لا أكتم هذا الحديث.

* * *

١٤- إسلام مشرك

من رفع غشاء الظلام عن قلبه استبان له نور الحق.

قال عبد الواحد بن زيد: ركبنا فى مركب فطرحتنا الريح إلى جزيرة فإذا فيها رجل يعبد صنمًا فقلنا له: من تعبد؟ فأوما إلى الصنم، فقلنا: إن معنا فى المركب من يسوى مثل هذا، ليس هذا بإله يُعبد، قال: فأنتم لمن تعبدون؟ قلنا: لله - عز وجل، قال: وما الله؟ قلنا: الذى فى السماء عرشه، وفى الأرض سلطانه، وفى الأحياء والأموات قضاؤه، فقال:

كيف علمتم به؟ قلنا: وجه هذا الملك إلينا رسولاً كريمًا فأخبرنا بذلك، قال: فما فعل الرسول؟ قلنا: لما أدى الرسالة قبضه الله، قال: فما ترك عندكم علامة؟ قلنا: بلى ترك عندنا كتاب الملك، قال: أرونى كتاب الملك فينبغى أن تكون كتب الملك حسانًا، قال: فأتيناه بالمصحف فقال: ما أعرف هذا؟ فقرأنا عليه سورة من القرآن، فلم نزل نقرأ ويبكى حتى ختمنا السورة، فقال: ينبغى لصاحب هذا الكلام أن لا يُعصَى، ثم أسلم وحملناه معنا وعلمناه شرائع الإسلام وسوراً من القرآن، فلما جن علينا الليل وصلينا العشاء أخذنا مضاجعنا، فقال لنا: يا قوم، هذا الإله الذى دللتمونى عليه إذا جن عليه الليل ينام؟ قلنا: لا يا عبد الله، هو عظيم قيوم لا ينام، قال: بئس العبيد أنتم، تنامون ومولاكم لا ينام، فأعجبنا كلامه، فلما قدمنا عبادان قلت لأصحابى: هذا قريب عهد بالإسلام، فجمعنا له دراهم وأعطيناه، فقال: ما هذه؟ قلنا: تنفقها، قال: لا إله إلا الله، دللتمونى على طريق سلكتموها، أنا كنت أعبد صنما من دونه - سبحانه - ولم يضيعنى، أيضيعنى وأنا أعرفه؟!.

قال عبد الواحد: فلما كان بعد أيام قيل لى: إنه فى الموت، فأتيته فقلت: هل من حاجة؟ فقال: قضى حوائجى من جاء بكم إلى جزيرتى.

قال عبد الواحد: فحملتنى عينى فنمت عنده فرأيت مقابر عبادان ورأيت فيها روضة وفيها قبة، وفى القبة سرير عليه جارية لم نر أحسن منها، فقالت: سألتك بالله إلا ما عجلت به فقد اشتد شوقى إليه، فانتبهت فإذا به قد فارق الدنيا، فغسلته وكفنته وواريته، فلما جن الليل نمت فرأيته فى القبة مع الجارية وهو يقرأ: ﴿ **وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** ﴾ (الرعد: ٢٣، ٢٤).

* * *

١٥- الدين الحق

كان هلال بن إبراهيم بن هلال، أبو الخير، صاحب التاريخ صابئيًّا من الصابئة عبدة الكواكب، ومن أسباب إسلامه أنه رأى رسول الله ﷺ أتاه فى المنام مراراً يدعوه إلى الله عز وجل، ويأمره بالدخول فى الإسلام ويقول له: أنت رجل عاقل فلمَ تدع دين الإسلام الذى قامت عليه الدلائل؟. وأراه آيات فى المنام شاهدها فى اليقظة، فمنها أنه قال له: إن امرأتك حامل بولد ذكر، فسمه محمداً، فولدت ذكراً فسماه محمداً وكناه أبا الحسن.

إنه نداء لليهود والنصارى والوثنيين يدعوهم لأن يتفكروا ويبحثوا حتى يصلوا لمعرفة

الدين الحق ومن أنصف ولم يغلق عقله سيصل حقًا إلى الدين الذى ارتضاه الله - تعالى - للبشرية جمعاء.

* * *

١٦- الرزاق لا ينسى أحداً

روى أن رجلا جلس تحت أشجار من النخيل ثم استلقى على ظهره فإذا به يرى عصفوراً يحمل فى فمه ثمرة من نخلة مثمرة إلى أخرى غير مثمرة ثم رأى هذا العمل يتكرر فعجب لذلك وقال فى نفسه: لأصعدن هذه النخلة لأتبين الأمر، فصعد فإذا به يرى داخل سعف النخلة حية عمياء فاتحة فمها والعصفور يلقى بالثمر فى فمها فعجب لذلك وقال: صدق الله حيث يقول: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ (هود: ٦) نعم سبحانك يا من سخرت الأعداء يرزق بعضهم بعضاً.

* * *

١٧- الرزق مقسوم

يُحكى أن ابن أبشاذ النحوى كان يومًا على سطح جامع مصر وهو يأكل شيئًا وعنده ناس فحضرهم قط فقدموا له لقمة فأخذها فى فمه وغاب عنهم ثم عاد إليهم فرموا له شيئًا آخر ففعل كذلك وتردد مراراً هم يرمون له وهو يأخذه ويغيب ثم يعود من فوره حتى عجبوا من ذلك القط وعلموا أن مثل هذا الطعام لا يأكله وحده لكثرته.

فلما شكوا فى أمره تبعوه فوجدوه يصعد إلى حائط فى سطح الجامع ثم ينزل إلى موضع تجاه بيت خراب وفيه قط آخر أعمى وكل ما يأخذ من الطعام يحمله إلى ذلك القط ويضعه بين يديه وهو يأكله، فعجبوا من تلك الحال، فقال ابن أبشاذ: إذا كان هذا حيوان أخرس قد سخر الله له هذا القط وهو يقوم بكفايته ولم يحرمه الرزق فكيف يضيع مثلى؟!.

* * *

١٨- رزقك لا يأخذه غيرك

قال الأصمعى: أقبلت ذات مرة من مسجد البصرة إذ طلع أعرابى جلف جاف على قعود له متقلداً سيفه وبيده قوسه فدنا وسلم وقال: ممن الرجل؟ قلت: من بنى الأصمعى،

قال: ومن أين أقبلت؟ قال: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟ قلت: نعم، قال: فاتل عليَّ منه شيئًا.

فقرأت: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ إلى قوله: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ (الذاريات: ١ - ٢٢) فقال: يا أصمعي حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها وقطعها بجلدها، وقال: أعنى على توزيعها، ففرقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرهما ووضعهما تحت الرحل، وولى نحو البادية وهو يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢) فمقتُّ نفسي ولمتها، ثم حججت مع الرشيد، فبينما أنا أطوف إذا أنا بصوت رقيق فالتفت فإذا أنا بالأعرابي، وهو ناحل مصفر، فسلم عليَّ وأخذ بيدى، وقال: اتل عليَّ كلام الرحمن وأجلسني من وراء المقام فقرأت: ﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ فقال الأعرابي: لقد وجدنا ما وعدنا الرحمن حقًّا.

وقال: هل غير ذلك؟ قلت: نعم، يقول الله - تبارك وتعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ (الذاريات: ٢٣) قال: فصاح الأعرابي وقال: يا سبحان الله! من الذى أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصدقوه فى قوله حتى ألجئوه إلى اليمين؟ فقال ثلاثًا وخرجت بها نفسه.

وقال يزيد بن مرشد: إن رجلاً جاع بمكان ليس فيه شيء، فقال: اللهم رزقك الذى وعدتنى فأتنى به، فشبع وروى من غير طعام ولا شراب.

* * *

١٩- الرزاق هو الله

روى أن حاتمًا الأصم قال لأولاده: إنى أريد الحج، فبكوا وقالوا: إلى من تكلنا؟ وكانت له بنت عابدة فقالت: دعوه يذهب، فليس برزاق إلا الله، فخرج، فباتوا فى يوم جياعًا فجعلوا يوبخون تلك البنت، فقالت: اللهم لا تخجلنى بينهم، فمر بهم أمير البلد فقال لبعض أصحابه: اطلب لى ماء، فناوله أهل حاتم «كوزًا» جديدًا وماءً باردًا، فشرب، فقال: دار من هذه؟ فقالوا: دار حاتم الأصم، فرمى فيها منطقة من ذهب، وقال: من أحبنى

وافقنى، فرمى العساكر كلهم ما معهم من المال فى هذا الإناء، فجعلت البنت تبكى، فقالت أمها: ما يبكيك وقد وسَّع الله علينا؟ فقالت: لأن مخلوقًا قد نظر إلينا فاستغنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟.

* * *

٢٠- طهر لفظ الجلالة «الله» فطهر الله قلبه

قد يرمى أحدنا الصحف اليومية فى أى مكان فى منزله، عالٍ أو سافل، وقد يمشى فى الشارع ويرى كتبًا أو ورقًا مُلقًى على الأرض، ولا شك أن به آيات قرآنية، وللأسف الشديد لا يهتم المسلمون بهذه المسألة الخطيرة التى يؤدى الإهمال فيها إلى أكبر الكبائر، بل وإلى الكفر، فإن وطء لفظ الجلالة أو آيات القرآن الكريم بالأقدام من أكبر الذنوب، ومن فعله راضيًا عالمًا كفر، وإن صلى وصام.

وإننى أرجو منك أخى القارئ ألا تنسى هذه القصة الهامة لأنها كانت سببًا فى صلاح إمام من أئمة الزهد.

عن أيوب العطار قال: قال لى بشر بن الحارث الحافى: أحدثك عن بدء أمرى: بينما أنا أمشى رأيت قرطاسًا على وجه الأرض فيه اسم الله تعالى، فنزلت إلى النهر فغسلته وكنت لا أملك من الدنيا إلا درهمًا فيه خمسة دوانق فاشتريت بأربعة دوانيق مسكًا وبدانق ماء ورد وجعلت أتتبع اسم الله تعالى، وأطيبه، ثم رجعت إلى منزلى فنمت فأتانى آت فى منامى فقال: يا بشر، كما طيبت اسمى لأطيبن اسمك، وكما طهرته لأطهرن قلبك.

* * *

٢١- يدركك الرزق حيثما كنت

حكى عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: كنت ضيفًا لبعض القوم فقدم المائدة فنزل غراب وسلب رغيفًا، فاتبعته تعجبًا فنزل فى بعض التلال وإذا هو برجل مقيد مشدود اليدين فألقى الغراب ذلك الرغيف على وجهه.

* * *

٢٢- رجل يسلم من الأفعى والعقرب

روى عن ذى النون أنه قال: كنت فى البيت إذ وقعت ولولة فى قلبى وصرت بحيث ما ملكت نفسى فخرجت من االبيت وانتهيت إلى شط النيل فرأيت عقربًا قويًّا يعدو فتبعته فوصل إلى طرف النيل فرأيت ضفدعًا واقفًا على طرف الوادى فوثب العقرب على ظهر الضفدع وأخذ الضفدع يسبح ويذهب فركبت السفينة وتبعته فوصل الضفدع إلى الطرف الآخر من النيل ونزل العقرب من ظهره وأخذ يعدو فتبعه فرأيت شابا نائمًا تحت شجرة ورأيت أفعى تقصده فلما قربت الأفعى من ذلك الشاب وصل العقرب إلى الأفعى فلدغها والأفعى أيضًا لدغت العقرب فماتا معًا وسلم الإنسان منهما.

* * *

٢٣- العفو الجميل

دخل عمر بن عبد العزيز - ﷺ - المسجد ليلاً، ومعه خادمه فعثرت رجله فى رجل نائم، فقال الرجل النائم: أمجنون أنت؟ قال: لا، فقال الخادم لعمر بن عبد العزيز: أيقول لك هذا وأنت أمير المؤمنين؟! فقال عمر: ماذا حدث؟ سألنى أمجنون أنت؟ فقلت: لا.

* * *

٢٤- الحلم الجميل

عن على بن الحسين بن على ﷺ أن رجلاً سبه، فرمى إليه بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم، فقال بعضهم: جمع له خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذى، وتخليص الرجل مما يبعد من الله عز وجل، وحمله على الندم والتوبة، ورجوعه إلى المدح بعد الذم، جميع ذلك بشىء من الدنيا يسير.

* * *

٢٥- العفو عند المقدرة

كان معاوية يعرف بالحلم، وله فيه أخبار مشهورة وآثار مذكورة، كان يقول: إنى لآنف أن يكون فى الأرض جهل لا يسعه عفوى، وحاجة لا يسعها جودى، حكى عنه أنه لما ولى الخلافة، وانتظمت له الأمور، استحضر ليلة خواص أصحابه، وذاكرهم وقائع صفين، ومن

كان يتولى الكيد له، فتطرق حديثهم إلى ذكر سيدة من أهل الكوف تسمى الزرقاء بنت عدى، كانت تتعمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة: يا أصحاب على! تسمعهم كلامًا كالصوارم، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل والمدبر لأقبل، والمتألم لحارب، والفار لكد، والمتزلزل لاستقر، فقال لهم معاوية: أيكم يحفظ كلامها؟ قالوا: كلنا نحفظه، قال: فما تشيرون علىَّ فيها؟ قالوا: نشير بقتلها، فإنها أهل لذلك، فقال: بئسما أشرتم به! وقبحًا لما قلتم! أيحسن أن يشتهر عنى أنى بعدما ظفرت وقدرت قتلت امرأة قد وفت لأميرها؟ إنى إذًا للئيم، لا والله لا فعلت ذلك أبداً.

ثم دعا بكاتبه فكتب كتابًا إلى واليه بالكوفة: أن أنفذ إلى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها، ومهد لها وطاء لينًا ومركبًا ذلولاً، فلما ورد على الوالى الكتاب بعث إليها، وقرأه عليها، فقالت بعد قراءته: ما أنا بنازعة يد الطاعة، فحملها فى هودج وجعل غشاءه خزًّا مبطنًا، ثم أحسن صحبتها، فلما قدمت على معاوية قال لها: مرحبًا وأهلاً! خير مقدم قدمه وافد، كيف حالك يا خالة؟ وكيف رأيت سيرك؟ قالت: خير مسير، قال: هل تعلمين لم بعثت إليك؟ قالت: لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى، قال: ألست الراكبة الجمل الأحمر يوم صفين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب، وتحرضين على القتال، قالت: بلى، قال: فما حملك على ذلك؟ قالت: يا أمير المؤمنين إنه مات الرأس، وبتر الذنب والدهر ذو غِيَر، ومن تفكر تبصر، والأمر يحدث بعده الأمر، فقال: صدقت، فهل تعرفين كلامك، وتحفظين ما قلت؟ قالت: لا والله، قال: لله أبوك، فلقد سمعتك تقولين: أيها الناس، إن المصباح لا يضىء فى الشمس، من استرشدنا استرشدناه، ومن سألنا أخبرناه، إن الحق كان يطلب ضالة فأصابها، فصبرًا يا معشر المهاجرين والأنصار! فكأنكم وقد التأم شمل الشتات، وظهرت كلمة العدل، وغلب الحق باطله، فإنه لا يستوى المحق والمبطل ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ** ﴾ فالنزال النزال والصبر الصبر ألا وإن خضاب النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء، والصبر خير الأمور عاقبة ائتوا الحرب غير ناكصين، فهذا يوم له ما بعده.

يا زرقاء: أليس هذا قولك وتحريضك؟ قالت: لقد كان ذلك، قال: لقد شاركت عليًّا فى كل دم سفكه، فقالت: أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يبشر بخير، ويسر جليه، فقال معاوية: أوَقد سرك ذلك؟ قالت: نعم والله لقد سرنى قولك

وأنى لى بتحقيقه؟ فقال لها معاوية: والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب إلىَّ من حبكم له فى حياته، فاذكرى حوائجك تقضى.

فقالت: يا أمير المؤمنين، إنى آليت على نفسى ألا أسأل أحداً يوماً على حاجة، فقال: لقد أشار علىَّ بعض من عرفك بقتلك، فقالت: لؤم من المشير، ولو أطعته لشاركته، فقال: كلا، بل لنعفون عنك، ونحسن إليك ونرعينك، فقالت: يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فعفا، وتجاوز عمن أساء، وأعطى من غير مسألة، فاعطاها كسوة ودراهم وأقطعها ضيعة تغل لها كل سنة عشرة آلاف درهم، وأعادها إلى وطنها سالمة، وكتب إلى الكوفة بالوصية بها وبعشيرتها.

* * *

٢٦- تأتى الأمانى على مقدار الرجال

عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال لأصحابه: تمنوا، فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها فى سبيل الله، فقال: تمنوا، فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهراً أو نحوه، فأنفقه فى سبيل الله، قال عمر: تمنوا، فقالوا: ما تمنينا بعد هذا، قال عمر: لكنى أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً مثل أبى عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهم فأستعملهم فى طاعة الله.

قال: ثم بعث بمال إلى حذيفة قال: انظر إلى ما يصنع، قال: فلما آتاه قسمه، ثم بعث بمال إلى معاذ بن جبل فقسمه، ثم بعث بمال إلى أبى عبيدة، قال: انظر ما يصنع فقسمه، فقال عمر: قد قلت لكم.

* * *

٢٧- قيمة حسن الخلق

روى أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان له على بعض المجوس مال فذهب إلى داره ليطالبه به، فلما وصل إلى باب داره وقع على نعله نجاسة، فنفض نعله فارتفعت النجاسة عن نعله، ووقعت على حائط دار المجوسى، فتحير أبو حنيفة، وقال: إن تركتها كان ذلك سبباً لقبح جدار هذا المجوسى، وإن حككتها انحدر التراب من الحائط فدق الباب فخرجت الجارية

فقال لها: قولى لمولاك: إن أبا حنيفة بالباب، فخرج إليه وظن أنه يطالبه بالمال فأخذ يعتذر.

فقال أبو حنيفة ﷺ: ههنا ما هو أولى، وذكر قصة الجدار، وكيف السبيل إلى تطهيره، فقال المجوسى: فانا أبدأ بتطهير نفسى - فأسلم فى الحال.

* * *

٢٨- (مهما طلبنا العزة فى غيره أذلنا الله)

التواضـــــع

ليت الدنيا كلها تسمع وتعى هذا الموقف العمرى، فقد دخل رجل على عمر ﷺ فقال له: اتق الله يا أمير المؤمنين، فسمع هذه النصيحة أحد الحاضرين، فقال له: أتقول للأمير: اتق الله؟ فقال له عمر: دعه فليقلها لى، نعم ما قال، لا خير فيكم إذا لم تقولها، ولا خير فيَّ إذا لم أتقبها.

وما زال عمر فى التواضع يتألق بهاء ورحمة وتواضعًا، فعندها ذهب ليفتح القدس كان معه غلامه، وبعيره، وكان فى ثيابه سبع عشرة رقعة، فماذا حدث فى الطريق؟ قرر عمر أن يقسم الركوب والمشى إلى ثلاثة أقسام فمرة يركب، ومرة يركب غلامه، ومرة يرتاح البعير، فمن يركب أولاً؟ هل أمير المؤمنين؟ لا، وإنما كان يقترع فمن خرجت له القرعة ركب، وأثناء ركوب عمر ﷺ رأى وحلاً وطينًا، فخاف على البعير، فنزل ومشى فى الماء والطين، فرآه أبو عبيدة بن الجراح ﷺ فقال: أوه يا أمير المؤمنين، ما أرى أن القوم قد استشرفوك، فقال: واهًا يا أبا عبيدة لو قالها أحد غيرك، يا أبا عبيدة لجعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ، ثم قال له كلمة سجلها التاريخ بقلمه المبارك، قال يا أبا عبيدة: لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العزة فى غيره أذلنا الله.

ولا أنسى أن أذكرك بأنه أثناء سيره فى الطريق كان يجعل ركوبه مقدار خمسين آية تلاوة، وركوب غلامه مقدار خمسين آية تلاوة، وراحة البعير مقدار خمسين آية تلاوة، قمة العدل وقمة التواضع، وقمة الراحة.

* * *

٢٩- (عدم الاضطراب والخوف)

رباطة الجأش

قال أحمد بن أبى داود: ما رأيت رجلاً نزل به الموت فما شغله ذلك ولا أذهله عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل، فإنه كان قد طلب فظفر به، ووافى به الرسول باب المعتصم فى يوم الموكب حين جلوسه للعامة فأدخل عليه، فلما مثل بين يديه، دعا بالنطع والسيف، فأحضرا، وجعل تميم بن جميل يصعد النظر إلى ذلك ولا يقول شيئًا، والمعتصم يصعد النظر فيها، ويصوبه وكان جميل جسيمًا وسيمًا، فرأى المعتصم أن يستنطقه ليرى أين جنانه ولسانه من جسمه ومنظره؟ فقال: يا تميم، إن كان لك عذر فأت به أو حجة فأدل بها، فقال: أما إذ قد أذنت لى يا أمير المؤمنين بالكلام فإنى أقول: الحمد لله الذى أحسن كل شىء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين، ولأم بك شعث الأمة، وأخمد شهاب الباطل وأوضح سراج الحق، يا أمير المؤمنين، إن الذنوب تخرس الألسنة، وتصدع الأفئدة، ولقد عظمت الجريرة، وكبر الذنب وساء الظن، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك، وأرجو أن يكون أقربهما منك وأسرعهما إليك أولاهما بأمانتك وأشبههما بخلافتك.

ثم أنشد:

أرى الموت بين السيف والنطع كامنًا
يلاحظنى من حيثما أتلفت
وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى
وأى امرئ مما قضى الله يفلت؟
ومن ذا الذى يدلى بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على أبناء تغلب موقف
يسل على السيف فيه وأسكت

وما جزعى من أن أموت وإننى
لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى إليهم
وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا حافظين بغبطة
أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره!
وآخر جذلان يسر ويبسم

فتبسم المعتصم وقال: إن من البيان لسحراً.

كاد - والله يا تميم - أن يسبق السيف العذل اذهب فقد غفرت الهفوة ووهبتك لله وللصبية، وأعطاه خمسين ألف درهم.

* * *

٣٠- (قصص الزواج)

المرأة فتنة

لحديث المرأة فتنة وروعة وإن كانت قبيحة، حكى أنه كان لهارون الرشيد جارية سوداء قبيحة المنظر، فنشر يوماً دنانير بين الجوارى، فصارت الجوارى يلتقطن الدنانير وتلك الجارية واقفة تنظر إلى وجه الرشيد فقال لها: ألا تلتقطين الدنانير؟! فقالت: إن مطلوبهن الدنانير، ومطلوبى صاحب الدنانير!، فأعجبه فقربها، وأثنى عليها خيراً، فقام حسن كلامها مقام الجمال.

* * *

٣١- حديث المرأة قد يغرى أكثر من جمالها

قال الأصمعى: كنت عند أمير المؤمنين الرشيد إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع فتأملها الرشيد، ثم قال: خذ جاريتك، فلولا تخلف فى وجهها وخنس فى أنفها لاشتريتها،

فانطلق بها، فلما بلغت الستر، قالت: يا أمير المؤمين، ارددنى إليك أنشدك شعراً، فردها فانشأت تقول: ما سلم الظبى على حسنه، فاعجب من قولها وضمها إليه.

* * *

٣٢- الوصية الغالية

أوصت أعرابية ابنتها فى ليلة زفافها فقالت: أى بنية، إن الوصية لو تركت لعقل وأدب أو مكرمة فى حسب لتركت ذلك منك، ولزويته عنك، ولكن الوصية تذكرة للعاقل وتنبيه للغافل.

أى بنيـة، إنك قد فارقت الجو الذى فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فاصبح بملكه عليك ملكًا، فكونى له أمَةً يكن لك عبدًا، واحفظى عنى خصالاً عشرًا تكن لك دركًا ودكرا:

فأما الأولى والثانية:

فالمعاشرة له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة، فإن القناعة راحة القلب، وحسن السمع والطاعة رأفة الرب.

وأما الثالثة والرابعة:

فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، واعلمى بنية أن الماء أطيب الطيب المفقود، وأن الكحل أحسن الموجود فى الحسن.

وأما الخامسة والسادسة:

فالتعهد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النومة مغضبة.

وأما السابعة والثامنة:

فالاحتفاظ بماله والرعاية على حشمه (ذوى قرباه) وعياله فإن الاحتفاظ بالمال من حسن التقدير، والرعاية على الحشم والعيال من حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة:

فلا تفشى له سرًّا، ولا تعصى له أمرًا، فإنك إن أفشيت سره لم تأمنى غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره، واتقى الفرح بين يديه إن كان ترحًا (حزنًا)، والاكتئاب عنده إذا كان فرحًا، فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير.

واعلمي أنك لن تصلي إلى ذلك منه حتى تؤثري هواه على هواك ورضاه على رضاك فيما أحببتِ وكرهتِ.

* * *

٣٣- أب يخطب لابنته العالمة

كان للخليفة عبد الملك بن مروان ابن فطلب ابنة سعيد بن المسيب زوجة لابنه الوليد بن عبد الملك المرشح للخلافة بعد أبيه، فرفض هذا العالم الكبير، فأغراه بالمال فما استجاب، وأخيراً هدده فلم يخش منه، وفي صباح أحد الأيام طرق باب الشيخ عبد الله بن أبي وداعة، وكان يجالسه ويلزم دروسه، ولكنه غاب أيامًا فدخل فجلس.

قال له سعيد: أين كنت غائبا؟ قال عبد الله: توفيت زوجتي فاشتغلت بها، قال سعيد: هلا أخبرتنا فحضرنا جنازتها، وفي آخر الكلام أراد عبد الله أن يقوم فقال له سيد التابعين سعيد: هل استحدثت امرأة غيرها؟ قال عبد الله: يرحمك الله ومن يزوجني؟! ولا أملك إلا درهمين أو ثلاثة! قال سعيد: أنا؛ فدهش عبد الله، وقال: وتفعل؟!، قال سعيد: نعم، ثم قال: فادع لي نفراً من الأنصار، فلما جاءوا حمد الله وصلى على النبي ﷺ وزوجه على ثلاثة دراهم! ثلاثة دراهم مهر البنت التي أرسل الأمير يخطبها لولي عهده بثقلها (بوزنها) ذهبًا لو شاءت!.

وذهب عبد الله إلى بيته وكان صائمًا وأفطر خبزاً وزيتًا وإذا بالباب طارق ففتح فوجد سعيداً فدهش فقال: لو أرسلت لي لأتيتك، قال: لأنت أحق أن تؤتى إنك كنت رجلاً عزبًا فتزوجت فكرهت أن تبيت هذه الليلة وحدك وهذه امرأتك! وانحرف شيئًا فإذا العروس قائمة خلفه مستترة فدفعها إلى الباب وسلم وانصرف، فدخل الجيران عليه.

قال عبد الله: ثم دخلت بها فإذا هي أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسوله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج وإن كانت المعضلة وعجز الفقهاء عنها فأجدها عندها فأسألها علمها.

* * *

٣٤- زوجة مثالية عمياء بكماء صماء

كان أحد الصالحين واسمه ثابت بن إبراهيم يسير ذات يوم في طريق ما إذ سقطت تفاحة من بستان فأخذها وأكل نصفها وتذكر أنها ليست من حقه، فدخل على البستاني

وقال له: أكلت نصف تفاحة فسامحنى فيما أكلت وخذ النصف الآخر، فقال البستانى: أنا لا أملك السماحة فالبستان ليس ملكى، وإنما هو ملك سيدى، قال: وأين سيدك حتى أذهب إليه وأستسمحه؟ فقال له: بينك وبيه مسيرة يوم وليلة، فقال: لأذهبن إليه مهما كان الطريق بعيداً لأن النبى ﷺ قال: «كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به».

وذهب إلى صاحب البستان، وطرق بابه وفتح له الرجل الباب وبعد أن سلم عليه قال: سامحنى فيما أكلت من التفاحة، وهذا نصفها، فنظر إليه صاحب البستان، وقال: لا أسامحك إلا بشرط واحد، فقال: وما هو؟ فقال: أن تتزوج ابنتى، ففرح ولكنه ذكر إليه أوصافها فقال ثابت: قبلت خطبتها، وسأتجر فيها مع ربى، ثم أتى أبوها بشاهدين فشهدا على العقد، وإذا بصاحب البستان يدخل ابنته الحجرة المعدة للزواج، ودخل عليها ثابت وقال: سألقى عليها السلام وأنا أعلم أنها صماء لترد علىَّ الملائكة، فألقى عليها السلام، فردت عليه ووقفت ووضعت يدها فى يده، فقال: ماذا حدث؟ ردت السلام إذاً ليست بكماء، سمعت السلام إذاً ليست صماء، وقامت واقفة إذاً ليست مقعدة، ومدت يدها إذاً ليست عمياء، فقال لها: إن أباك قد أخبرنى أنك صماء بكماء مقعدة عمياء، ولم أر ما أخبرنى به، فقالت: إن أبى أخبرك بأنى عمياء، وأنا عمياء عن الحرام، لأن عينى لا تنظر إلى ما حرم الله، صماء عن كل ما لا يرضى الله، بكماء لأن لسانى لا يتحرك إلا بذكر الله، مقعدة لأن قدمى لم تحملنى إلى ما يغضب الله، ونظر ثابت إلى وجهها فكأنه القمر ليلة التمام، ودخل بها وأنجب منها مولوداً ملأ أطباق الأرض علماً، إنه أبو حنيفة.

* * *

٣٥- المرأة الحزينة

الحب بين الزوجين يبعث على الحزن الشديد عند فقد أحدهما، ومن هنا تنطلق قصائد الرثاء، وهذه امرأة حزنت حزناً شديداً على زوجها.

قال الأصمعى: دخلت بعض المقابر، ومعى صاحب لى، فإذا جارية على قبر كأنها لؤلؤة، وعليها من الحلى والحلل ما لم أر مثله، وهى تبكى بعين غزيرة وصوت شجى، فالتفت إلى صاحبى فقال: هل رأيت أعجب من هذه؟ قال: لا والله ولا أحسبنى أراه، ثم قلت لها: يا هذه إنى أراك حزينة وما عليك زى الحزن؟! فانشأت تقول:

فـإن تسـألنى فـيم حـزنى؟ فـإننى
رهينة من فى القـبـر يا فـتـيـان
وإنى لأستـحـيـيـه والتـرب بيننا
كـمـا كنت أستحييه حين يرانى
أهابك إجـلالاً وإن كنت فى الثـرى
مـخـافـة يوم أن يسـوءك لسـانى

ثم اندفعت فى البكاء، وجعلت تقول:

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بى
بالاً ويكثـر فى الدنيـا مـواسـاتى
قـد زرت قبـرك فى حلى وفى حلل
كـأننى لست من أهل المصـيبـات
أردت آتيك فـيـمـا كنت أعـرفـه
أن قـد تسـر به من بعض هيـآتى
فـمـن رآنى رأى عـبـرى مـولهـة
عـجـيـبـة الزى تبكى بين الأمـوات

* * *

٣٦- نبـــل امـــرأة

من طريف ما يحكى عن نبل المرأة ما ذكره العتبى: أنه كان ماشيًا فى شوارع البصرة، فإذا امرأة من أجمل النساء، وأظرفهن تلاعب شيخًا سمجًا قبيحًا، وكلما كلمته تضحك فى وجهه، فدنوت منها، وقلت لها: من يكون هذا منك؟ فقالت: زوجى، فقلت لها: كيف تصبرين على سماجته وقبحه مع حسنك وجمالك؟! إن هذا من العجب!.

فقالت: يا هذا، لعله رُزق مثلى فشكر، وأنا رُزقت مثله فصبرت، والصبور والشكور من أهل الجنة، أفلا أرضى بما قسمه الله لى؟ فأعجزنى جوابها فمضيت وتركتها.

* * *

٣٧- لا تأذن فى بيته إلا بإذنه

روى أن شريحًا القاضى قابل الشعبى يومًا فسأله الشعبى عن حاله فى بيته فقال له: من عشرين عامًا لم أر ما يغضبنى من أهلى، فقال له: وكيف ذلك؟ قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتى رأيت حسنًا فتانًا وجمالاً نادرًا، قلت فى نفسى: فلأطهر ولأصلى ركعتين شكرًا لله، فلما سلمت وجدت زوجتى تصلى بصلاتى وتسلم بسلامى، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء قمت إليها فمددت يدى نحوها، فقالت: على رسلك (تمهل) يا أبا أمية، كما أنت!! ثم قالت: الحمد لله، أحمده وأستعين به، وأصلى على محمد وآله وصحبه، إنى امرأة غريبة لا علم لى بأخلاقك، فبيِّن إلىَّ ما تحب فآتيه، وما تكره فأتركه، وقالت: إنه كان فى قومك من تتزوجها من نسائكم، وفى قومى من رجال من هو كفء لى، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمر الله به، ولكن إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولك.

قال شريح: فأحوجتنى والله يا شعبى إلى الخطبة فى ذلك الموضع، فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلى على النبى وآله وسلم، وبعد:

فإنك قلت كلامًا إن ثبت عليه يكن لك حظك، وإن تدعيه يكن عليك حجة، أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها.

قالت: كيف محبتك لزيارة أهلى؟ قلت: ما أحب أن يملنى أصهارى، فقالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك فيؤذن له، ومن تكره فأرده؟ قلت: بنى فلان قوم صالحون، وبنى فلان قوم سوء.

قال شريح: فبت معها بأنعم ليلة وعشت معها حولاً لا أرى معها إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول (السنة) جئت من مجلس القضاء، فإذا بفلانة فى البيت، قلت: من هى؟ قالوا: ختنتك (أم زوجتك) فالتفتت إلىَّ وسألتنى كيف رأيت زوجتك؟ قلت لها: خير زوجة، قالت: يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالا منها فى حالين:

١- إذا ولدت غلامًا.

٢- أو حظيت عند زوجها.

فوالله ما حاز الرجال فى بيوتهم أسوأ من المرأة المدلة، فادب ما شئت أن تؤدب،

وهذب ما شئت أن تهذب، فمكثت عشرين عاما لم أعتب عليها فى شىء إلا مرة، وكنت لها ظالمًا.

* * *

٣٨- (هكذا فليكن الزوج)

الحلم مع كثرة دواعى الغضب

عن محمد بن نعيم الضبى قال: سمعت أمى تقول: سمعت مريم امرأة أبى عثمان تقول: صادفت من أبى عثمان خلوة فاغتنمتها، فقلت: يا أبا عثمان أى عملك أرجى عندك؟ فقال: يا مريم لما ترعرعت وأنا بالرى وكانوا يريدوننى على الزواج فأمتنع، جاءتنى امرأة، فقالت: يا أبا عثمان، قد أحببتك حبًّا أذهب نومى وقرارى، وأنا أسألك بمقلب القلب وأتوسل إليك أن تتزوج بى! فقلت: ألك والد؟ قالت: نعم، فلان الخياط فى موضع كذا وكذا، فراسلت أباها أن يزوجها منى، ففرح بذلك، وأحضرت الشهود، فتزوجت بها، فلما دخلت وجدتها عوراء عرجاء مشوهة الخلق، فقلت: اللهم لك الحمد لله على ما قدرته لى.

وكان أهل بيتى يلوموننى على ذلك وأزيدها برًا وإكرامًا إلى أن صارت بحيث لا تدعنى أخرج من عندها إلى حضور المجالس إيثارًا لرضاها، وحفظًا لقلبها، ثم بقيت معها على هذا الحال خمس عشرة سنة، وكأنى فى بعض الأوقات على الجمر، وأنا مكانها: لا أبدى (أظهر) إليها شيئًا من ذلك إلى أن ماتت! فما شىء أرجى عندى من حفظى عليها ما كان فى لبها من وجهتى.

* * *

٣٩- حسن الخلق مع داعى النفور

قال أحمد بن عنبر: لما ماتت أم صالح بن أحمد بن حنبل، قال أحمد لامرأة تكون عندهم: اذهبى إلى فلانة بنت عمها فاخطبيها لى من نفسها، فانتهى فأجابته، فلما رجعت إليه قال ـ يعنى أحمد بن عنبر ـ أختها كانت تسمع كلامك، قال: وكانت بعين واحدة، قالت له: نعم.

قال الإمام: فاخطبى تلك التى بفرد، يعنى (لها عين واحدة) فأتتها فأجابته، وهى أم

عبد الله ابنه فاقام معها سبعًا ثم قالت له : كيف رأيت يا بن عمى؟ أنكرت شيئًا؟ قال : لا إلا نعلك هذا تطرق .

وقال خطاب بن بشر: قالت: امرأة أحمد بن حنبل لأحمد بعدما دخلت عليه بأيام هل تنكر منى شيئًا؟ فقال: لا إلا هذا النعل التى تلبسينها لم تكن على عهد رسول الله ﷺ قال: فباعته واشترت مقطوعًا فكانت تلبسه وهى ريحانة بنت عمر عم الإمام أحمد .

* * *

٤٠- زواج ممنوع

فى يوم قال الخليفة المهدى للخيزران: أريد أن أتزوج، فقالت له: لا يحل لك أن تتزوج علىَّ قال: بلى، قالت له: بينى وبينك من شئت، قال: أترضين سفيان الثورى؟ قالت: نعم، فوجه إلى سفيان الثورى، فقال: إن أم الرشيد تزعم أنه لا يحل لى أن أتزوج عليها، وقد قال الله تعالى: ﴿ **فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ** ﴾ (النساء: ٣) ثم سكت، فقال له سفيان: أتم الآية، يريد قوله تعالى: ﴿ **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** ﴾ (النساء: ٣)، وأنت لا تعدل، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يقبلها .

* * *

٤١- لا حبيب ألاعبه

كان عمر رضي الله عنه يتعسس حال الرعية وبينما هو يطوف ببيوت المدينة سمع امرأة تقول:

* تطاول هذا الليل واسود جانبه *

* وأرقنى أن لا حبيب ألاعبه *

* فلو لا جزاء الله لا شىء مثله *

* لزعزع من هذا السرير جوانبه *

فقال عمر رضي الله عنه : ما لك؟ قالت: أغرب زوجى منذ أشهر، وقد اشتقت إليه، قال: أردت سوءًا (الزنا) قالت: معاذ الله! قال: فاملكى عليك نفسك، فإنما هو البريد إليه، فبعث إليه، ثم دخل على حفصة رضي الله عنها، قال: إنى سائلك عن أمر قد أهمنى فأفرجيه عنى، فى كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها واستحييت، قال: فإن الله لا يستحيى من الحق، فأشارت بيدها ثلاثة أشهر وإلا فأربعة أشهر، فكتب عمر رضي الله عنه أن لا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر .

٤٢- (هذه تشكو زوجها)

كعب بن سور وعمر

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقالت: يا أمير المؤمنين إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره وأشكوه وهو يعمل لطاعة الله.

فقال لها: نعم الزوج زوجك، فجعلت تكرر عليه القول وهو يكرر عليها الجواب، فقال له كعب بن سور الأسدى، يا أمير المؤمنين، هذه امرأة تشكو زوجها فى مباعدته إياها عن فراشه، فقال له عمر بن الخطاب ﷺ: كما فهمت كلامها اقض بينهما، فقال كعب: عليَّ بزوجها، فأتى به فقال: إن امرأتك تشكو، فقال: أفى طعام وشراب؟ قال: لا، فى واحد منهما.

قالت المرأة:

يا أيها القاضى الحيكم رشده ألهى
خليلى عن فراشى مسجده
زهده فى مضجعى تعبده نهاره
وليله ما يرقده
فلست فى أمر الثناء أحمده
فاقض القضاء يا كعب ولا تردده

فقال الزوج:

زهدنى فى فراشها وفى الحجل
أنى امرؤ أذهلنى ما قد نزل
فى سورة النحل وفى السبع الطول
وفى كتاب الله تخويف جلل

فقال كعب:

* إن لها حقا عليك يا رجل *
* نصيبها فى أربع لمن عقل *
* فأعطها ذاك ودع عنك العلل *

ثم قال له: إن الله قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع، فتلك ثلاثة أيام ولياليهن تعبد فيهن ربك، ولها يوم وليلة، فقال عمر لكعب ﷺ: والله ما أدرى من أى أمر يك أعجب؟ أمن فهمك أمرهما أم من حكمك بينهما؟ اذهب فقد وليتك القضاء بالبصرة.

* * *

٤٣- الأخلاق أساس اختيار الزوج

يحكى أن أعرابية تقدم لخطبتها شاب فأعجبها جماله، ولم تهتم بأخلاقه وسلوكه، فنصحها والدها بعدم صلاحه، فلم ترض، فأكد عليها عدم قبوله، فرفضت، وأخيرًا تزوجته وبعد شهر من زواجها زارها أبوها فى دارها، فوجد جسمها عليه علامات الضرب من زوجها، فتغافل عنه وسألها: كيف حالك يا بنيتى؟ فتظاهرت بالرضا، فقال لها أبوها: وما علامات الضرب فى جسمك؟! فبكت ونحبت طويلاً ثم قالت: ماذا أقول لك يا أبتاه؟ إنى عصيتك واخترته، دون أن أهتم بأهمية الأخلاق وحسن المعاملة.

* * *

٤٤- الزوج الكريم أفضل

يستحب ويستحسن ويطلب اختيار الزوج الكريم، والبعد عن الزوج البخيل الشحيح الشديد فى حساب أهله، فقد خطب المغيرة بن شعبة ﷺ وفتى من العرب امرأة، وكان الفتى جميلاً، فأرسلت إليهما المرأة، فقالت: إنكما خطبتمانى، ولست أجيب أحداً منكما، دون أن أراه، وأسمع كلامه، فاحضرا إن شئتما، فلما رأى المغيرة الفتى ونظر إلى جماله وشبابه وهيئته يئس منها، وعلم أنها لن تؤثره عليه، فأقبل على الفتى، وقد فكر فى مخرج، فقال له: لقد أوتيت جمالاً وحسنًا وبيانًا، فهل عندك سوى ذلك؟! قال الشاب: نعم، فعدد محاسنه ثم سكت، فقال له المغيرة ﷺ: كيف حسابك؟ فقال: ما يسقط على منه شىء وإنى لأستدرك منه أدق من الخردلة!، فقال له المغيرة: لكنى أضع البدرة فى زاوية البيت، فينفقها أهلى على ما يريدون، فما أعلم بنفادها، حتى يسألونى غيرها، فقالت المرأة فى سرها: والله لهذا الشيخ الذى لا يحاسبنى أحب إلىَّ من هذا الذى يحصى على مثل صغير الخردل، فتزوجت بالمغيرة ﷺ.

* * *

٤٥ - الشباب أفضل من الكهول فى الزواج

ذكر الهيثم بن عدى عن محمد بن زياد أن الحارث بن سليل الأزدى خرج زائرًا لعلقمة بن حزم الطائى، وكان حليفًا له، فنظر إلى ابنة له تدعى الرباب، وكانت من أجمل النساء، فأعجب بها وعشقها عشقًا حال بينه وبين الانصراف إلى أهله، فقال لعلقمة: إنى أتيتك خاطبًا وقد ينكح الخاطب، ويدرك الطالب ويمنع الراغب، قال له: كفء كريم، فأقم ننظر فى أمرك، ثم انكفأ إلى أم الجارية فقال لها: إن الحارث سيد قومه حسبًا ومنصبًا وبيتًا، فلا ينصرفن من عندنا إلا بحاجته، فشاورى ابنتك وأدير بها عما فى نفسها.

فقالت لها: أى بنيتى، أى الرجل أعجب إليك: الكهل الجحجاح (السيد المسارع إلى المكارم) المفضل المباح (كثير الصلة والمعروف) أم الفتى الوضاح الملول الطماح المعجب برأيه؟.

قالت: الفتى الوضاح.

فقالت: إن الفتى يغيرك، وإن الشيخ يغيرك، وليس الكهل الفاضل الكثير النائل، كالحديث السن، الكثير المن.

فقالت: يا أماه، أحب الفتى كحب الرعاء أنيق الكلأ!.

فقالت: يا بنية، إن الفتى لشديد الحجاب كثير العتاب.

فقالت: يا أماه أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابى، ويبلى شبابى، ويشمت بى أقاربى وصديقاتى.

فلم تزل أمها تناقشها حتى غلبتها على رأيها، فتزوجها الحارث ثم ارتحل بها إلى أهله.

وإنه لجالس ذات يوم بفناء بيته وهو معه، إذ أقبل شباب من بنى أسد يتلاعبون فتنفست الصعداء، ثم بكت.

فقال: ما يبكيك؟ فقالت: ما لى وللشيوخ الناهضين كالفروخ!؟.

فقال: ثكلتك أمك، الحقى بأهلك فلا حاجة لى بك.

* * *

٤٦- الكذب الحلال!

روى أن ابن أبى عذرة الدؤلى أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يخلع النساء اللائى يتزوج بهن، فلما علم بذلك أخذ بيد عبد الله بن أرقم حتى أتى به إلى منزله ثم قال لامرأته: أنشدك بالله هل تبغضينى؟.

قالت: لا تنشدنى بالله.

قال: فإنى أنشدك بالله.

قالت: نعم.

فقال: لابن الأرقم: أتسمع؟ ثم انطلقا حتى أتيا عمر رضي الله عنه فقال:

إنكم لتحدثون أنى أظلم النساء، وأخلعهن فاسأل ابن الأرقم فسأله فأخبره، فأرسل إلى امرأة ابن أبى عذرة، فجاءت هى وعمتها، فقال عمر: أنت التى تحدثين لزوجك أنك تبغضينه؟ فقالت: إنى أول من تاب، وراجع أمر الله تعالى، إنه ناشدنى فتحرجت أن أكذب، أفأكذب يا أمير المؤمنين؟ فقال: نعم، فاكذبى، فإن كانت إحداكن لا تحب أحدنا فلا تحدثه بذلك، فإن أقل البيوت الذى يبنى على الحب، ولكن الناس يتعاشرون بالإسلام والأحساب.

وهذا جائز.. فعن أم كلثوم بنت عقبة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«ليس الكذاب الذى يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً».

قالت: ولم أسمعه يرخص فى شىء مما يقول الناس إلا فى ثلاث - يعنى: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته والمرأة زوجها.

* * *

٤٧- (قصص العلماء والأمراء)

الأمة خصم لك

قدم زياد العبد على عمر بن عبد العزيز، فقال له عمر - رحمه الله: يا زياد، ألا ترى ما ابتليت به من أمر أمة محمد ﷺ ؟.

قـال: يا أمير المؤمنين لا تعمل نفسك فى الوصف، وأعمل نفسك فى المخرج مما وقعت فيه، فلو أن كل شعرة منك نطقت ما بلغت ما أنت فيه.

ثم قال زياد: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن رجل له خصم ألد ما حاله؟.

قال: سيئ الحال.

قال: فإن كانا خصمين ألدين؟.

قال: ذاك أسوأ الحالة.

قال: فإن كانوا ثلاثة؟.

قال: ذلك لا يهنئه عيش.

قال: فوالله يا أمير المؤمنين، ما أحد من أمة محمد إلا وهو خصم لك.

قال: فبكى عمر حتى تمنيت أن لا أكون قلت له شيئًا.

* * *

٤٨- (إن أقوامًا غرهم ستر الله)

خالد بن صفوان وعمر بن عبد العزيز

قال عمر بن عبد العزيز لخالد بن صفوان: عظنى وأوجز.

فقال خالد بن صفوان: يا أمير المؤمنين إن أقوامًا غرهم ستر الله، وفتنهم حسن الثناء، فلا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالستر مغرورين وبثناء الناس مفتونين، وعما افترض الله علينا متخلفين، وإلى اللهو مائلين، قال: فبكى ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتباع الهوى.

ودخل عليه مرة أخرى فقال له: عظنى يا خالد.

فـقـال: إن الله لم يرض أن يكون فوقك أحد، فلا ترضَ أن يكون أحد أولى بالشكر منك.

قـال: فبكى عمر حتى غشى عليه، ثم أفاق فقال: هيه يا خالد، لم يرض أن يكون أحد فوقى، فوالله لأحمد له حمدًا يكون ذلك كله غاية طاقتى، ولأجتهدن فى العدل والنصفة والزهد فى فانى الدنيا لزوالها، والرغبة فى بقاء الآخرة ودوامها، حتى ألقى الله عز وجل، فلعلى أن أنجو مع الناجين، وأفوز مع الفائزين، وبكى حتى غشى عليه.

* * *

٤٩- عبد الله بن مرزوق وأبو جعفر

ذكروا أن أبا جعفر المنصور أمير المؤمنين لما حج ودخل فى الطواف بالبيت الحرام، أمر بالناس فتنحوا عن البيت ثم طاف أسبوعه فوثب إليه عبد الله بن مرزوق، وقال: من جرأك على هذا؟ فلببه بردائه وهزه ثم قال له: من جعلك أحق بهذا البيت من الناس، تحول بينه وبينهم وتنحيهم عنه؟ فنظر أبو جعفر فى وجهه فعرفه، فقال: عبد الله بن مرزوق؟ قال: نعم، قال: من جرأك على هذا؟ ومن أقدمك عليه؟.

فقال عبد الله بن مرزوق: وما تصنع بى؟ بيدك ضر ونفع؟ والله ما أخاف ضرك ولا أرجو نفعك حتى يكون الله عز وجل يأذن لك فيه ويلهمك إلى فعله، فقال له أبو جعفر: إنك أحللت بنفسك وأهلكتها، فقال عبد الله بن مرزوق: اللهم إن كان بيد أبى جعفر ضرى فلا تدع من الضر شيئًا إلا أنزلته على، وإن كان بيده منفعتى فاقطع عنى كل منفعة منه، أنت يا رب بيدك كل شىء ومليك كل شىء، فخلى عنه أبو جعفر.

* * *

٥٠- حداد لا تحرقه النار

قال بعض الصالحين: دخلت إلى مصر فوجدت حدادًا يخرج الحديد بيده من النار ويقلبه على السندان، ولا يجد لذلك ألمًا!! فقلت فى نفسى: هذا عبد صالح لا تعدو عليه النار، فدنوت منه وسلمت عليه فرد علىَّ السلام، فقلت له: يا سيدى بالذى منَّ عليك بهذه الكرامة إلا ما دعوت لى، فبكى وقال: والله يا أخى ما أنا كما ظننت، فقلت له: إن لهذا الأمر حديثًا عجيبًا، فقلت له: إن رأيت أن تعرفنى به فافعل، قال: نعم... كنت يومًا من الأيام جالسًا فى هذا الدكان وكنت كثير التخليط، إذ وقفت على امرأة لم أر قط أحسن منها وجهًا، فقالت: يا أخى هل عندك شىء لله؟ فلما نظرت إليها فتنت بها وقلت لها: هل لك أن تمضى معى إلى البيت وأدفع لك ما يكفيك؟ فنظرت إلى زمنًا طويلاً فذهبت وغابت عنى طويلاً، ثم رجعت وقالت: يا أخى قد أحوجتنى الضرورة إلى ما ذكرت، قال: فقفلت الدكان ومقيت بها إلى البيت، فقالت لى: يا هذا إنى لى أطفالاً وقد تركتهم على فاقة شديدة، فإن رأيت أن تعطينى شيئًا أذهب به إليهم وأرجع إليك فافعل، قال: فأخذت عليها العهود والمواثيق ودفعت لها بعضًا من الدراهم، فمضت، وغابت ساعة ثم رجعت،

فدخلت بها إلى البيت وأغلقت الباب، فقالت: لما فعلت هذا؟ فقلت لها: خوفًا من الناس، فقالت: ولم لا تخاف من رب الناس؟ فقلت لها: إنه غفور رحيم، ثم تقدمت إليها فوجدتها تضطرب كما تضطرب السعفة فى يوم ريح عاصف ودموعها تنحدر على خديها، فقلت لها: مم اضطرابك وبكاؤك؟ فقالت: خوفًا من الله عز وجل، ثم قالت لى يا هذا إن أنت تركتنى لله ضمنت لك أن الله لا يعذبك بالنار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، قال: فقمت وأعطيتها جميع ما كان عندى، وقلت لها: يا هذه لقد تركتك خوفًا من الله عز وجل، قال: فلما فارقتنى غلبتنى عينى فنمت، فرأيت امرأة لم أر قط أحسن منها وجهًا، وعلى رأسها تاج من الياقوت الأحمر، فقال لى: جزاك الله عنا خيرًا، قلت لها: ومن أنت؟ قالت: أنا أم الصبية التى تركتها خوفًا من الله عز وجل لا أحرقك الله بالنار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، فقلت لها: عرفينى بك ومن أى نسل أنت يرحمك الله، فقالت: أنا من نسل رسول الله - ﷺ - فتذكرت قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٣) ثم أفقت من منامى، ومن ذلك الوقت لم تعدُ علىَّ النار وأرجو أن لا تعدو علىَّ فى الآخرة. المواعظ والمجالس ص٢١٩ - ٢٢٠.

* * *

٥١- مات لسماع آية فيها ذكر النار!!

عن منصور بن عمار، قال: حججت حجة، فنزلت سكة من سكك الكوفة فخرجت فى ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل، وهو يقول: إلهى! وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك، وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل، ولكن خطيئة عرضت لى أعاننى عليها شقائى، وغرنى سترك المرخى على، وقد عصيتك بجهدى وخالفتك بجهلى، ولك الحجة على، فالآن من عذابك من يستنقذنى؟ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك منى؟ واشباباه! واشباباه!

قال: فلما فرغ من قوله تلوت آية من كتاب الله: ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ ﴾ (التحريم: ٦) فسمعت حركة شديدة، ثم لم أسمع بعدها حسًا فمضيت، فلما كان من الغد رجعت فى مدرجتى، وإذا بجنازة قد وضعت، وإذا بعجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن تعرفنى فقالت: هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه! مر بابنى تفطرت مرارته فوقع ميتًا. التوابين ص ١٩٣.

٥٢- إن مع العسر يسراً

عن أبى سعيد الحسين القطربلى، قال:

كان فى جيرانى رجل من أهل البيوتات، وكانت له نعمة، فزالت عنه، وساءت حاله جدًا، وكانت له زوجة وأربع بنات، فجلست زوجته، وأخذها المخاض فى الليل.

قال: ولم تكن لى حيلة فى الدنيا، فخرجت ليلاً، هاربًا على وجهى، أمشى، حتى أتيت جسر النهروان، وأملت أن ألقى عاملها، وكان يعرفنى، وأسأله تصريفى فى شىء، وتعجيل رزق شهر، لأنفذه إلى زوجتى.

فوصلت إلى الموضع، وقد ارتفع النهار، فقعدت أستريح بالقرب من بقال.

فإذا فيج - وهو السامى - قد جاء، فوضع مخلاته وعصاه، ثم قال للبقال: أعطنى كذا وكذا، من خبز، وتمر، وإدام، فأعطاه فأكل، ووزن له الثمن.

ثم فتح له مخلاته، فميز ما فيها من الكتب، فرأيت فيها كتابًا إلى، وعليه اسم منزلى واسمى، وكنيتى، ولا أعرف كاتبه.

فقلت للفيج: هذا الكتاب إلى.

فقال: أتدرى ما تقول؟

قلت له: قد قلت الصحيح، فإن مضيت إلى بغداد، لم تجد صاحب الكتاب، فقال: ههنا إنسان يعرفك؟

قلت: نعم، العامل.

قال: قم بنا إليه.

فجئت، فلما دخلت على العامل، قال: ما أقدمك علينا يا فلان؟

فقلت له: قبل كل شىء - أعزك الله - من أنا؟ وأين منزلى ببغداد؟.

فقال: أنت فلان بن فلان، ومنزلك بمدينة السلام، فى مدينة المنصور منها، فى سكة كذا وكذا.

قال: نعم.

قال: فحدثت العامل بحديثى، وأخذت الكتاب من الفيج، فإذا هو من بعض المستورين بالدينور، يذكر أن ابن عم كان لى قد توفى، بعد أن أوصى إليه أنى وارثه، وسمانى له، ووصف منزلى ببغداد.

قال: وقد كتب الرجل يذكر أن ابن عمى أوصى بالثلث من ماله فى وجوه من أبواب القرب، وأن يسلم باقى ثلثيه إلى، وأنه باع من أثاثه ومنقوله، ما خاف فساده من تركته، وصرف الثلث منه فى بعض ما كان أوصى به، وأنفذ إلى سفتجة بالثلثين من ذلك، مبلغها سبعمائة دينار وكذا وكذا ديناراً، تحل بعد أربعين يوماً، على تاجر فى دار القطن بالكرخ.

وقال: الوجه أن تبادر إلى الدينور وتبيع العقار والضياع، أو أبيع الثلث منها ليصرف فى وجوهه، وتتمسك بالثلثين إذا شئت.

قال: فورد على من السرور ما لا عهد لى بمثله، وحمدت الله عز وجل.

فقلت للفيج: قد وجب حقك، وسأحسن إليك، وشرحت له قصتى وأنه لا حبة معى فضة فما فوقها.

فجاء إلى البقال، فقال: زن لأستاذى بكذا وكذا خبزاً، وبكذا وبكذا إداماً، وما يريد غيرهما، فتغديت، ووزن الفيج ثمن ذلك من عنده، واستأجر حمارين، فأركبنى أحدهما، وركب هو الآخر، ووزن الأجرة من عنده.

وجئنا فى بقية يومنا إلى بغداد، وقصدنا دار القطن، وفى النهار بقية صالحة، فأوصلت السفتجة إلى التاجر، فنظرها، وقال: صحيحة، إذا حل الأجل، فاحضر للقبض.

فقلت له: خذ حديثى، وافعل بعد ذلك ما يوفقك الله تعالى له: وقصصت عليه قصتى، فقال لى: والله الذى لا إله إلا هو، إنك صادق؟ فحلفت.

فأخرج كيساً كان بقربه، فوزن لى منه مال السفتجة.

وصرت من وقتى إلى السوق، فاشتريت سويقاً، وسكراً، وعسلاً، وسيرجاً، وخبزاً عظيماً، وخروفاً مشوياً، وحلوى، مما يصلح للنساء فى النفاس ومهداً، وفرشاً حسناً، وعطراً صالحاً، وشيئاً من ثياب.

وصرت إلى منزلى، وقد قرب العشاء الآخرة، فوجدت كل من فيه من النساء يلعننى، ويدعون علىّ، فقدمت الحمالين، ودخلت وراءهم، فانقلبت الدار بالدعاء لى، وصار الغم سروراً، ووجدت زوجتى قد ولدت غلاماً.

فعرفت الصبيان خبر السفتجة، والميراث، والفيج، وأعطيت الزوجة، والقابلة، من الدنانير شيئاً.

وأقمت الفيج عندى أياماً، حتى أصلحت من أمرى، وأمر عيالى، ما وجب صلاحه،

وخلفت لهم نفقة، وأخذت من الدنانير نفقة، وأعطيت الفيج منها فأجزيت له، واكتريت حمارين، لي وله، واستصحبته إلى الدينور.

فوجدت فيها ما تحصل لي مما خلفه ابن عمي نحو عشرة آلاف دينار، فبعت ذلك كله، وأخذت بحصتي سفاتج إلى بغداد.

وعدت وقد فرج الله عنى، وقد صلح حالى وأنا أعيش فى بقية تلك الحال إلى الآن.

الفرج بعد الشدة (٣/ ٢٦٨، ٢٧٢) للتنوخى

* * *

٥٣- الإحسان إلى الأرملة والفقير

قال أحمد بن مسكين الفقيه البغدادى رحمه الله: إنى امتحنت بالفقر سنة تسع عشرة ومائتين، وانحسمت مادتى، وقحط منزلى قحطًا شديدًا، جمع على الحاجة، والضر والمسكنة، فلو انكمشت الصحراء المجدبة فصغرت،ثم صغرت، حى ترجع أذرعًا فوق أذرع، لكانت هى دارى يومئذ فى محلة باب البصرة من بغداد.

وجاء يوم صحراوى كأنما طلعت شمسه من بين الرمال، لا من بين السحب، ومرت الشمس على دارى فى بغداد مرورها على الورقة الجافة المعلقة فى الشجرة الخضراء، فلم يكن عندنا شىء يسيغه حلق آدمى، إذ لم يكن فى الدار إلا ترابها وحجارتها وأجذاعها، ولى امرأة ولى منها طفل صغير، وقد طوينا على جوع يخسف بالجوع خسفًا كما تهبط الأرض، فتمنيت حينئذ لو كنا جرذانًا فقرض الخشب، وكان جوع الصبى يزيد المرأة ألمًا إلى جوعها، وكنت بهما كالجائع بثلاثة بطون خاوية.

فقلت فى نفسى: إذا لم نأكل الخشب والحجارة فلنأكل بثمنها، وجمعت نيتى على بيع الدار، والتحول عنها، وإن كان خروجى منها كالخروج من جلدى، لا يسمى إلا سلخًا وموتًا، وبت ليلتى وأنا كالمثخن حمل من معركة، فما يتقلب إلا على جراح تعمل فيه عمل السيوف والأسنة التى عملت فيها.

ثم خرجت بغلس لصلاة الصبح، ولما قضيت الصلاة رفع الناس أكفهم يدعون الله، جرى لسانى بهذا الدعاء.

اللهم بك أعوذ أن يكون فقرى فى دينى، وأسألك النفع الذى يصلحنى بطاعتك، وأسألك بركة الرضا بقضائك، وأسألك القوة على الطاعة، والرضا يا أرحم الراحمين.

ثم جلست أتامل شأنى، وأطلت الجلوس فى المسجد كأنى لم أعد من أهل الزمن، فلا تجرى على أحكامه، حتى إذا ارتفع الضحى وابيضت الشمس جاءت حقيقة الحياة، فخرجت أتسبب لبيع الدار، وانبعثت وما أدرى أين أذهب، فما سرت غير بعيد حتى لقينى أبو نصر الصياد، وكنت أعرفه قديمًا، فقلت: يا أبا نصر: أنا على بيع الدار، فقد ساءت الحال وأحوجت الخصاصة، فأقرضنى شيئًا يمسكنى على يومى هذا بالقوام من العيش حتى أبيع الدار وأوفيك.

فقال: خذ هذا المنديل إلى عيالك وأنا على أثرك لاحق بك إلى المنزل، ثم ناولنى منديلاً فيه رقاقتان بينهما حلوى، وإنهما والله من الشيخ.

قلت: من الشيخ وما القصة؟

قال: وقفت أمس على باب هذا المسجد، وقد انصرف الناس من صلاة الجمعة، فمر بى بشر الحافى، فقال: ما لى أراك فى هذا الوقت؟

قلت: ما فى البيت دقيق، ولا خبز، ولا درهم، ولا شىء يباع، فقال: الله المستعان، احمل شبكتك وتعال إلى الخندق فحملتها وذهبت معه، فلما انتهينا إلى الخندق قال لى:

توضأ وصل ركعتين، ففعلت، فقال: سم الله تعالى، وألق الشبكة، فسميت وألقيتها، فوقع فيها شىء ثقيل، فجعلت أجره فشق على، فقلت له ساعدنى فإنى أخاف أن تنقطع الشبكة، فجاء وجرها معى، فخرجت سمكة عظيمة لم أر مثلها سمنًا وعظمًا وفراهة.

فقال: خذها وبعها واشتر بثمنها ما يصلح عيالك، فحملتها فاستقبلنى رجل اشتراها، فاتبعت لأهلى ما يحتاجون إليه، فلما أكلت وأكلوا ذكرت الشيخ فقلت: أهدى له شيئًا، فأخذت هاتين الرقاقتين وصعلت بينهما هذه الحلوى، وأتيت إليه فطرقت الباب، فقال: من؟ قلت: أبو نصر.

قال: افتح، فدخلت وحدثته بما صنعت، فقال: الحمد لله على ذلك.

فقلت: إنى هيأت للبيت شيئًا، وقد أكلوا وأكلت ومعى رقاقتان فيهما حلوى.

قال: يا أبا نصر، لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة، اذهب كله أنت وعيالك.

قال أحمد بن مسكين: وكنت من الجوع بحيث لو أصبت رغيفًا لحسبته مائدة أنزلت من السماء، ولكن كلمة الشيخ عن السمكة أشبعتنى شبعًا ليس من هذه الدنيا، كأنما طعمت منها ثمرة من ثمار الجنة.

وأخذت الرقاقتين وأنا أقول فى نفسى : لعن الله هذه الدنيا، ومضيت إلى دارى، فلما كنت فى الطريق لقيتنى امرأة معها صبى، فنظرت إلى المنديل، وقالت : هذا طفل يتيم جائع، ولا صبر له على الجوع، فأطعمه شيئا يرحمك الله، ونظر إلى الطفل نظرة لا أنساها، حسبت فيها خشوع ألف عابد، وخيل إلى حينئذ أن الجنة نزلت إلى الأرض تعرض نفسها على من يشبع هذا الطفل وأمه، والناس عمى لا يبصرونها.

وذكرت امرأتى وابنها وهما جائعان منذ أمس، غير أنى أجد لهما فى قلبى معنى الزوجة والولد، بل معنى هذه الزوجة المحتاجة وصبيها، فأسقطتها عن قلبى، ودفعت ما فى يدى إلى المرأة وقلت لها : خذى وأطعمى ابنك، والله ما أملك بيضاء ولا صفراء، وإن فى دارى لمن هو أحوج إلى هذا الطعام، فدمعت عيناها، وأشرق وجه الصبى.

وقلت فى نفسى : أما أنا فأطوى، فقد كان أبو بكر الصديق يطوى ستة أيام، وكان ابن عمر يطوى، وكان فلان وفلان ممن حفظنا أسماءهم، وروينا أخبارهم، ولكن من للمرأة وابنها، وكيف لى بهما؟!.

ومشيت وأنا منكسر منقبض، وكأنى كنت نسيت كلمة الشيخ : لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة، فذكرتها وصرفت خاطرى إليها وشغلت نفسى بتدبرها وقلت : لو أنى أشبعت ثلاثة بجوع اثنين لحرمت خمس فضائل.

وهذه الدنيا محتاجة إلى الفضيلة.

وجلست إلى حائط أفكر فى بيع الدار ومن يبتاعها، فأنا كذلك إذ مر أبو نصر الصياد، وكأنه مستطار فرحًا، فقال : يا أبا محمد، ما يجلسك ها هنا وفى دارك الخير والغنى؟

قلت : سبحان الله، ومن أين خرجت السمكة، يا أبا بشر؟!

قال : إنى لفى الطريق إلى منزلك، ومعى ضرورة من القوت أخذتها لعيالك ودراهم استدنتها لك، إذا رجل يستدل الناس عن أبيك أو أحد من أهله، ومعه أثقال وأحمال، فقلت له : أنا أدلك، ومشيت معه أسأله عن خبره وشأنه عند أبيك.

فقال : إنه تاجر من البصرة، وقد كان أبوك أودعه مالاً من ثلاثين سنة، فأفلس وانكسر المال، ثم ترك البصرة إلى خراسان، فصلح أمره على التجارة هناك، وأسير بعد المحنة، واستظهر بعد الخذلان، وأقبل جده بالثراء والغنى، فعاد إلى البصرة، وأراد أن يتحلل، فجاءك بمال وعليه ما كان يربحه فى هذه الثلاثين سنة، وإلى ذلك طرائف وهدايا.

قال أحمد بن مسكين: وانقلبت إلى دارى فإذا مال جم وحال جميلة، فقلت: صدق الشيخ: لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة.

فلو أن هذا الرجل لم يلق فى وجهة أبا نصر فى هذه الطريق، فى هذا اليوم، فى هذه الساعة لما اهتدى إلى، فقد كان أبى مغموراً لا يعرفه أحد وهو حى، فكيف به ميتًا من وراء عشرين سنة؟ وآليت ليعلمن الله شكرى هذه النعمة، فلم تكن لى همة إلا البحث عنه المرأة المحتاجة وابنها، فكفيتها وأجريت عليها رزقًا، ثم اتجرت فى المال، وجعلت أربه فى المعروف والصنيعة والإحسان، وهو مقبل يزداد ولا ينقص، حى تمولت وتأثلت، وكأنى قد أعجبتنى نفسى، وسرنى أنى قد ملأت سجلات الملائكة بحسناتى، ورجوت أن أكون قد كتبت عند الله فى الصالحين، فنمت ليلة فرأيتنى فى يوم القيامة، والخلق يموج بعضهم فى بعض، والهول هول الكون الأعظم على الإنسان الضعيف، يسأل عن كل ما مسه من هذا الكون، وسمعت الصائح يقول:

يا معشر بنى آدم، سجدت البهائم شكراً لله أنه لم يجعلها من آدم، ورأيت الناس وقد وسعت أبدانهم فهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مخلوقة مجسمة، حتى لكان الفاسق على ظهرة مدينة كلها مخزيات.

وقيل: وضعت الموازين، وجيء بى لوزن أعمالى، فجعلت سيئاتى فى كفة، وألقيت سجلات حسناتى فى الأخرى، فطاشت السجلات ورجحت السيئات، كأنما وزنوا الجبل الصخرى العظيم بلفافة من قطن، ثم يلقون الحسنة بعد الحسنة مما كنت أصنعه، فإذا تحت كل حسنة شهوة خفية من شهوات النفس، كالرياء، والغرور، وحب المحمدة عند الناس، وغيرها، فلم يسلم لى شىء، وهلكت عنى حجتى، إذ الحجة ما يبينه الميزان، والميزان لم يدل إلا على أنى فارغ.

وسمعت الصوت: ألم يبق لى شىء؟ فقيل: بقى هذا.

وأنظر لأرى ما هذا الذى بقى، فإذا الرقاقتان اللتان أحسنت بهما على المرأة وابنها، فأيقنت أنى هالك، فلقد كنت أحسن بمائة دينار ضربة واحدة، فما أغنت عنى، ورأيتها فى الميزان مع غيرها شيئًا معلقًا، كالغمام حين يكون ساقطًا بين السماء والأرض، لا هو فى هذه ولا هو فى تلك.

ووضعت الرقاقتين، وسمعت القائل: لقد طار نصف ثوابهما فى ميزان أبى نصر

الصياد، فانخذلت انخذالاً شديداً، حتى لو كسرت نصفين لكان أخف على وأهون، بيد أنى نظرت فرأيت كفة الحسنات قد نزلت منزلة ورجحت بعض الرجحان.

وسمعت الصوت: ألم يبق له شىء؟ فقيل: بقى هذا.

وأنظر ما هذا الذى بقى، فإذا جوع امرأتى وولدى فى ذلك اليوم، وإذا هو شىء يوضع فى الميزان، وإذا هو ينزل بكفة ويرتفع بالأخرى حتى اعتدلتا بالسوية، وثبت الميزان على ذلك فكنت بين الهلاك والنجاة.

وأسمع الصوت: ألم يبق له شىء؟ فقيل: بقى هذا.

ونظرت فإذا دموع تلك المرأة المسكينة حين بكت من أثر المعروف فى نفسها، ومن إيثارى إياها وابنها على أهلى، ووضعت غرغرة عينيها فى الميزان ففازت، فطمت كأنها لجة، من تحت اللجة بحر، وإذا سمكة هائلة خرجت من اللجة وقع فى نفسى أنها روح تلك الدموع، فجعلت تعظم، ولا تزال تعظم، والكفة ترجح ولا تزال ترجح، حتى سمعت الصوت يقول: قد نجا، وصحت صيحة انتبهت لها، فإذا أنا أقول: لو أطعمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة.

وحى القلم (٢ / ١٧٠) للرافعى

* * *

٥٤- دع ما أنت فيه!!

عن مفضل بن مهلهل قال: حججت مع سفيان، فوافينا بمكة الأوزاعى، فاجتمعنا فى دار، وكان على الموسم عبد الصمد بن على، فدق داق الباب، قلنا: من ذا؟ قال: الأمير، فقام النورى، فدخل المخرج، وقام الأوزاعى فتلقاه، فقال له: من أنت أيها الشيخ؟ قال: أنا الأوزاعى، قال: حياك الله بالسلام، أما إن كتبك كانت تأتينا فنقضى حوائجك، ما فعل سفيان؟ قال: فقلت: دخل المخرج، قال: فدخل الأوزاعى فى إثره، فقال: إن هذا الرجل ما قصد إلا قصدك فخرج سفيان مقطبًا، فقال: سلام عليكم، كيف أنتم؟ فقال له عبد الصمد: أتيت أكتب عنك هذه المناسك، قال: أولا أدلك على ما هو أنفع لك منها؟ قال: وما هو؟ قال: تدع ما أنت فيه!.

قال: وكيف أصنع بأمر المؤمنين؟ قال: إن أردت كفاك الله يا أبا جعفر.

فقال له الأوزاعى: يا أبا عبد الله، إن هؤلاء ليس يرضون منك إلا الإعظام لهم، فقال: يا أبا عمرو، إنا لسنا نقدر أن نضربهم، وإنما نؤدبهم بمثل هذا الذى ترى.

قال مفضل: فالتفت إلى الأوزاعى فقال لى: قم بنا من ها هنا، فإنى لا آمن أن يبعث هذا من يضع فى رقابنا حبالاً، وإن هذا لا يبالى. الحلية ٧/ ٣٩.

* * *

٥٥- تاب... ثم مات!!

قال بعض الصالحين:

كنا فى مجلس بعض الوعاظ فوعظ حتى أبكى من حضر، وكان فى المنزل شاب فذكر الواعظ النار وما أعد الله تعالى فيها من العذاب الأليم لمن عصاه، فصاح الشاب: واسفى على ما فرطت فى جنب الله، ضيعت عمرى، ونسيت أهلى، وقصرت فى عملى... ثم استقبل القبلة وقال: اللهم إنى استقبلتك فى يومى هذا بتوبة لك لا يخالطها رياء لغيرك فاقبلنى على ما كان منى، وأقل عثرتى، وارحم غربتى، إلهى إليك رجعت بجميع جوارحى صادقًا من قلبى، فالويل لى إن لم تقبلنى... ثم سقط مغشيًا عليه، فحركناه فإذا هو ميت... رحمة الله تعالى عليه.

المواعظ والمجالس صـ٦٥

* * *

٥٦- ما ولدت النساء مثله!!

غزا بسر بن أرطاة الروم مرة، فكانت ساقته -مؤخرة الجيش- لا يزال يصاب منها طرف، فجعل يلتمس أن يصيب الذين يلتمسون عورة ساقته، فيمكن لهم الكمين، فلم تصب كمائنه ولم تظفر، فلما رأى ذلك تخلف فى مائة من جيشه، ثم جعل يتأخر حتى تخلف وحده، فبينما هو يسير فى بعض أودية الروم، إذ رفع إلى قرية فيها جوز كثير، وإذا براذين مربوطة بأشجار الجوز، وإلى جانب الأشجار كنيشة فيها فرسان، وكانت تلك براذين الذين كانوا يتعقبونه فى ساقته، ونزل «بسر» عن فرسه فربطه مع تلك البراذين، ثم مضى حتى أتى الكنيسة، فدخلها ثم أغلق عليه وعليهم بابها، فجعلت الروم تعجب من إغلاقه وهو وحده، فما استمالوا إلى رماحهم حتى صرع عنهم ثلاثة، وفقده أصحابه، فلاموا أنفسهم وقالوا: إنكم لأهل لأن تجعلوا مثلاً للناس، إن أميركم خرج معكم فضيعتموه حتى هلك، ولم يهلك منكم أحد، فبينما هم يسيرون فى الوادى إذ بهم قد أتوا على مرابط البراذين،

وإذا فرس «بسر» مربوط معها فعرفوه، وسمعوا الجلبة فى الكنيسة فدخلوها، فلما رآهم «بسر» سقط مغشيًا عليه فأقبلوا على من كان باقيًا فأسروه، وقتلوا من قتلوا، فأقبلت عليهم الأسارى يقولون لهم: ننشدكم بالله، من هذا الذى دخل علينا؟.

فقالوا: بسر بن أرطاة.

فقالوا: ما ولدت النساء مثله، فعمدوا إلى جلد فوضعوه فى جوفه، ثم عصبوه بعمائهم، وحملوه على شقه التى ليست بها جراحة، حتى أتوا به العسكر فخاطوا جراحه، فسلم وعوفى.

السير (٣/ ٢٧٤)

* * *

٥٧- بم تلين القلوب؟!

قال عمر الطرسوسى: ذهبت أنا ويحيى الجلاء إلى أبى عبد الله بن حنبل -رحمه الله- فسألته فقلت: رحمك الله يا أبا عبد الله... بم تلين القلوب؟! فنظر إلى أصحابه، ثم أطرق ساعة ثم رفع رأسه، فقال: يا بنى بأكل الحلال!! فمررت إلى أبى نصر بن بشر بن الحارث الحافى -رحمه الله- فقلت له: يا أبا نصر! بم تلين القلوب؟! فقال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب، فقلت: فإنى جئتك من عند أبى عبد الله، فقال: هيه... إيش قال لك أبو عبد الله؟! قلت: قال: بأكل الحلال، فقال: جاء بالأصل، فمررت إلى عبد الوهاب بن أبى الحسن -رحمه الله- فقلت: يا أبا الحسن! بم تلين القلوب! قال: ألا بذكر الله تطمئن القلوب، قلت: فإنى جئت من عند أبى عبد الله أحمد بن حنبل، فاحمرت وجنتاه من الفرح، وقال: إيش قال أبو عبد الله؟ فقلت: قال: بأكل الحلال، فقال: جاءك بالجوهر!! جاءك بالجوهر!! الأصل كما قال!! الأصل كما قال.

الحلية (٩/ ١٨٢)

* * *

٥٨- الأجوبة المسكتة!!

حكى أن الحجاج سأل يومًا الغضبان بن القبعثرى عن مسائل يمتحنه فيها، من جملتها أن قال له:

من أكرم الناس؟ قال: أفقههم فى الدين وأصدقهم لليمين، وأبذلهم للمسلمين، وأكرمهم للمهانين، وأطعمهم للمساكين.

قال: فمن ألأم الناس؟ قال: المعطى على الهوان، المقتر على الإخوان، الكثير الألوان..

قال: فمن شر الناس؟ قال: أطولهم جفوة، وأدومهم صبوة، وأكثرهم خلوة، وأشدهم قسوة.

قال: فمن أشجع الناس؟ قال: أضربهم بالسيف، وأقراهم للضيف، وأتركهم للحيف.

قال: فمن أجبن الناس؟ قال: المتأخر عن الصفوف، المنقبض على الزحوف، المرتعش عن الوقوف، المحب ظلال السقوف، الكاره لضرب السيوف.

قال: فمن أثقل الناس؟ قال: المتفنن فى الملام، الضنين بالسلام، المهذار فى الكلام المقبقب على الطعام.

قال: فمن خير الناس؟ قال: أكثرهم إحسانًا، وأقومهم ميزانًا، وأدومهم غفرانًا، وأوسعهم ميدانًا، قال: لله أبوك، فكيف يعرف الرجل الغريب، أحسيب هو أم غير حسيب؟ قال: أصلح الله الأمير، إن الرجل الحسيب يدلك أدبه وعقله وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على أصله، فالعاقل البصير بالأحساب يعرف شمائله، والنذل الجاهل يجهله، فمثله كمثل الدرة إذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها، وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها، فهى عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفية.

فقال الحجاج: لله أبوك، فما العاقل والجاهل؟

قال: أصلح الله الأمير، العاقل الذى لا يتكلم هذرًا، ولا ينظر شزرًا، ولا يضمر غدرًا، ولا يطلب عذرًا، والجاهل هو المهذار فى كلامه، والمنان بطعامه، الضنين بسلامه، المتطاول على إمامه، الفاحش على غلامه.

قال: لك أبوك، فما الحازم الكيس؟ قال: المقبل على شأنه التارك لما لا يعينه، قال: فما العاجز؟ قال: المعجب بآرائه الملتفت إلى ورائه. المستطرف ص٥٥.

* * *

٥٩- شبيه يوسف!!

قال حصين بن عبد الرحمن: بلغني أن فتى من أهل المدينة كان يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب ﷺ، وكان عمر يتفقده إذا غاب، فعشقته امرأة من أهل المدينة، فذكرت ذلك لبعض نسائها، فقالت: أنا أحتال لك في إدخاله عليك، فقعدت له في الطريق، فلما مر بها قالت له: إني امرأة كبيرة في السن ولي شاة لا أستطيع أن أحلبها، فلو دخلت فحلبتها لي، وكان أرغب شيء في الخير، فدخل فلم ير شاة، فقالت: اجلس حتى آتيك بها، فإذا المرأة قد طلعت عليه، فلما رأى ذلك عمد إلى محراب في البيت فقعد فيه، فأرادته عن نفسه فأبى، وقال: اتقي الله أيتها المرأة، فجعلت لا تكف عنه ولا تلتفت إلى قوله، فلما أبى عليها صاحت عليه فجاءوا فقالت: إن هذا دخل علي يريدني عن نفسي، فوثبوا عليه وجعلوا يضربونه وأوثقوه، فلما صلى عمر الغداة فقده، فبينما هو كذلك إذ جاءوا به في وثاق، فلما رآه عمر قال: اللهم لا تخلف ظني به، قال: ما لكم؟ قالوا: استغاثت امرأة بالليل فجئنا فوجدنا هذا الغلام عندها فضربناه وأوثقناه، فقال عمر ﷺ: اصدقني، فأخبره بالقصة على وجهها، فقال له عمر ﷺ: أتعرف العجوز؟ فقال: نعم إن رأيتها عرفتها، فأرسل عمر إلى نساء جيرانها وعجائزهن فجاء بهن فعرضهن، فلم يعرفها فيهن، حتى مرت به العجوز فقال: هذه يا أمير المؤمنين، فرفع عمر عليها الدرة وقال: اصدقيني؟ فقصت عليه القصة كما قصها الفتى: فقال عمر: الحمد لله الذي جعل فينا شبيه يوسف.

روضة المحبين صـ ٣٩٥

* * *

٦٠- حسن أدب وحسن تعلم!!

كان الخليفة المأمون قد وكل الفراء يلقن ابنيه النحو، فلما كان يومًا أراد الفراء أن ينهض إلى بعض حوائجه، فابتدرا إلى نعل الفراء يقدمانها له، فتنازعا أيهما يقدمها، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما فردة، فقدماها، وكان المأمون له على كل شيء صاحب خبر، فرفع إليه ذلك الخبر، فوجه إلى الفراء فاستدعاه، فلما دخل عليه قال له: من

أعز الناس؟ قال: ما أعرف أحداً أعز من أمير المؤمنين، قال: بلى، من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليا عهد المسلمين، فى رضا كل واحد منهما أن يقدم له فردة.

قال: يا أمير المؤمنين، لقد أردت منعها من ذلك، ولكن خشيت أن أدفعهما عن مكرمة سبقا إليها وأكسر نفوسهما عن شريفة حصلا عليها، وقد روى عن ابن عباس أنه أمسك للحسن والحسين - رضي الله عنهما - ركابيهما حتى خرجا من عنده، فقال له بعض من حضر: أتمسك لهذين الحدثين ركابيهما، وأنت أسن منهما؟ فقال له: اسكت يا جاهل، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذو الفضل.

قال له المأمون: لو منعتهما عن ذلك، لأوجعتك لومًا وعتبًا، وألزمتك ذنبًا، وما وضع ما فعلاه من شرفهما، بل رفع من قدرهما، وبين عن جوهرهما، ولقد ثبتت لى مخيلة الفراسة بفعلهما، فليس يكبر الرجل وإن كان كبيرًا عن ثلاث: عن تواضعه لسلطانه، ووالده، ومعلمه العلم، وقد عوضتهما بما فعلاه عشرين ألف دينار، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما.

تاريخ بغداد (١٤/ ١٥)

* * *

٦١- تحملة الفيلة مسيرة ثمانية أيام!!

ركب أبو عبد الله القلانسى البحر فى بعض سياحته، فعصفت عليهم الريح فى مركبهم، فدعا أهل المركب وتضرعوا ونذروا النذور، فقالوا لأبى عبد الله: كلنا قد عاهدنا الله ونذرنا إن نجانا الله، فانذر أيضًا أنت وعاهد الله عهدًا، قال: أما متجرد من الدنيا، ما لى والنذر، قال: فألحوا على، فقلت: لله على إن خلصنى الله مما أنا فيه أن لا آكل لحم الفيل.

فقالوا: إيش هذا النذر؟ وهل يأكل لحم الفيل أحد؟ فقلت: كذا وقع فى سرى وأجرى الله على لسانى، وانكسرت السفينة ووقعت فى جماعة من أهلها إلى الساحل، فبقينا أيامًا لم نذق ذواقًا، فبينما نحن قعود إذا نحن بولد فيل فأخذوها فذبحوها فأكلوا من لحمها وعرضوا على أكله، فقلت: أنا نذرت وعاهدت الله أن لا آكل لحم الفيل، فاعتلوا على بأنى مضطر ولى فسخ العهد الإضطرارى، فأبيت عليهم وثبت على العهد.

فأكلوا وامتلئوا وناموا، فبينما هم نيام، إذ جاءت الفيلة تطلب ولدها وتتبع أثرها فلم

تزل تشم واحداً واحداً فكلما شمت من واحد رائحة اللحم داسته برجلها أو بيدها فقتلته حتى قتلت كلهم، ثم أقبلت إلى فلم تزل تشمنى، فلم تجد منى رائحة اللحم، فأدارت مؤخرتها وأومأت إلى بخرطومها أن اركب، فلم أقف على ما أومأت، فرفعت ذنبها ورجلها، فعلمت أنها تريد منى ركوبها، فركبتها فاستويت عليها، وأومأت إلى أن استو، فاستويت على شيء وطيء، فسارت بى سيراً عنيفاً إلى أن جاءت بى فى ليلتى إلى موضع زرع وسواد، فأومأت إلى أن أنزل، فنزلت برجلها حتى نزلت عنها، فسارت سيراً أشد من سيرها بى، فلما أصبحت رأيت زرعًا وسواداً وناسًا فحملونى إلى ملكهم وسألنى ترجمانه فأخبرته بالقصة وما جرى على القوم، فقال لى: تدرى كم المسير الذى سارت بك الفيلة؟ فقلت: لا، فقال: مسيرة ثمانية أيام، سارت بك فى ليلة واحدة، فلبثت عندهم إلى أن حملت ورجعت.

الحلية (١٠/ ١٦٠)

* * *

٦٢- آية الإجماع

عن محمد بن عقيل الفريابى قال: قال المزنى ـ أو الربيع: «كنا يومًا عند الشافعى إذ جاء شيخ عليه ثياب صوف، وفى يده عكازة، فقام الشافعى وسوى عليه ثيابه وسلم الشيخ وجلس، وأخذ الشافعى ينظر إلى الشيخ هيبة له إذ قال الشيخ: أسأل؟ قال: سل، قال: ما الحجة فى دين الله؟ قال: كتاب الله، قال: وماذا؟ قال: سنة رسول الله ﷺ، قال: وماذا؟! قال: اتفاق الأمة، قال: أين قلت: اتفاق الأمة؟! فتدبر الشافعى ساعة، فقال الشيخ: قد أجلتك ثلاثًا، فإن جئت بحجة من كتاب الله، وإلا تب إلى الله ـ تعالى ـ فتغير لون الشافعى، ثم إنه ذهب فلم يخرج إلى اليوم الثالث بين الظهر والعصر، وقد انتفخ وجهه ويداه ورجلاه، وهو مستقام فجلس، فلم يكن بأسرع من أن جاء الشيخ، فسلم وجلس فقال: حاجتى؟ فقال الشافعى: نعم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله ـ تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى...** ﴾ (النساء: ١١٥) قال: فلا يصليه على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض، فقال: صدقت، وقام فذهب، فقال الشافعى: قرأت القرآن فى كل يوم وليلة ثلاث مرات، حتى وقفت عليه».

السير (١٠/ ٨٣)

٦٣- الشيخ الصغير

قال أحمد بن النضر الهلالي: سمعت أبي يقول: «كنت في مجلس سفيان بن عيينة فنظر إلى صبي، فكأن أهل المسجد تهاونوا به لصغره، فقال سفيان: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ (النساء: ٩٤) ثم قال: يا نضر، لو رأيتني ولي عشر سنين، طولي خمسة أشبار ووجهي كالدينار، وأنا كشعلة نار، ثيابي صغار، وأكمامي قصار، وذيلي بمقدار، ونعلي كآذان الفار، أختلف إلى علماء الأمصار كالزهري وعمرو بن دينار، أجلس بينهم كالمسمار، معبرتي كالجوزة، وقلمتي كالموزة، وقلمي كاللوزة، فإذا أتيت قالوا: أوسعوا للشيخ الصغير، ثم ضحك».

السير (٨/ ٤٥٩)

* * *

٦٤- من تلاميذ الملائكة!!

قال محمد بن المظفر: روى لنا أن أبا محفوظ معروف بن فيروز الكرخي كان أبواه فارسيين نصرانيين، فأسلماه وهو صغير إلى من يعلمه كتابهم، فكان يقول له: قل: أب وابن وزوجته، فيقول معروف: إله واحد، فيضربه المعلم، ثم يعود لتعليمه، فيأبى إلا أن يقول: إله واحد، وضربه المعلم يومًا من الأيام ضربًا مبرحًا، فهرب معروف، فلم يطق أبواه صبرًا، وكادا يهلكان جزعًا عليه، وكانا يقولان: ليتنا لو وجدناه على أي دين كان فندين بدينه، ولم يزل معروف يسير في الأرض حتى لقي علي بن موسى الرضا وهو غلام - فأسلم على يديه، وتولاه وخدمه مدة طويلة، ثم عاد إلى أهله بعد ذلك، فقرع الباب على أبويه ليلاً، فقالا: من؟ قال: معروف، قالا - قبل أن يفتحا له الباب: على أي دين أنت؟ قال: على دين الإسلام، قالا: ادخل، فنحن على دينك.

وأسلما وجمع الله شملهم على الهدى.

وبلغني أن معروفًا كلم أبويه في أمر دينهما بكلام كرهاه، فقالت أمه لأبيه: إن ابنك طفل لا يحسن هذا الكلام، وإنما أفسده عليك بعض المسلمين، فأحبسه في بيتك، فإن

ذلك أنفع له، فحبسه في خزانة بيته أيامًا، ثم رق عليه فأخرجه، فعاد إلى الخزانة، وكان بعد ذلك لا يخرج منها إلا أن يخرجوه كرهًا، فقال له أبوه: إلى كم لا تبرح في هذه الخزانة؟

قال: إنى وجدت فيها الذى زعمتما أنه أفسدنى عليكما.

قال أبوه: من هذا؟ فصمت عنه، قال أبوه لأمه: هذا عملك!! لقط خلط وندى فى عقله!! وانطلق به إلى راهب، فقص عليه خبره، وسأله أن يرقيه ويعوذه.

فقال له الراهب: من الذى أفسدك على أبويك؟ قال: قلبى، ما زال يفكر فى الذى فطر الأرض والسماء، ويفكر فى حالهما ومآلهما.

قال الراهب: مكانك حتى أخرج إليك، ودخل صومعته، فأخرج دواة ورقا، ثم أعاد المسألة على معروف، وكتب جوابه، وقال لفيروز: يا فيروز، لولا أنك قلت لى إنه ابنى، لقلت: إنه من تلاميذ الملائكة.

فانصرف فيروز بابنه مسرورًا، قال معروف: فحدثت بذلك مولاى على بن موسى الرضا، فقال: إنك من تلاميذ الملائكة. أنباء نجباء الأبناء صـ١٨٥ – ١٨٧.

* * *

٦٥- المراقبة

قال أعرابى: خرجت فى ليلة ظلماء فإذا أنا بجارية كأنها علم منارة فأردتها فقالت: أما لك زاجر من عقل إذ لم يكن لك ناه من دين؟! فقلت: والله ما يرانا إلا الكواكب فقالت: وأين مكوكبها؟

* * *

٦٦- لا تخف إلا من الله

أمر هارون الرشيد بالمعروف إذ حنق عليه فقال: اربطوه مع بغلة سيئة الخلق لتقتله فلم تقض فيه شيئًا فقال: اسجنوه وطينوا عليه البيت ففعلوا فرئى فى بستان فأتى به فقال له: من أخرجك من السجن؟ قال: الذى أدخلنى البستان، فقال: ومن أدخلك البستان؟ قال: الذى أخرجنى من السجن، فعلم هارون أنه لن يقدر على ذله فأمر هارون أن يركب على دابة وينادى عليه: «ألا إن هارون أراد أن يذل عبداً أعزه الله فلم يقدر».

* * *

٦٧- أينام الله؟!

حكى أن رجلاً تعلق قلبه بامرأة بدوية ذهبت إلى حاجة لها فتبعها فلما خلا بها فى البادية [الصحراء] والناس نيام حولها راودها عن نفسها فقالت له : انظر أنام الناس جميعًا؟ ففرح الرجل وظن أنها قد أجابته فقام وطاف حول مضارب الحى فإذا الناس نيام فرجع إليها وأخبرها فقالت له : ما تقول فى الله تعالى أنائم هو فى هذه الساعة؟! فقال الرجل : إن الله لا ينام ولا تأخذه سنة ولا نوم، فقالت المرأة : إن الذى لم ينم ولا ينام يرانا وإن كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف فتركها وتاب ورئى فى المنام وقيل له : ما فعل الله بك؟ قال : غفر لى لخوفى منه .

* * *

٦٨- امرأة متوكلة

روى أن قومًا من الأعراب زرعوا زرعًا فأصابته جائحة [مصيبة] فحزنوا لأجله فخرجت عليهم أعرابية فقالت : ما لى أراكم قد نكستم رءوسكم وضافت صدوركم؟ هو ربنا والعالم بنا رزقنا عليه يأتينا به من حيث يشاء ثم أنشأت تقول :

لو كان فى صخرة البحر راسية صما ململة ملسًا نواحيها رزقا لنفس يراها الله لانفلقت حتى تودى إليه كل ما فيها

أو كان بين طباق السبع مسلكها
لسهل الله فى المرقى مارقيها
حتى تنال الذى فى اللوح خط لها
إن لم تنله وإلا سوف يأتيها

* * *

٦٩- أين الله؟

قال نافع : خرجت مع عبد الله بن عمر - ﷺ - فى بعض نواحى المدينة ومعه أصحاب له فوضعوا سفرة [طعامًا] فمر بهم راع فقال له عبد الله - ﷺ : هلم يا راعى فأصب من هذه السفرة فقال : إنى صائم فقال له عبد الله - ﷺ : فى مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت فى

هذه الشعاب فى آثار هذه الغنم وبين الجبال تدعى هذه الغنم وأنت صائم، فقال الراعى: أبادر أيامى الخالية.

فعجب ابن عمر - ﷺ - وقال: هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك تجتزرها [تنحرها] ونطعمك من لحمها ما تفطر عليه ونعطيك ثمنها قال: إنها ليست لى إنها لمولاى قال: فما عسى أن يقول لك مولاك إن قلت: أكلها الذئب فمضى الراعى وهو رافع إصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟ قال: فلم يزل ابن عمر يقول: قال الراعى: فأين الله؟ فما عدا أن قدم المدينة فبعث إلى سيده فاشترى منه الراعى والغنم فأعتق الراعى ووهب له الغنم رحمه الله.

* * *

٧٠- خلق الذباب لإذلال الجبابرة

وقع الذباب على الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور فذبه عنه فعاد فذبه حتى أضجره فدخل جعفر بن محمد بن على زيد العابدين ﷺ فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لم خلق الله - عز وجل - الذباب؟! قال: ليذل به الجبابرة هذه إحدى الحكم من خلق الذباب.

* * *

قال الجنيد: كنت نائمًا عند السرى السقطى - رحمه الله - فأنبهنى فقال لى: يا جنيد رأيت كأنى وقفت بين يدى الله - تعالى - فقال لى - يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعى محبتى وخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم وبقى معى العشر، وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى معى عشر العشر، فسلطت عليهم ذرة البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر.

فقلت للباقين معى: لا الدنيا أردتم ولا الجنة أخذتم فماذا تريدون؟ قالوا: إنك تعلم ما نريد فقلت لهم: فإنى مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسى أتصبرون؟ قالوا: إذا كنت أنت المبتلى لنا فافعل ما شئت، قال: فأولئك عبادى حقًا.

* * *

٧٣- رأى الله منامًا

وقال أحمد بن خرزاد الأنطاكى: رأيت فى المنام كأن القيامة قد قامت وقد برز الرب جل جلاله لفصل القضاء، وكأن مناديًا ينادى من تحت العرش: أدخلوا أبا عبد الله وأبا عبد الله وأبا عبد الله وأبا عبد الله الجنة، فقلت لملك جنبى: من هؤلاء؟ قال: مالك والثورى والشافعى وأحمد بن حنبل (كل واحد منهم كنيته أبو عبد الله).

* * *

٧٤- إلى متى تخدم الكلاب؟

قال نظام الملك الوزير الحسن بن على: بينما أنا أخدم بعض الملوك جاءنى يومًا إنسان فقال لى: إلى متى أنت تخدم من تأكله الكلاب غداً؟! اخدم من تنفعك خدمته ولا تخدم من تأكله الكلاب غداً فلم أفهم ما يقول، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة فخرج فى أثناء الليل وهو ثمل (سكران) وكانت له كلاب تفترس الغرباء بالليل فلم تعرفه فمزقته فأصبح وقد أكلته الكلاب قال: فأنا أطلب مثل ذلك الشيخ.

ومن عظيم كلام نظام الملك أنه طلب الحديث فى بغداد وكان يقول: إنى لأعلم بأنى لست أهلاً للرواية ولكنى أحب أن أربط فى قطار نقلة حديث رسول الله ﷺ وقال: رأيت فى المنام إبليس فقلت له: ويحك خلقك الله وأمرك بالسجود له مشافهة فأبيت وأنا لم يأمرنى بالسجود له مشافهة وأنا أسجد له فى كل يوم مرات، وأنشأ يقول:

من لم يكن للوصال أهلاً
فكل إحسانه ذنوب

* * *

٧٥- علاج مرض البعد عن الله

قال رجل لسفيان الثورى: إنى لأشكو من مرض البعد عن الله فما العلاج؟ فقال سيدنا سفيان للسائل: يا هذا عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع ضع هذا فى إناء التقوى وصب عليه ماء الخشية وأوقد عليه بنار الحزن وصفه بمصفاة المراقبة وتناوله بكف الصدق واشربه من كأس الاستغفار وتمضمض بالورع وابعد عن الحرص والطمع تشفى من مرضك بإذن الله.

٧٦- علاج الهـــــم

رأى العابد الزاهد إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله ـ رجلاً مهمومًا فقال له: أيها الرجل: إنى أسألك عن ثلاث فأجبنى، قال: نعم، قال إبراهيم: أيجرى فى هذا الكون شىء لا يريده الله؟ قال الرجل: كلا.

قال إبراهيم: أفينقص من رزقك شىء قدره الله؟ قال الرجل: كلا، فقال له إبراهيم: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك فى الحياة؟ قال الرجل: كلا، فقال له إبراهيم: فعلام الهم إذن؟

قال أبو الربيع لداود الطائى: عظنى، فقال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس فرارك من الأسد.

وقال الحسن: كلمات أحفظهن من التوراة: قنع ابن آدم فاستغنى، اعتزل الناس فسلم، ترك الشهوة فصار حرًا، ترك الحسد فظهرت مروءته.

صبر قليلاً فتمتع طويلاً، وقال رجل لسهل: أريد أن أصحبك، فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر؟ فقال: الله، قال: فليصحبه الآن.

وفى هذا المعنى:

خـــــذ عن الناس جـــــانبًـــــا
وارض بـالله صـــــاحـــــبـــــا
قـلب الـناس كـــــيف شـــــئـ
ـت تـجـــــدهم عـــــقـــــاربا

وقيل لإبراهيم بن أدهم: لِمَ لم تصحب الناس؟ فقال: إن صحبت من هو دونى آذانى بجهله وإن صحبت من هو فوقى تكبر وإن صحبت من هو مثلى حسدنى فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملال ولا فى وصله انقطاع ولا فى الأنس به وحشة، وما ألطف قول بعضهم:

ومـا أحـد من ألسن الناس سـالمًـا
ولـو أنه ذاك الـنبى الـمطهـــــر

فـإن كـان مـقـدامًـا يقـولـون أهوج
وإن كـان مـفـضـالاً يقـولـون مـبـذر
وإن كـان سكـيـتًـا يقـولون أبـكم
وإن كـان منطيـقًـا يقـولون مـهـذر
وإن كـان صـوامًـا وبالليل قـائمـا
يـقـــولـون زوار يـرائـى ويـمكـر
فلا تكترث بالناس فى المدح والثنا
ولا تـخش غـيـر الله والله أكـبـر

وقال بعض العارفين:

أنـست بـوحـدتى ولـزمت بيـتى
فطاب الأنـس لـى ونـمـا السـرور
وأدبـنـى الزمـان فـلا أبـالـى
بـأنـى لا أزار ولا أزور
ولست بسـائـل مـا عـشت يومًـا
أسـار الجـنـد أم ركـب الأمـيـر

* * *

٧٧- فى النهى عن النفاق والكبر والرياء

قال عمر ـ رضي الله عنه : من أظهر للناس خشوعًا فوق ما فى قلبه فإنما أظهر نفاقًا على نفاق.

وقال أيضًا: من تخلق للناس بما ليس خلقًا له شانه الله فالعاقل من يراقب مولاه ويعلم أنه مطلع على سره ونجواه.

إذا ما خلوت الدهر يومًا فـلا تقل
خلوت ولكن قـل علـى رقـيب
ولا تحـسـبـن الله عنك بغـافـل
ولا أن مـا تخـفـى عليـه يغـيب

ورأى بعضهم فى المنام قائلاً:

إذا كنت فى الدنيا حليف تكبر
فإنك فى الأخرى أقل من الذر

فانتبه وأجازه بقوله [أى أعطاه جائزة]:

تنزه عن الدنيا وكن متواضعًا
عفيفًا ولا تسحب ذيولاً من الكبر

ومن النصائح:

الكبر يأس والتواضع رفعة
والمزح والضحك الكثير سقوط
والحرص فقر والقناعة نعمة
واليأس من روح الإله قنوط

قال الأصمعى: رأيت أعرابيًا أتى عليه عمر كثير فقلت له: أراك حسن الحال فى جسدك، فقال: تركت الحسد فبقيت نفسى، وهذا من قول الحكماء الحسد يأكل الجسد.

وقال الجاحظ: من العدل والإنصاف أن تحط عن الحاسد نصف عقابه لأن ألم جسمه قد كفاك مؤنة شطر غيظك.

قال أعرابى: ما رأيت ظالمًا أشبه بمظلوم من حاسد لأنه يرى النعمة عليك نقمة عليه فالأحسن ترك الحسود فإنه يموت غيظًا ولا يسود.

دع الحسود وما يلقاه من كده
يكفيك منه لهيب النار فى كبده
إن لمت ذا حسد نفست كربته
وإن سكت فقد عذبته بيده

* * *

٧٨- مراكب الإيمان

يحكى عن إبراهيم بن أدهم أنه كان يسير إلى بيت الله فإذا أعرابى على ناقة له قال: يا شيخ إلى أين؟ فقال إبراهيم: إلى بيت الله، قال الأعرابى: كأنك مجنون لا أرى لك مركبًا

ولا زاداً والسفر طويل، فقال إبراهيم: إن لى مراكب ولكنك لا تراها، قال: وما هى؟

قال: إذا نزلت على بلية ركبت مركب الصبر، وإذا نزلت على نعمة ركبت مركب الشكر، وإذا نزل بى القضاء ركبت مركب الرضا، وإذا دعتنى النفس إلى شىء علمت أن ما بقى من العمر أقل مما مضى، فقال الأعرابى: سر بإذن الله فأنت الراكب وأنا الراجل.

* * *

٧٩- أركان التوكل

للتوكل على الله تعالى قواعد يقوم عليها: يقول محمد بن أبى عمران: سمعت حاتم الأصم وقد سأله رجل على ما بنيت أمرك هذا فى التوكل على الله؟ قال: على خصال أربع:

- علمت أن رزقى لا يأكله غيرى فاطمأنت به نفسى.
- وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فأنا مشغول به.
- وعلمت أن الموت يأتينى بغتة فأنا أبادره.
- وعلمت أنى لا أخلو من عين الله حيث كنت فأنا مستح منه.

* * *

٨٠- التوكل على الله

عن حذيفة المرعشى وكان قد خدم إبراهيم بن أدهم فقيل له: ما أعجب ما رأيت منه؟ قال: بقينا فى طريق مكة أياماً لم نجد طعاماً ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إلى إبراهيم وقال: يا حذيفة أرى بك الجوع.

فقلت: هو ما رأى الشيخ، قال: على بدواة وقرطاس فجئت به إليه فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى، وكتب شعراً:

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر
أنا جائع أنا ضائع أنا عارى
هى ستة وأنا الضمين لنصفها
فكن القمين لنصفها يا بارى
مدحى لغيرك لهب نار خضتها
فأجر عبيدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقعة فقال: اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقعة إلى أول من تلقاه فخرجت فأول من لقيت كان رجلاً على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فلما وقف عليها بكى وقال: (ما فعل صاحب هذه الرقعة؟) فأخبرته فدفع إلى ما معه من مال.

* * *

٨١- من أراد الله عزه فلا يذل

جاءت امرأة إلى المأمون فى مجلسه ليرفع العقاب عن ابنها وكان المأمون قد تناسى فلما خبرته تذكر فأمر بشنقه وكتب إلى عامله على السجن: فلان بن فلان يشنق الآن، فوصلت هذه الرسالة إلى عامله: فلان بن فلان يطلق الآن، فأطلقه فرآه المأمون فكتب إلى عامله (يشنق) فحولها القلم إلى (يطلق) وهو لا يدرى بأمر الله فأطلقه.

ثم حدث هذا مرة ثالثة فكتب المأمون إلى عامله فلان بن فلان يطلق ثم يطلق ثم يطلق رغم أنفى ورغم أنف أبى ومن أراد له الله أن يطلق فلا يشنق ولو اجتمعت السماوات والأرض على أن يشنق.

* * *

٨٢- دينك لحمك ودمك

عن قباث بن رزين أبى هاشم قال: أسرت فى بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت رقبته فارتد ثلاثة وجاء الرابع فضربت عنقه وألقى رأسه فى نهر هناك فرسب فى الماء ثم طفى [ظهر] على وجه الماء ثم ظهر ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلان ويا فلان ويا فلان - يناديهم بأسمائهم - قال الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر: ٢٧ - ٢٩) ثم غاص فى الماء قال قباث: فكاد النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام قال: جاء الفداء [الجيش] من عند الخليفة أبى جعفر المنصور فخلصنا، ذكره الحافظ محمد بن المنذر الهروى المعروف بشكر فى كتابه العجائب بسنده إلى قباث.

* * *

٨٣- اللجوء إلى الله

عن بكر بن عبد الله المزنى أن ملكًا من الملوك كان متمردًا على ربه فغزاه المسلمون

فأخذوه سليمًا، قالوا: أنقتله؟ فأجمعوا رأيهم على أن يجعلوه فى قمقم عظيم ويحشوا النار تحته حشواً حتى يذيقوه طعم العذاب ولا يقتلوه فجعل يدعو آلهته: يا فلان أنا كنت أمسح وجهك وأفعل وأفعل وظل يدعو واحداً واحداً فلما رآهم لا يغنون عنه شيئًا رفع رأسه إلى السماء فدعا مخلصًا وقال: لا إله إلا الله فصب عليه غيثًا (مطرًا) من السماء فأطفأ النار وهبت ريح فحملت القمقم فجعل يجلجل بين السماء والأرض وهو يقول: لا إله إلا الله فسقط على قوم فاستخرجوه.

* * *

٨٤- الفزع إلى الله

قال عطاء السلمى: منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فإذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر فنظر إلى فقال: يا عطاء هذا اليوم المشهود أوبعثر ما فى القبور؟ فقلت: لا ولكن منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال: يا عطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية؟

فقلت: بل بقلوب سماوية، فقال: هيهات (بَعُد) يا عطاء قل للمتبهرجين (المتكبرين) لا تتبهرجوا فإن الناقد بصير ثم رمق (نظر) السماء بطرفه (بعينه) وقال: إلهى وسيدى ومولاى لا تهلك عبدك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك إلا ما سقيتنا ماء غدقًا كثيرًا فراتًا تحيى به العباد وتروى به البلاد يا من هو على كل شىء قدير.

قال عطاء: ما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب - جمع قربة وهى إناء كبير به ماء - فولى وهو يقول:

أفلح الزاهدون والعابدون
إذ لمولاهم أجاعوا البطونا
أسهروا الأعين العليلة حبًا
فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى
حسب الناس أن فيهم جنونا

* * *

٨٥- أسأل الله أن يجريك

لما فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر رأى أهل مصر مياه النيل جفت أو قلت أخذوا فتاة وجملوها وألقوها فى النيل فأرسل عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب برسالة يخبره الخبر فكتب رسالة إلى نيل مصر قال له فيها:

(يا نيل مصر إذا كنت تجرى بأمرك فلا حاجة لنا فيك وإذا كنت تجرى بأمر الله الواحد القهار فأسأل الله أن يجريك) وأرسل الرسالة إلى عمرو وقال: ألقها فى نيل مصر فزادت المياه حتى وصلت إلى المساكن.

* * *

٨٦- خشيت أن ينسوا الله

أقبل الناس على شجرة بيعة الرضوان التى بايع النبى ﷺ عندها أصحابه وجعل الناس يتمسحون بها ويلتزمونها فأمر عمر رضي الله عنه بقطعها فقالوا: كيف تقطعها وهى شجرة بيعة الرضوان؟ قال: خشيت أن يقبل الناس عليها وينسوا الله.

* * *

٨٧- سمع كلام الله

أخرج ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن أبى بكر الفزارى قال: بلغنى أن بعض إخوان أحمد بن حنبل رآه فى النوم فقال: يا أحمد ما فعل الله بك؟ قال: أوقفنى بين يديه وقال لى: يا أحمد صبرت على الضرب أن قلت: تنزل غير مخلوق وعزتى لأسمعنك كلامى إلى يوم القيامة، فأنا أسمع كلام ربى عز وجل.

* * *

٨٨- مجد الله بين ملائكته

عن محمد بن مفضل قال: رأيت منصور بن عمار فى النوم بعد موته فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفنى بين يديه وقال لى: كنت تخلط لكنى قد غفرت لك لأنك كنت تحببنى إلى خلقى قم فمجدنى بين ملائكتى كما كنت تمجدنى فى الدنيا فوضع لى كرس فمجدت الله بين ملائكته.

٨٩- من جن خوفًا من الله

كان عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز النخعي يصلي في مسجد على عهد عمر ﷺ فقرأ الإمام ذات ليلة ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن: ٤٦) فقطع صلاته وجن وهام على وجهه فلم يوقف له على أثر، قال يونس بن محمد بن فضالة: خرجنا مع الربيع بن خثيم فمررنا على فتى فقام الربيع ينظر إلى حديدة في النار فوقع الفتى فأغمي عليه فتركناه ومضينا لحاجتنا فعدنا فإذا هو على تلك الحال ثم بلغنا أنه جن فمات.

ومر بكر بن معاذ برجل يقرأ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر: ١٨) فاضطرب وخر ثم صاح: ارحم من أنذر ثم لم يقبل عليك بعد النذير ثم غلب على عقله فلم يفق حتى مات.

قال محمد بن يونس البكري: سمع حذيفة العابد رجلاً يقرأ: ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ (الكهف: ٤٨) فهام على وجهه ولم ير بعد.

قرأ رجل بين يدي معاذ بن نصر: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ ﴾ (مريم: ٣٩) فجعل يتمرغ في التراب ويضطرب ويصيح ثم هام على وجهه ولم يوقف له على أثر، كان معاذ بن ذر لا يخرج إلى صلاة الجمعة والجنازة فسمع قارئًا يقرأ: ﴿ وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴾ (القمر: ٥٠) فاضطرب وجن.

* * *

٩٠- رجل يكلم الأسد

مر إبراهيم بن أدهم مع جماعة فإذا الأسد على الطريق فتقدم إليه إبراهيم بن أدهم فقال له: يا قسورة إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به وإلا فعودك على بدئك فولى السبع ذاهبًا يضرب بذنبه ثم أقبل إبراهيم على من معه وقال: قولوا اللهم راعنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بكنفك الذي لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا لا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال خلف بن تميم: فما زلت أقولها منذ سمعتها فما عرض لي لص ولا غيره.

* * *

٩١- قتله الله!!

عن عمر السرايا قال: كنت أغزو فى بلاد الروم وحدى فبينما أنا ذات يوم نائم إذ ورد على علج فجذبنى فانتبهت فقال: أما المسايفة والمطاعنة فلا طاقة لى بقتالهما ولكن مصارعة فنزل فلم ينهنهنى أن صرعنى وجلس على صدرى وقال: أى قتلة أقتلك؟ فتذكرت فرفعت طرفى إلى السماء فقلت: أشهد أن كل معبود ما دون عرشك إلى قرار أرضك باطل غير وجهك الكريم قد ترى ما أنا فيه ففرج عنى فأغمى على ثم أفقت فإذا الرومى قتيل إلى جانبى سبحانك يا من تجيب المضطر إذا دعاه.

* * *

٩٢- مجابو الدعوة

قال بعض الصالحين: حاصرنا أهل حصن فى بلاد الروم فعطشوا فطمعنا أن نستفتح الحصن بعطشهم فلما كان ذات ليلة نادوا جميعًا نشهد أن ما دون عرشك من معبود باطل إلا وجهك قد ترى حالنا فأغثنا، فبعث الله سحابة فأمطرت عليهم فما جاوزت الحصن إلا قليلاً فشربوا فارتحلنا.

* * *

٩٣- (إنك لا تعدل فى الرعية)
ابن أبى ذئب وأبو جعفر

قال أبو جعفر المنصور لابن أبى ذؤيب: ما تقول فى بنى فلان؟ قال: أشرار من أهل البيت الأشرار قالوا: سله يا أمير المؤمنين عن الحسن بن يزيد وكان عامله على المدينة قال: ما تقول فى الحسن؟ قال: يأخذ بالإحنة، ويقضى بالهوى، فقال الحسن: والله يا أمير المؤمنين لو عن نفسك لرماك بداهية ونعتك بشر، قال: ما تقول فى؟ قال: اعفنى يا أمير المؤمنين قال: لا بد أن تقول، قال: إنك لا تعدل فى الرعية ولا تقسم بالسوية، فتغير وجه المنصور فقام إبراهيم بن محمد بن على صاحب الموصل، وقال: طهرنى بدمه يا أمير المؤمنين، فقال له ابن أبى ذؤيب: اقعد يا بنى، فليس فى دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله طهور.

٩٤- «سفيان الثورى والمهدى»

قال القعقاع بن حكيم: كنت عند المهدى وأتى سفيان الثورى كبير علماء المسلمين فى عصره، فلما دخل عليه ولم يسلم بالخلافة والربيع قائم على رأسه متكئًا على سيفه يرقب أمره ـ أقبل عليه المهدى بوجه طلق وقال له: يا سفيان تفر هنا وههنا تظن أن لو أردناك بسوء لم نقدر عليك، فقد قدرنا عليك الآن أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا؟ قال سفيان: إن تحكم فى يحكم فيك ملك قادر يفرق بين الحق والباطل، فقال الربيع له: يا أمير المؤمنين ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ أتأذن لى أن أضرب عنقه، فقال له المهدى: اسكت ويلك وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى لسعادتهم، اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه فى حكم فكتب عهده ودفعه إليه فأخذه وخرج ورمى به فى دجلة وغاب عن أنظار الناس فطلب فى كل بلد فلم يوجد فعين مكانه شريك النخعى.

* * *

٩٥- سفيان قال للأمير: ملأت الأرض ظلمًا

يقول سفيان الثورى: أدخلت على المهدى بمنى فلما سلمت عليه بالإمرة قال لى: أيها الرجل طلبناك فأعجزتنا فالحمد لله الذى جاء بك فارفع إلينا حاجتك، فقلت: قد ملات الأرض ظلمًا وجوراً، فاتق الله وليكن منك فى ذلك عبرة قال: فطأطأ رأسه ثم رفعه، وقال: أرأيت إن لم أستطع رفعه؟ قلت: تخليه وغيرك، قال: فطأطأ رأسه ثم قال: ارفع إلينا حاجتك، قال: قلت أبناء المهاجرين والأنصار، ومن تتبعهم بإحسان بالباب فاتق الله وأوصل إليهم حقوقهم، قال: فطأطأ رأسه فقال أبو عبد الله: أيها الرجل ارفع إلينا حاجتك، فقلت: وما أرفع؟ حدثنى إسماعيل بن أبى خالد قال: حج عمر بن الخطاب، فقال لخازنه كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر ديناراً، وأرى هنا أموراً لا تطيقها الجبال.

* * *

٩٦- (إذا نامت الرعية فى أمن نمت آمنا فى قبرك)

شبيب بن شيبة والمهدى

دخل شبيب بن شيبة يومًا على المهدى فقال له: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قد أعطاك الدنيا فأعط رعيتك قسطًا من طيب عيشك، فقال المهدى: وما الذى ينبغى أن تعطى الرعية؟ فقال: العدل، فإنه إذا نامت الرعية فى أمن، نمت آمنًا فى قبرك، وقال: احذر يا أمير المؤمنين من ليلة لا يوم بعدها، ومن يوم لا ليلة بعده، واعدل ما استطعت فإنك تجازى بالعدل عدلاً وبالجور جورًا (أى تلقى جزاء الجور) وزين نفسك بالتقوى، فإنه فى الحشر لا يعيرك أحد زينه كقول الشاعر:

فحل نفسك بالحسنى وزينها
فلن تعار تقى فى الحشر من رجل
وليس تبلى يد المعروف فاحظ بها
تربح كثيرًا ورأس المال لم يزل

* * *

٩٧- من أخلاق المأمون

حكى عن القاضى يحيى بن أكثم قال: كنت نائمًا ذات ليلة عند المأمون فعطس، فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فانتبهت من نومى، فرأيته وقد قام يمشى على أطراف أصابعه، حتى أتى مشربه وبينه وبين المكان الذى فيه الكيزان نحو ثلاثمائة خطوة فأخذ منه فشرب، ثم رجع على أطراف أصابعه، حتى قرب من الفراش فخطا خطوات خفيفة كيلا ينبهنى حتى صار إلى فراشه.

ثم رأيته آخر الليل وقد قام لقضاء الحاجة، وكان يقوم أول الليل وآخره، ولما أتى الفجر قعد طويلاً منتظرًا أن أتحرك فيصيح فلما تحركت وثب قائمًا وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءنى فقال لى: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ وكيف كان مبيتك؟ قلت: خير مبيت، جعلنى الله فداءك يا أمير المؤمنين، قد حبب الله إليك سيرة الأنبياء، فهنأك الله تعالى بهذه النفحة وأتمها.

وكنت يومًا معه فى بستان فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقة والطاقتين، ويقول لقيم البستان: لا، أصلح هذا الحوض فى هذا الحوض شيء من البقول، قال يحيى: ومشينا فى البستان من أوله إلى آخره، وكنت أمشى مما يلى الشمس والمأمون مما يلى الظل فكان يجذبنى لأتحول أنا فى الظل وهو فى الشمس، فأمتنع عن ذلك حتى بلغنا آخر البستان.

قال: يا يحيى، لتكونن فى مكانى، ولأكونن فى مكانك، فقلت: والله يا أمير المؤمنين، لو قدرت يوم الهول أفديك بنفسى لفعلت، فلم يزل بى حتى تحولت إلى الظل وهو فى الشمس، وقال: إنه لا خير فى صحبة من لا ينصف.

* * *

٩٨- ما لى وسعيد بن جبير

جاءت رسل الحجاج يطلبون سعيد بن جبير المحدث الأمين والفقيه الرصين، والورع التقى، فقال سعيد: ما أرانى إلا مقتولاً! لقد كنت أنا وصاحبان لى دعونا الله تعالى حين وجدنا حلاوة الدعاء، وسألناه الشهادة، فكلا صاحبى رزقها وأنا أنتظرها، وبكى ابنه، فقال له: ما يبكيك؟ ما بقاء أبيك بعد سبع وخمسين سنة؟ وخرج رسل الحجاج بسعيد، وفى الطريق رأوا منه عجبًا، فلم يلبثوا أن قالوا: يا خير أهل الأرض! ليتنا لم نعرفك! ولم نرسل إليك! الويل لنا طويلاً! كيف ابتلينا بك؟ أعدنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر! فهو العدل الذى لا يجور.

فقال سعيد: ما أعذرنى لكم! وأرضانى لما سبق من علم الله تعالى فى! فبكوا، ولما جاء الليل تركوه خاليًا إلى ربه، حتى إذا انشق عمود الصبح قرع عليهم الباب، يوقظهم فقالوا: صاحبكم ورب الكعبة، وخرجوا إليه يبكون ودخلوا على الحجاج، فسألهم: أتيتمونى بسعيد بن جبير؟ قالوا: نعم! قال: أدخلوه.

فلما أُدخل عليه بادره الحجاج ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، فقال الحجاج: أنت الشقى ابن كسير، قال: لعل أمى كانت أعلم باسمى منك!

قال الحجاج: شقيت، وشقيت أمك!.

قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك!!.

قال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظى!

قال سعيد: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهًا!

قال الحجاج: ما قولك فى محمد؟

قال سعيد: تعنى النبى محمد ﷺ؟.

قال: نعم.

قال سعيد: سيد ولد آدم، والنبى المصطفى، خير من بقى، وخير من مضى!.

قال الحجاج: فما قولك فى أبى بكر؟

قال سعيد:الصديق مضى حميداً، وعاش سعيداً، سلك منهاج نبيه ﷺ لم يغير، ولم يبدل.

قال الحجاج: فما تقول فى عمر؟

قال سعيد: عمر الفاروق خيرة الله، وخيرة رسوله مضى حميداً على منهاج صاحبيه، ولم يغير، ولم يبدل.

قال الحجاج: فما تقول فى عثمان؟

قال سعيد: المقتول ظلماً، المجهز جيش العسرة! الحافر بئر رومة المشترى بيته فى الجنة صهر رسول الله ﷺ زوجه النبى ﷺ ابنتيه بوحى من السماء!

قال الحجاج: فما تقول فى على؟

قال سعيد: ابن عم رسول الله ﷺ أول من أسلم زوج فاطمة وأبو الحسن والحسين.

قال الحجاج: فما تقول فى معاوية؟.

قال: شغلتنى نفسى عن تصريف أمور هذه الأمة، وتمييز أعمالها.

قال الحجاج: فما تقول فىَّ؟

قال: أنت أعلم بنفسك!

قال: بث علمك.

قال سعيد: إذا يسوءك، ولا يسرك.

قال الحجاج: بث علمك.

قال سعيد: اعفنى.

قال: لا عفا الله عنى إن أعفيتك.

قال سعيد: إنى لأعلم أنك مخالف لكتاب الله تعالى ترى من نفسك أموراً تريد الهيبة وهى تقحمك الهلكة! وسترى غداً فتعلم!.

قال الحجاج: ويلك يا سعيد.

قال سعيد: الويل لمن زحزح عن الجنة، وأدخل النار!.

فأمر الحجاج باللؤلؤ والزبرجد والياقوت، فجمع بين يدى سعيد فقال سعيد: إن كنت قد جمعت هذا لتفتدى به من فزع يوم القيامة فلا بأس، وإلا ففزعة واحدة تزهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير فى شىء جمع لدنيا.

فقال الحجاج: ما لك لا تضحك؟ **فأجابه سعيد:** وكيف يضحك مخلوق من الطين؟ والطين تأكله النار! فما بالنار تضحك، لم تستو القلوب!

قال الحجاج: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً قبلك، ولا أقتلها أحداً بعدك!.

قال سعيد: إذا تفسد علىَّ دنياى! وأفسد عليك آخرتك!.

قال الحجاج: اختر يا سعيد أى قتلة تريد أن أقتلك؟

قال سعيد: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلنى قتلة إلا قتلك الله مثلها فى الآخرة!

قال الحجاج: أفتريد أن أعفو عنك؟

قال سعيد: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براء لك، ولا عذر.

قال الحجاج: اذهبوا فاقتلوه، فلما خرج سعيد من الباب ضحك، فأخبر الحجاج بذلك، فأمر برده إليه، وقال له: ما أضحكك؟

قال سعيد: عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك! فأمر الحجاج بالنطع فبسط، ثم قال: اقتلوه! فقال سعيد: وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين.

فقال الحجاج: شدوه لغير القبلة، **قال سعيد:** فأينما تولوا فثم وجه الله.

قال الحجاج: كبوه على وجهه.

فقال سعيد: منها خلقناكم، وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى.

قال الحجاج: اذبحوه، قال سعيد: أما أنى أشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله خذها منى حتى تلقانى يوم القيامة اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى.

وذُبح سعيد على النطع، عقوبة على جرأته فى الحق! ولم يعش الحجاج إلا ليالى معدودات بعدها، فقضاها مذعوراً تلاحقه الرؤى، وأشباح جريمته النكراء وما أكثر ما

سمعه القريبون منه يحدث نفسه ويصيح: ما لى ولسعيد بن جبير! ما لى ولسعيد بن جبير!.

* * *

٩٩- عمرو بن عبيد والخليفة المنصور

روى إسحاق بن الفضل الهاشمى قال: إنى لعلى باب المنصور يومًا وإلى جنبى عمارة ابن حمزة إذ طلع عمرو بن عبيد على حماره، فنزل عن حماره، ثم دفع البساط برجله وجلس دونه، فالتفت إلى عمارة، فقال: لا تزال بصرتكم ترمينا بأحمق، فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو ينادى: أبو عثمان عمرو بن عبيد.

قال: فوالله ما دل على نفسه حى أرشد إليه فاتكاه يده ثم قال له: أجب أمير المؤمنين جعلت فداك، فمر متوكئًا عليه، فالتفت إلى عمارة، فقلت: إن الرجل الذى استحمقته قد أدخل وتركنا، فقال: كثيرًا ما يكون ذلك فأطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه والربيع يقول: يا غلام هات حمار أبى عثمان، فما برح حتى أتى بالحمار فأقره على سرجه وضم إليه نشر ثوبه واستودعه الله، فأقبل عمارة على الربيع.

فقال: لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولى عهدكم لقضيتم ذمامه قال: فما غاب عنك مما فعل به أكثر وأعجب، قال عمارة: فإن اتسع الحديث فحدثنا، فقال الربيع: ما هو إلا أن أسمع الخليفة بمكانه فما أمهل حتى أمر بمجلس ففرش لبودًا، ثم انتقل إليه والمهدى معه عليه سواده وسيفه ثم أذن له.

فلما دخل عليه سلم بالخلافة فرد عليه وما زال يدنيه حتى أتكأه فخذه وتحفى به ثم سأله عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلاً رجلاً وامرأة امرأة ثم قال: يا أبا عثمان عظنا، فقال: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ (الفجر: ١ - ٤) ومر فيها إلى آخرها، وقال: إن ربك يا أبا جعفر لبالمرصاد، قال: فبكى المنصور بكاءً شديدًا، كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا تلك الساعة.

ثم قال: زدنى، فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها فاشتر نفسك منه ببعضها، واعلم أن هذا الأمر الذى صار إليك، إنما كان فى يد من كان قبلك ثم أفضى إليك وكذلك يخرج منها إلى من هو بعدك، وإنى أحذرك ليلة تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة، قال: فبكى أشد من بكائه الأول حتى رجف جنباه.

فقال له سليمان بن مجالد: رفقًا بأمير المؤمنين فقد أتعبته منذ اليوم، فرفع عمرو رأسه، وقال له: من أنت؟ فقال أبو جعفر: أولا تعرفه يا أبا عثمان؟ قال: لا، ولا أبالى ألا أعرفه، فقال له: هذا أخوك سليمان بن مجالد، فقال: هذا أخو الشيطان، ويلك يا بن مجالد، خزنت نصيحتك عن أمير المؤمنين ثم أردت أن تحول بينه وبين من أراد نصحيته، يا أمير المؤمنين إن هؤلاء اتخذوك سلمًا لشهواتهم، فأنت كالآخذ بالقرنين وغيرك يحلب، فاتق الله، فإنك ميت وحدك، ومحاسب وحدك، ومبعوث وحدك، ولن يغنى عنك هؤلاء من ربك شيئًا.

فقال له المنصور: يا أبا عثمان أعنى بأصحابك أستعن بهم، فقال له: أظهر الحق يتبعك أهلك، قال: بلغنى أن محمد بن عبد الله بن الحسن كتب إليك كتابًا، قال: قد جاءنى كتاب يشبه أن يكون كتابه، قال: فبماذا أجبته؟ قال: أولست قد عرفت رأيى فى السيف أيام كنت تختلف إلينا.

وأنى لا أراه! قال: أجل، ولكن تحلف لى ليطمئن قلبى، قال: لئن كذبتك تقية لأحلفن لك تقية، قال له: أنت الصادق البار وقدأمرت لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك، فقال: لا حاجة لى فيها، فقال المنصور: والله لتأخذها، قال: والله لا آخذها، فقال له المهدى: يحلف أمير المؤمنين، وتحلف! فترك المهدى وأقبل على المنصور.

فقال: من هذا الفتى؟ فقال له: هذا ابنى محمد، وهو المهدى وهو ولى العهد، فقال: والله لقد سميته اسمًا ما استحقه بعمل، وألبسته لبوسًا ما هو من لبوس الأبرار، ولقد مهدت له أمرًا، أمتع ما يكون به، أشغل ما تكون عنه

قال المنصور: يا أبا عثمان: هل من حاجة؟ قال: نعم، قال: ما هى؟ قال: ألا تبعث إلى حتى آتيك، قال: إذًا لا نلتقى، قال: عن حاجتى سألتنى، ثم ودعه ونهض فلما ولى أتبعه بصره وأنشأ يقول:

* كلكم طالب صيد *

* كلكم يمشى رويد *

* غير عمرو بن عبيد *

* * *

١٠٠- لما نكره الموت

قصد أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك، بعد منصرفه من الحج، سنة ثمان وتسعين للهجرة، مدينة رسول الله ﷺ، لزيارة قبره الشريف، وكان معه من ذوى خاصته، ابن شهاب الزهرى، ورجاء بن حيوة وقد أقام بالمدينة أياماً، وفد إليه فى خلالها وفود الناس من كل جهة، وأتاه فيها وجوه أهل المدينة، وفقهاؤها وعلماؤها، وخيارها، وسأل سليمان فى حديث له مع بعض هؤلاء: أما ههنا رجل ممن أدرك أصحاب رسول الله ﷺ؟ فقيل له: بلى، ههنا أبو حازم، أدرك منهم من أدرك، وأخذ عنهم فقهه وعلمه، ولو أرسلت إليه يا أمير المؤمنين أتاك، فبعث إليه فجاء ودخل، وأقام ينتظر الإذن فى الجلوس وأبطأ عليه الإذن شيئًا، فألقى عكازه وجلس، وألقى عليه سليمان أول نظرة فزردته عينه، إذ رأى رجلاً أقور أعرج وكلمه سليمان، فقال: ما هذا الجفاء الذى ظهر منك يا أبا حازم، وأنت الموصوف برؤية أصحاب النبى ﷺ مع فضل ودين تذكر به؟ فقال أبو حازم: وأى جفاء رأيت منى يا أمير المؤمنين؟ فقال سلميان: إنه أتانى الوفود، وأتانى وجوه أهل المدينة وفقهاؤها وخيارها، وأنت معدود فيهم، ولم تأتنى، فقال أبو حازم: ما جرى بينى وبينك معرفة حتى آتيك عليها، ولا لى عندك حاجة فأنا أطلبها! وسمع سليمان هذا الكلام فاستوى فى مجلسه وقال: صدق الشيخ! ثم قال: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم خربتم آخرتكم، وعمرتم دنياكم، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب! قال سليمان: صدقت يا أبا حازم فكيف القدوم على الآخرة؟ قال: نعم أما المحسن فإنه يقدم على الآخرة كالغائب يقدم على أهله من سفر وأما قدوم المسيء، فكالعبد الآبق، يؤخذ فيشد كتافه فإن شاء عفا، وإن شاء عذب، فاستعبر سليمان بكاءً شديداً، وبكى من حوله.

ثم قال: ليت شعرى، ما لنا يا أبا حازم؟ قال: اعرض نفسك على كتاب الله، فإنك تعلم ما لك، قال سليمان: وأين أصيب تلك المعرفة؟ قال: عند قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ**﴾ (الانفطار: ١٣، ١٤)قال سليمان: يا أبا حازم، فأين رحمة الله؟ قال: رحمة الله قريب من المحسنين، وسأل سليمان، فقال: يا أبا حازم من أعقل الناس؟ قال: العليم.

* * *

١٠١- يخرج من ظهر المبارك مبارك

كان المبارك والد الإمام عبد الله بن المبارك عبداً لخوارزمى من التجار من همذان بنى حنظلة وكان يعمل يومًا فى بستان لمولاه، وأقام فيه زمانًا ثم إن مولاه، صاحب البستان جاءه يومًا وقال له: أريد رمانًا حلواً، فمضى إلى بعض الشجر وأحضر رمانًا فكسره فوجده حامضًا فحرد -غضب- عليه، وقال: أطلب الحلو فتحضر لى الحامض! هات حلواً.

فمضى وأحضر من شجرة أخرى، فلما كسرها وجدها أيضًا حامضًا، فاشتد حرده عليه وفعل ذلك مرة ثالثة وذاقه فوجده أيضًا حامضًا، فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟! فقال: لا، فقال: وكيف ذلك؟ فقال: لأنى ما أكلت منه شيئًا حتى أعرفه، فقال: ولم لم تأكل؟ فقال: لأنك ما أذنت لى بالأكل منه، فعجب من ذلك صاحب البستان، وكشف عن ذلك فوجده حقًا، فعظم فى عينه وزاد قدره عنده، وكانت له بنت خطبت كثيراً، فقال له: يا مبارك، من ترى تزوج هذه البنت؟ فقال: أهل الجاهلية كانوا يتزوجون للحسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين، فأعجبه عقله، وذهب فأخبر به أمها وقال لها: ما أرى لهذه البنت زوجًا غير مبارك فتزوجها وأنجبت الإمام عبد الله بن المبارك.

* * *

١٠٢- هل تلد الحية إلا حية؟!

بينما كان الحجاج بن يوسف الثقفى جالسًا فى دار إمارته والناس من حوله على مراتبهم، القليل منهم قاعدون والكثير منهم وقوف، ينتظرون منه إشارة، فما أسرع ما كانوا يلبون، وبينما هو كذلك، قدم عليه ابن عم له أعرابى من البادية لا عهد له بالحضر، فنظر إلى الحجاج يولى هذا، ويعزل ذاك.

فقال له: أيها الأمير، لم لا تولينى بعض هذا الحضر؟ فقال له الحجاج: يا بن عم، هؤلاء الذين ترانى أوليهم يكتبون ويحسبون، وأنت لا تحسب، ولا تكتب! فغضب الأعرابى غضبًا شديداً وقال: بلى أيها الأمير، إنى والله لأحسب من كل هؤلاء حسابًا، وأكتب منهم يداً، فقال الحجاج: إن كنت كما تزعم فاقسم ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس،

وسكت الأعرابى واجمًا، ثم أخذ يقول: ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس! ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس! ثلاثة دراهم بين أربعة أنفس، وما زال يكرر القول ساعة.

ثم قال: لو أعطيت كل واحد منهم درهمًا يبقى الرابع بلا شيء، ثم توجه إلى الحجاج، وقال: أخبرنى أيها الأمير كم هم؟ قال الحجاج: هم أربعة والدراهم ثلاثة، قال: نعم أيها الأمير قد وقفت على الحساب، لكل واحد منهم درهم، وأنا أعطى الرابع منهم درهمًا من عندى! وضرب بيده على تكته فاستخرج منها درهمًا، وقال: أيكم الرابع؟ فلا والله ما رأيت كاليوم زوراً مثل حساب هؤلاء الحاضرين، فضحك الحجاج حتى استلقى وضحك جميع من معه وذهب بهم الضحك كل مذهب، والأعرابى ينظر إليهم لا يدرى مم يضحكون؟ وسكت الحجاج ساعة يفكر ثم قال: إن أهل أصبهان، كسروا خراجهم ثلاث سنين وكلما أتاهم وال ماطلوه حتى أعجزوه، فلأرمينهم ببدوية هذا وعنجهيته، وخليق به أن ينجب، فكتب إليه عهده على أصبهان.

فلما خرج إليها استقبله أهلها واستبشروا به وأقبلوا عليه يقبلون يده ورجله، وقد استجعلوه، واستصغروه واستهانوا به وقالوا: أعرابى بدوى، ما أهون شأنه وأضعف رأيه، إنه لا يدرى من شئون الإمارة شيئًا وهو لا يعدو أن يكون على مثل ما يكون عليه رعاة الأغنام، ثم إنهم أكثروا تملقه ليخدعوه عن أمرهم ويصرفوه عما جاء من أجله، فلما رأى ذلك منهم قال: أعينونى على أنفسكم ودعوا تقبيلكم أطرافى، وأخروا عنى هذه الهيئات، أما يشغلكم عن ذلك ما أخرجنى له الأمير؟! فلما استقر فى دار إمارة أصبهان أمر فنادى حتى اجتمع أهلها، فقال لهم: ما لكم تعصون ربكم، وتغضبون أميركم، وتنقصون خراجكم؟! فقال قائل منهم: جور من كان قبلكم وظلم من ظلم منهم، قال: أخبرونى عن الأمر الذى فيه صلاحكم، فقالوا: أمهلنا بالخراج مدة، قال: إلى أى مدة تريدون؟ قالوا: أخرنا مدة ثمانية أشهر ونجمعه لك عن آخره، قال: لست أؤجلكم إلى ثمانية أشهر بل إلى عشرة، على أن تأتونى بعشرة ضمنة يضمنون، على أن يكون ضمناء من خياركم، فأتوه بهم فلما توثق منهم أمهلهم، ولما قرب الوقت رآهم غير مكترثين لما يدنو من الأجل فأخذ يذكرهم به، باللين حينًا وبالشدة أحيانًا، وأكثر لهم فى ذلك، فلم ينتفع بقوله ولم يزدهم ذلك إلا تراخيًا.

فلما أطال به القول وحل الوقت، جمع الضمناء وقال لهم: المال؟ فقالوا: أصابنا من الآفات ما أهلك زرعنا وأتلف مواشينا فأمهلنا وقتًا، فلما رأى منهم ذلك آلى ألا يفطر وكان

في شهر رمضان، حتى يجمع له المال كاملاً، لا ينقص منه درهم ولا دينار وإلا فليس عنده إلا ضرب الرقاب، ثم أمر بأحدهم فقدم وضربت عنقه، وأخذ رأسه وجعله بدرة وكتب عليها: فلان ابن فلان أدى ما عليه وختم بخاتمه! ثم أمر بآخر فقدم فضربت عنقه، وفعل برأسه مثل ما فعل برأس الأول، فلما رأى القوم ذلك منه رأوا الرءوس تبذر وتجعل في الأكياس بدلاً من المال! قالوا: أيها الأمير توقف عن القتل وعما قليل نجمع لك المال، فقال: لقد طالما قلت لكم وأمهلتكم فلم ينفع قولي، ولم يُجْدِ إمهالي، وإني مجيبكم إلى ما سألتم، ولكن إلى يوم أو يومين.

وفيما بين يوم وليلة، جمعوا المال وأحضروه، وبلغ ذلك الحجاج فقال: «إنا معشر آل محمد (يقصد جده) لا نعقب إلا النجباء، فكيف رأيتم فراستي في هذا الأعرابي؟ ولم يزل واليًا عليها حتى مات الحجاج.

* * *

١٠٣- (المنصور وأحد رعيته)

النصيحة الخالصة

أبو جعفر المنصور من أعظم خلفاء العباسيين شجاعة وأشدهم بأسًا وأبصرهم بسياسة الملك، وتدبير أموره وكان إلى هذا صاحب دين، وتقوى ولولا زلات أحصاها عليه المنصفون لكان من أعظم الخلفاء.

حج في إحدى السنوات وطاف ليلاً والناس نيام فسمع رجلاً يدعو الله في ذل وضراعة ويقول: اللهم إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض والطمع الذي يحول بين الحق وأهله، فأسرع المنصور إليه وسأله عما سمعه، فقال الرجل: أنت الذي ظهر منه الفساد والبغي ودخله الطمع، فقال الخليفة: ويحك كيف يدخلني الطمع وكل ما أريده في قبضتي؟! فأجاب الرجل: وهل دخل الطمع على أحد أكثر مما دخل عليك يا أمير المؤمنين؟ إن الله وكل إليك أمور المسلمين، وأموالهم فأغلقت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم وأقمت بينك وبينهم حجابًا، واتخذت وزراء وأعوانًا فجرة إن نسيت لم يذكروك، وإن أحسنت لم يعينوك، وقويتهم على ظلم الناس بالأموال والرجال والسلاح، وأمرت ألا يدخل عليك إلا فلان وفلان، ولم تأمر بصلة المظلوم والملهوف والجائع، والعاري، وما أحد إلا له في الأموال حق، فلما رآك أعوانك تحبس المال ولا تقسمه، قالوا: خان الله فما

بالنا لا نخونه، واتفقوا على كتم أمور الرعية عنك إلا ما أرادوا، لا يخالف أمرهم عامل إلا أقصوه فلما انتشر ذلك خافهم الناس وصانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليقووا بها على الظالم، وفعل أهل الثروة والقوة من رعيتك مثلهم ليظلموا من دونهم، وامتلأت بلاد الله بغيًا وفساد، وصار هؤلاء القوم شركاء فى سلطانك وأنت غافل، وإن ذهب صارخ إليك حالوا بينه وبين الدخول عليك، كان بنو أمية لا ترفع إليهم مظلمة إلا علم بها الخليفة، وقضى لصاحبها، وكان الرجل يأتى من أقصى الأرض إلى أن يبلغ باب سلطانهم فينصفه، وقد سافرت مرة إلى الصين، فرأيت مليكها يبكى لنازلة ألمت به، فذهبت بسمعه فقال له وزيره: ما لك تبكى؟ ما بكيت عيناك.

فقال: لست أبكى على المصيبة التى نزلت بى، وإنما أبكى لأنى لا أسمع صراخ المظلوم، ولكن إن ذهب سمعى، فإن بصرى لم يذهب وأمر أعوانه أن ينادى فى الناس لا يلبس الثياب الحمر إلا المظلوم وصار يكب الفيل نهاراً ويطوف بالطرق عله يرى مظلومًا ينصفه.

هذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله، وأنت مؤمن به عز وجل، وابن عم نبيه، فكيف تصير إلى ما أنت فيه؟ وماذا تصنع أمام الملك الذى ضحك ملك الدنيا وهو يرى منك ما حقى عليك؟ وماذا تقول إذا انتزع الدنيا من يديك ودعاك إلى الحساب هل يغنى عنك ما كنت فيه شيئًا؟ فبكى المنصور حتى ارتفع صوته، ثم قال: ليتنى لم أخلق، ولم أك شيئًا.

قال الرجل: عليك بالأئمة الناصحين، فقال الخليفة: ومن هم؟ فأجابه: هم العلماء الأتقياء، فقال الخليفة: فروا منى، فقال الرجل: هربوا مخافة أن تشركهم فى آثامك فافتح الأبواب، وارفع الحجاب، وانتصر للمظلوم وامنعه وخذ المال مما حل وطاب واقسمه بالعدل، وأنا ضامن لك أن يأتيك من هرب، فيعاونك على إصلاح أمرك ورعيتك، قال الخليفة: اللهم وفقنى أن أعمل بما قال هذا الرجل، ثم مال عليه يقبله.

* * *

١٠٤- نصيحة

رحل الحجاج إلى عبد الملك بن مروان، ومعه إبراهيم بن محمد بن طلحة، فلما قدم على عبد الملك سلم عليه بالخلافة وقال: قدمت عليك يا أمير المؤمنين برجل الحجاز فى الشرف، والأبوة، وكمال المروءة، والأدب وحسن المذهب والطاعة، والنصيحة مع القرابة،

وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة، فافعل به يا أمير المؤمنين ما يستحق أن يفعل بمثله فى أبوته وشرفه.

فقال عبد الملك: يا أبا محمد، قد أذكرتنا حقًا واجبًا، ائذنوا لإبراهيم، فلما دخل وسلم بالخلافة أمره بالجلوس فى صدر المجلس، وقال له: إن أبا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفه معك من الأبوة والشرف، فلا تدع حاجة فى خاصة أمرك وعامته إلا سألتنى.

فقال إبراهيم: أما الحوائج التى نبتغى بها الزلفى ونرجو بها الثواب فما كان منها فهو لله خالصًا ولنبيه، ولكن لك يا أمير المؤمنين عندى نصيحة، لا أجد بدًا من ذكرى إياها قال: أهى دون أبى محمد؟ قال: نعم، قال: قم يا حجاج، فنهض الحجاج خجلاً لا يبصر أين يضع رجله، ثم قال له عبد الملك: قل يا بن طلحة، قال: تالله يا أمير المؤمنين إنك عمدت إلى الحجاج، فى ظلمه وتعديه على الحق، وإصْغائه إلى الباطل، فوليته الحرمين، وفيهما من فيهما من أصحاب رسول الله وأبناء المهاجرين والأنصار يسومهم الخسف ويطؤهم بطغام أهل الشام، ومن لا رأى له فى إقامة الحق، ولا إزاحة الباطل، فأطرق عبد الملك ساعة، ثم رفع رأسه، وقال: كذبت يا بن طلحة، وظن فيك الحجاج غير ما فيك، قم فربما ظن الخير بغير أهله.

قال ابن طلحة: فقمت وأنا ما أبصر طريقًا، وأبتغى حرسيًا، وقال له: اشدد يدك به، فما زلت جالسًا حتى دعا الحجاج فما زالا يتناجيان طويلاً حتى ساء ظنى، ولا أشك أنه فى أمرى، ثم دعا بى، فلقينى الحجاج فى الصحن خارجًا فقبل بين عينى، وقال: أحسن الله جزاءك، فقلت فى نفسى: إنها يهزأ بى، ودخلت على عبد الملك فأجلسنى مجلسى الأول ثم قال: يا بن طلحة هل اطلع على نصيحتك أحد؟

فقلت: لا والله يا أمير المؤمنين ولا أردت إلا الله ورسوله والمسلمين، وأمير المؤمنين علم ذلك، فقال عبد الملك: قد عزلت الحجاج عن الحرمين، لما كرهته فيه، وأعلمته أنك استقللت ذلك عليه، وسألتنى له ولاية كبيرة وقد وليته العراقيين، وقررت له أن ذلك بسؤالك ليلزمه من حقك ما لا بد له من القيام له فاخرج معه غير ذام لصحبته.

* * *

١٠٥- أعقل مجنون

لما رمى الحجاج بيت الله بالعذرة وقتل ابن الزبير، أقبل رجل موسوس معتوه عليه عباءة، قد شدها إلى عنقه فطاف بالبيت سبعًا ثم صعد إلى الحجر فتكلم بصوت جهورى، فأسمع الناس، وقال: أيها الناس، من عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى نبأته باسمى، أنا ميمون أبو المبارك المجنون، فاسمعوا ما أقول لكم فإنى متكلم ناطق غير هائب ولا خائف بل أقول بلسان صواب، ولا خائف من العقاب بل أرجو الثواب من رب الأرباب ذى المن والأفضال إياه قصدت، وما عنده طلبت، ثم حمد الله فأحسن، ومجد فأكثر، ثم دعا دعوات وأعرب، فقال: اللهم لك سجدت الجباه ولك خضعت الأعناق، ولك ذل الأرباب، وأنت خالق السماوات والأرض بلا تعب ولا مشورة، لم يعجزك ما أردت ولم يفتك ما طلبت، ولم يخف عليك شيء لبعده، ولا زدت فى معرفة شيء لقربه، تعلم خفيات الضمائر كما تعلم كل شيء بين.

أما السموات فلك مذعنة، وأما الأرضون فلك مطيعة، وأما الأفلاك فلك مسبحة، وأما الملائكة ففى عبادتك مجتهدة، وأما النبيون فلرسالتك مبلغة، وأما السحاب فبرحمتك مهطلة والنار من خوفك تزفر وتفرق، والجنة مزينة بالحور والقصور، فيا من العدل قضاؤه، ويا من الشكر رضاؤه، ويا من يتجلى فى الجنة لأوليائه، قد تكلمت بلسان ينطق بحمدك، وبقلب يخشع لهيبتك وجوارح أذعنت لعظمتك، وأسألك يا من قصده العباد من كل البلاد رجاء الثواب، وخوف العقاب، أسألك مسألة طالب رجاء الإجابة وأيقن بقضاء الحاجة أن تهلك الحجاج الموثب على بيتك برمى العذرة، والقاتل لأصحاب نبيك ﷺ المطهرين من كل ريبة اللهم إذا ذكرت عبادك بالرحمة فاذكره بأشد الغضب، وأكمل عطبه، إنك أنت المستجيب للدعاء، اللهم هذا البيت بيتك، اللهم أنت ذو الجلال والإكرام، ثم أتى منى والناس أجمع ما كانوا، فصلى صلاة الفجر ثم قام قائمًا على قدميه، ثم قال: أيها الناس، أليس إلى الله قصدتم، وما عنده طلبتم؟ فإذا سألتموه فاخشعوا وإذا دعوتموه فاخضعوا، والحجاج فالعنوا، فإنه نجس الولادة.

اللهم فلا تنجه من سخطك واحرمه رحمتك التى وسعت كل شيء إنك ذو الجلال والإكرام، فاجتمع الناس إليه وقالوا: أيها الرجل من أين أنت؟ قال: من بلاد الله، قالوا: فأين

تأوى؟ قال: إلى أرض الله، قالوا: فما قصتك، وقصة الحجاج؟ أظلمك بشيء؟ قال: نعم، قالوا: ماذا؟ قال: قصد بيت ربى فنجسه وقتل أصحاب محمد ﷺ، وأهان، فوجبت اللعنة عليه، واستوجبت منا العداوة، ولم أعرف موضعًا أجل من هذه الثنية، موضع فيه ولد محمد ﷺ وأصحابه فأحببت أن أتعب نفسى من أجله، وبالدعاء عليه ثم مر يسحب كساءه وقد تبين فيه أثر الجوع، فاتبعه رجل من التجار، فقال: السلام عليك يا أبا المبارك، قال: وعليك السلام يا وافد الله، قال: لى إليك حاجة، قال: وما هى؟ قال: تأتى منزلى، فتأكل كسرة خبز، وتشرب بشربة من سويق.

قال: على شرط، قال: وما شرطك؟ قال: ألا تكون ظالمًا ولا عونًا لظالم، فما عملك؟ قال: تاجر، قال: أما علمت أن رسول الله قال:

« يحشر التجار فجاراً إلا من اتقى وبر وصدق » قال: فإنى لأمدح عند البيع ولا أذم عند الشراء، قال: فمنك يا أخى طاب القرى، قال: فأتى إلى رحله، فأكل رغيفًا وملحًا، ولم يزد عليه بشيء، ثم قال: يا أخى عليك بأكل الخبز والملح، فإنه يذيب شحم الكلى، فقلت: يا أخى أوصنى.

قال: خف الله خوف حذر وارجه رجاء متملق، وعليك بأكل الحلال وبذل النوال لأهل الإقلال تدخل الجنة بسلام، قال: فاعجبنى ما سمعت من قوله.

فلما انقضى الموسم أقبل أصحاب الحجاج إلى الحجاج، وأخبروه بخبر ميمون، وقالوا: ما منعنا من أخذه إلا العامة وجلبتهم، والغوغاء وضجتهم، فدعا الحجاج بقائد من قواده من خاصة أصحابه، وقال: سر فى البلاد واطلب هذا الرجل ولك الحباء والجائزة.

قال: فأتعبوه وأحفوا دوابهم فى طلب ميمون، وهو من أهل الكوفة، ومسكنه بها، فدخل القائد الكوفة، فإذا هو جالس على مزبلة والصبيان حوله، وهو يقول: إنه لم تجر عليكم الأقلام ولم تكتب عليكم الآثار، فاحذروا أن تطيعوا إبليس عدوكم، فإنه عدو أبيكم آدم عليه السلام من قبل وهو الذى أعانه بعد القضاء على الخروج من الجنة وعليكم بأخلاق الصالحين والاقتداء بالمؤمنين، منهم الصديق ذو الحق المبين، ثم عمر الفاروق لم يكن عنده حق الله يزول ثم عثمان ذو النورين، ثم على الرضى سال السيف فى المنافقين الأردياء، فإذا فعلتم ذلك كنتم مع الأولياء، ولم يزل يعظهم، فلما فرغ قالوا له: هل لك فى طعام طيب تأكله، وثوب لبس تلبسه؟

فقال: كذبتم ما لهذا قصدتم، ولا لهذا أردتم، إنما تريدون أن يحملنى أصحاب الحجاج إلى الحجاج، وإنما جئتم فى طلبى فلا تقيدونى ولا تغلونى، ودخل على الحجاج ولم يسلم عليه، ووقف بين يديه صامتًا عليه عباءة فاحتقره الحجاج، فقال الرجل:

إياك أن تزدرى الرجـــال ومـــا

يدريك مـــا يجنه الصـــدق

فلما سمع شعره علم أنه حكيم فقال له: ما اسمك؟ ال: أما اليوم فاسمى ميمون، وما أدرى ما اسمى عند ربى إذا دعيت؟! بالسعادة أدعى أم بالشقاوة أنادى؟! فإن قيل: سعد فلان، فما أحتاج إلى اسمى، وإن قيل: شقى فلان فلا حظ لى عند ربى.

قال: مم خلقك الله؟ قال: من ماء من عوج من بين لحم ودم.

قال: ويحك يا ميمون تحسن مثل هذا وتسمى المجنون؟ فقال: إن أهل البطالة إذا نظروا إلى أهل محبة الله سموهم مجانين، ثم خلى الحجاج سبيله فمضى سالمًا.

* * *

١٠٦- الأعرابى العابد الموحد والحجاج

قال صعصعة بن صوحان: خرجنا مع الحجاج إلى بيت الله الحرام فبينما نحن فى بعض الطرقات، إذ نحن بصوت أعرابى يلبى بين الغيضة، فلما فرغ من التلبية قال: كلامك اللهم لك، من قال مخلوق هلك، فى الجحيم قد سلك، والجاريات فى الفلك، على مجارى من سلك، قد اتبعنا وسلك، ما خاب عبد ملك، أنت له حيث سلك.

فقال الحجاج: تلبية موحد ورب الكعبة لا يفوتنكم الرجل، فأسرعوا حتى أتوا بأعرابى على ناقة بلجاء.

فقال الحجاج: من أين أقبلت يا أخا العرب؟ **قال**: من العراق وأرضها، **قال**: من أى العراق أنت؟ **قال**: جئت من الفج العميق، **قال**: من الوالى فيكم؟ **قال**: الحجاج، **قال**: فما سيرة الحجاج فيكم؟ **قال**: سيرة فرعون فى بنى إسرائيل! يقتل أبناءهم ويستحيى نساءهم، **قال**: فهل خلفته ظاعنًا أو مقيمًا؟ **قال**: بل ظاعنًا، **قال**: إلى أين؟ **قال**: إلى الحج، ولن يتقبل الله منه، **قال**: وهل خلف أحدًا بعده؟ **قال**: نعم، أخاه محمدًا، **قال**: فما سيرته فيكم؟ **قال**: ظلوم غشوم، واسع البلعوم، عاص مشئوم، **قال له الحجاج بن يوسف**: هل عرفتنى؟ **قال الأعرابى**: اللهم لا، **قال الحجاج**: أنا الحجاج بن يوسف، **قال الأعرابى**:

أشر والله من أظلت الخضراء، وأقلت الغبراء، ويشرب من الماء، بغيض مبغوض، لعين ملعون فى الدنيا والآخرة.

فقال الحجاج: والله يا أعرابى لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحداً قبلك.

قال الأعرابى: إن لى ربّا يخلصنى وينجينى منك، **قال**: يا أعرابى إنى سائلك، **قال**: إذا والله أخبرك، **فقال**: أتحسن من القرآن شيئًا؟ **قال**: نعم، فقال: أسمعنا، فاستفتح الأعرابى، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ**﴾ (النصر: ١) ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجًا، **قال**: ليس هكذا يا أعرابى، **قال**: وكيف؟ **قال**: ﴿**يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا**﴾ (النصر: ٢) قال: قد كان ذلك قبل ولايتك، فضحك الحجاج حتى استلقى على قفاه.

ثم قال: ما تقول فى محمد رسول الله ﷺ؟ **قال**: وما عسى أن أقول فى محمد صاحب الحوض، والشفاعة وزمزم والسقاية، ومن قرن الله اسمه باسمه، يدعى فى كل يوم وليلة عشر مرات فى الأذان والإقامة، **قال**: فما تقول فى أبى بكر الصديق رضي الله عنه؟ قال: ما عسى أن أقول فى صديق فى السماء، وصاحبه فى الغار؟ أسلم وهو يملك ثمانين ألف دينار أنفقها فى سبيل الله وعلى رسوله ﷺ.

قال الحجاج: فما تقول فى عمر بن الخطاب؟ **قال**: وما عسى أن أقول فى فاروق الأرض؟ فرق بين الحق والباطل، والحق على لسانه، **قال الحجاج**: فما تقول فى عثمان بن عفان؟ **قال الأعرابى**: ما عسى أن أقول فى حافر بئر رومة، ومجهز جيش العسرة، واستحيت الملائكة منه فى السماء؟ ومن ذلك يا حجاج يوم دخل على رسول الله، وهو جالس على جنبه الأيسر وركبته مكشوفة، فلما دخل عثمان تغطى، فسألته عائشة فى ذلك، فقال ﷺ: «ذاك رجل تستحى منه الملائكة» **فقال الحجاج**: فما تقول فى حق على؟ **قال الأعرابى**: وما عسى أن أقول فى ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته البتول؟

فقال الحجاج: فما تقول فى الحسن والحسين؟ **قال الأعرابى**: وما عسى أن أقول فيمن ولدتهم البتول ورباهما الرسول، فهل لهما مثل لديك؟

فقال الحجاج: فما تقول فى معاوية؟ **قال**: وما عسى أن أقول فى كاتب وحى رب العالمين؟ **فقال الحجاج**: ما تقول فى يزيد بن معاوية؟ **قال الأعرابى**: كما قال من هو خير منى لمن هو شر منك! **فقال الحجاج**: ومن هو خير منك وشر منى؟ **فقال الأعرابى**:

موسى خير مني، وفرعون شر منك، **قال الحجاج**: فما قال فرعون لموسى؟ **قال**: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾ (طه: ٥١، ٥٢).

فقال الحجاج: فما تقول في عبد الملك بن مروان؟ **فقال الأعرابي**: والله أخطأ خطيئة ملأت ما بين السماء والأرض، **فقال الحجاج**: وكيف ذلك؟ **قال الأعرابي**: ولاك على أمور المسلمين تحكم في أموالهم ودمائهم بجور وظلم! فعند ذلك همَّ الحجاج بقتله، وأشار إلى سيافه يضرب عنقه، فحرك الأعرابي شفتيه فخر السيف ناحية والسياف ناحية، وولى الأعرابي ذاهبًا، **فقال الحجاج**: بحق معبودك إلا أخبرتني بأي دعاء دعوت، **فقال**: قلت: اللهم يا رب الأرباب ويا معتق الرقاب، ويا هازم الأحزاب، ويا منشي السحاب، ويا منزل الكتاب، ويا رازق من تشاء بغير حساب، يا ملك يا تواب يا راد موسى إلى أمه، ويوسف إلى أبيه يعقوب، أسألك أن ترزقني خيره وتكفيني شره، إنك على كل شيء قدير.

* * *

١٠٧- (بين الكيلاني والمقتفي)

هكذا الخطباء

وقف الشيخ عبد القادر الكيلاني على منبره محاسبًا المقتفي لأمر الله ومنكرًا عليه تولية يحيى بن سعيد المشهور بابن المزاحم الظالم القضاء، فقال: وليت على المسلمين أظلم الظالمين، فما جوابك غداً عند رب العالمين أرحم الراحمين؟ فارتعد الخليفة وعزل ابن المزاحم.

* * *

١٠٨- يعرف الله وهو ابن ثلاث سنين!!

قال محمد بن مظفر: إن سهل بن عبد الله التستري لما بلغ من عمره ثلاث سنين، كان يسهر الليل ينظر إلى صلاة خاله محمد بن سوار، وربما قال له خاله: قم يا بني، فقد شغلت قلبي، ولما رأى خاله ذلك قال: ألا تذكر الله الذي خلقك؟ قال: كيف أذكره؟ قال: قل: الله معي، الله شاهدي، الله ناظر إلي، كل ليلة ثلاث مرات، ففعل ذلك ليالي، ثم قال له خاله: قله سبع مرات في كل ليلة، فلبث على ذلك مدة، ثم قال له خاله: قله إحدى عشرة مرة في كل ليلة، ففعل ذلك زمانًا.

قال سهل: فوجدت فى نفسى وقلبى حلاوة لذلك، فأخبرت خالى، فقال: يا سهل، من كان الله معه، وشاهداً عليه، وناظراً إليه، كيف يعصيه؟ إياك أن تعصى الله.

وبلغنى أن أبا محمد سهلاً حفظ القرآن وهو ابن ست سنين، وكان يفتى فى مسائل الزهد والورع ومقامات الإرادة وفقه العبادة وهو ابن ثنتى عشرة سنة.

وروى عبد الرحمن بن محمد صاحب كتاب «صفة الأولياء ومراتب الأصفياء» بإسناده، قال: ذكر سهل الله، وهو ابن ثلاث سنين، وصام وهو ابن سنين حتى مات، وساح عن طلب العلم وهو ابن تسع سنين، وكانت تلقى مشكلات المسائل على العلماء، ثم لا يوجد إلا عنده، وهو ابن اثنتى عشرة سنة، وحينئذ ظهرت عليه الكرامات، والله أعلم.
(أنباء نجباء الأبناء ص١٨٨)

* * *

١٠٩- رحلة!!

قال ابن رجب: «ترافق بهيم العجلى - وكان من العابدين البكائين - ورجل تاجر موسر فى الحج، فلما كان يوم خروجهم للسفر بكى بهيم، حتى قطرت دموعه على صدره، ثم قطرت على الأرض، وقال: ذكرت بهذه الرحلة، الرحلة إلى الله، ثم علا صوته بالنحيب فكره رفيقه التاجر منه ذلك، وخشى أن يتنغص عليه سفره معه بكثره بكائه، فلما قدما من الحج جاء الرجل الذى رافق بينهما إليه ليسلم عليهما، فبدأ بالتاجر فسلم عليه، وسأله عن ماله مع بهيم فقال له: والله ما ظننت أن فى هذا الخلق مثله وكان - والله - يتفضل على فى النفقة وهو معسر وأنا موسر، ويتفضل على فى الخدمة وهو شيخ ضعيف وأنا شاب، ويطبخ لى وهو صائم وأنا مفطر، فسأله عما كان يكرهه من كثرة بكائه فقال: والله ألفت ذلك البكاء وأشرب حبه قلبى حتى كنت أساعده عليه حتى تأذى بنا الرفقة، ثم ألفوا ذلك فجعلوا إذا سمعونا نبكى بكوا، ويقول بعضهم لبعض: ما الذى جعلهما أولى بالبكاء منا والمصير واحد، فجعلوا والله يبكون ونبكى، ثم خرج من عنده فدخل على بهيم فسلم عليه وقال له: كيف رأيت صاحبك؟

قال: خير صاحب، كثير الذكر لله، طويل التلاوة للقرآن سريع الدفعة، فتحمل هفوات الرفيق، فجزاه الله عنى خيراً. **لطائف المعارف لابن رجب (ص٢٤٧)**.

* * *

١١٠- بئس العبيد أنتم!!

قال عبد الواحد بن زيد: «ركبت البحر فعصفت بنا ريح دفعتنا إلى جزيرة من جزائر البحر، فطلعنا إليها وإذا نحن برجل قد عكف على صنم يعبده، فقلنا له: ما معنا في المركب من يعمل مثل هذا، قال: فأنتم لمن تعبدون، قلنا: نعبد الله ـ عز وجل ـ قال: ومن هو الله؟ قلنا: الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه، قال: فكيف علمتم ذلك؟ قلنا: أرسل إلينا رسولاً بالمعجزات الظاهرة فأخبرنا بذلك، قال: فما فعل برسولكم؟ قلنا: أرسل فلما أدى الرسالة قبضة الله إليه، قال: أفما ترك علامة عندكم؟ قلنا: ترك فينا كتاب الله ـ سبحانه وتعالى ـ قال: أرونى إياه، فأتيناه بالمصحف، قال: ما أحسن قراءته، فقرأنا عليه منه شيئًا، فبكى، وقال: ينبغى لمن هذا كلامه أن لا يعصى، فأسلم وحسن إسلامه، قال: ثم سألنا أن نحمله فى المركب فحملناه وعلمناه سوراً من القرآن، فلما جن عليه الليل وأخذنا مضاجعنا للنوم، فقال: يا قوم... هذا الذى دللتمونى عليه ينام؟ قلنا: هو حى قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، فقال: إن من سوء الأدب نوم العبد بين يدى سيده، ثم وثب قائمًا فلم يزل قائمًا باكيًا حتى أصبح قال: فلما قدمنا عبادان، قلت لأصحابى: هذا رجل غريب حديث عهد بالإسلام، ومن المصلحة أن نجمع له شيئًا، ففعلوا ومددناه إليه، فقال: ما هذا؟ قلنا له: نفقة تنفقها عليك، فقال: سبحان الله: دللتمونى على طريق لم تعرفوه، أنا كنت فى جزيرة من جزائر البحر، أعبد غيره ولم يضيعنى، فكيف يضيعنى وأنا أعبده وهو الخالق الرزاق؟ ثم مضى وتركنا، قال: فلما كان بعد أيام أخبرت أنه بموضع يعالج سكرات الموت فأتيناه وهو بآخر رمق، فسلمت عليه، وقلت: ألك حاجة؟ فقال لى: قد مضى حاجتى الذى جاءت كم إلى الجزيرة وأنا لا أعرفه، قال: فاستندت بإزائه وقصدت مؤانسته ساعة، فغلبتنى عينى فنمت، فرأيت فى مقابر عبادان روضه عليها قبة، وتحت القبة سرير، وعلى السرير جارية لم أر أجمل منها، وهى تقول: بالله عجل فى جهازه، فقد طال شوقى إليه، فانتبهت فوجدته قد مات فغسلته وكفنته، فلما كان الليل نمت، فرأيته وهو فى هيئة حسنة والجارية على السرير تحت القبة وهو إلى جانبها يكرر هذه الآية: ﴿**سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ (الرعد: ٢٤) . المواعظ والمجالس ص٤٠ .

* * *

١١١- متى أوفق للعمل الصالح؟!

قال محمد بن عامر: «قلت لشقيق: متى أوفق للعمل الصالح؟ قال: إذا جعلت أحداث يومك وليلتك متقدمة عند الله، قلت: فمتى أتوكل؟ قال: إن اليقين إذا تم بينك وبين الله -عز وجل- سمى تمامه توكلاً، قلت: فمتى يصح ذكرى لربى؟ قال: إذا سمجت الدنيا فى عينيك، وقذفت أملك فيما بين يديك، قلت: فمتى يصح صومى؟ قال: إذا جوعت قلبك، وأظمأت لسانك من الفحشاء، قلت: فمتى أعرف ربى؟ قال: إذا كان الله لك جليسًا أو لم تر سواه لنفسك أنيسًا، قلت: فمتى أحب ربى؟ قال: إذا كان ما أسخطه أمر عندك من الصبر، وكان ما ينزل بك هو الغنم والظفر، وجددت لذلك حمداً وشكرًا، قلت: فمتى أشتاق إلى ربى؟ قال: إذا جعلت الآخرة لك قرارًا، ولم تسم لك الدنيا مسكنًا، قلت: فمتى أعرف لقاء ربى؟ قال: إذا كنت تقدم عن حبيب وتصدر على أمل قريب، قلت: متى أستلذ الموت؟ قال: إذا جعلت الدنيا خلف ظهرك، وجعلت الآخرة نصب عينك، وعلمت أن الله -تبارك وتعالى- يراك على كل حال، وقد أحصى عليك الدقيق والجليل، قلت: فمتى أكتفى بأهون الأغذية؟ قال: إذا عرفت وبال الشهوات غداً وسرعة انقطاع عذوبة اللذات، وقلت: متى أوثر الله ولا أوثر عليه سواه؟ قال: إذا أبغضت فيه الحبيب، وجانبت فيه القريب» تاريخ دمشق (٢٣/ ١٤١).

* * *

١١٢- ثلاثون ألف دينار!!

قال عبد الوهاب بن عطاء الخفاف: حدثنى مشيخة أهل المدينة أن «فروخ» والد ربيعة خرج فى البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية غازيًا، وربيعة حمل فى بطن أمه، وخلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، فقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة، وهو راكب فرسًا فى يده رمح فنزل عن فرسه، ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة، فقال: يا عدو الله، أتهجم على منزلى؟! فقال: لا، وقال فروخ: يا عدو الله، أنت رجل دخلت على حرمتى، فتواثبا وتليت كل واحد منهما بصاحبه حتى اجتمع الجيران، فبلغ مالك بن أنس، والمشيخة فأتوا يعينون ربيعة، فجعل ربيعة يقول: والله لا فارقتك إلا عند السلطان، وجعل فروخ يقول كذلك، ويقول: وأنت مع امرأتى، وكثر الضجيج، فلما أبصروا بمالك، سكت

الناس كلهم، فقال مالك: أيها الشيخ، لك سعة فى غير هذه الدار، فقال الشيخ: هى دارى وأنا فروخ مولى بنى فلان.

فسمعت امرأته كلامه فخرجت، فقالت: هذا زوجى، وهذا ابنى الذى خلفته وأنا حامل به، فاعتنقا جميعًا وبكيا، فدخل فروخ المنزل وقال: هذا ابنى؟! قلت: نعم، قال: فأخرجى المال الذى عندك، وهذه معى أربعة الاف دينار، قال: المال قد دفنته وأنا أخرجه بعد أيام، فخرج ربيعة إلى المسجد وجلس فى حلقته، وأتاه مالك بن أنس، والحسن بن زيد، وابن أبى على اللهبى، والمساحقى وأشراف أهل المدينة وأحدق الناس به، فقالت امرأته: اخرج صل فى مسجد رسول الله ﷺ، فخرج فصلى فنظر إلى حلقة وافرة، فأتاه فوقف عليه ففرجوا له قليلاً ونكس ربيعة رأسه، يوهمه أنه لم يره وعليه طويلة، فشك فيه أبو عبد الرحمن، فقال: لقد رفع الله ابنى، فرجع إلى منزله: فقال لوالدته: لقد رأيت ولدك فى حالة ما رأيت أحداً من أهل العلم والفقه عليها، فقالت أمه: فأيما أحب إليك، ثلاثون ألف دينار، أو هذا الذى فيه من الجاه؟ قال: لا والله إلا هذا، قالت: فإنى أنفقت المال كله عليه، قال: فوالله ما ضيعته. سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٣).

* * *

١١٣- يحرسه الأسد وهو يصلى!!

قال جعفر بن زيد: خرجنا فى غزاة إلى كابل وفى الجيش صلة بن أشيم، فنزل الناس عند العتمة فقلت: لأرمقن عمله، فأنظر ما يذكر الناس من عبادته، فصلى العتمة ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، حتى إذا قلت: هدأت العيون، وثبت فدخل غيضة قريبة منا فدخلت فى إثره فتوضأ ثم قام يصلى فافتتح الصلاة، وجاء أسد حتى دنا منه قال: فصعدت فى شجرة ولم يلتفت صلة إليه، فلما سجد قلت: الآن يفترسه الأسد، فلم يكن شىء، ثم سلم فقال: أيها السبع! اطلب الرزق من مكان آخر، فولى وإن له لزئيراً أقول: تصدع منه الجبال فما زال كذلك يصلى حتى كان عند الصبح، جلس فحمد الله بمحامد لم أسمع مثلها، ثم قال: اللهم إنى أسألك أن تجيرنى من النار، أومثلى يجترئ أن يسألك الجنة، ثم رجع فأصبح كأنه باب على الحشايا وأصبحت وبى من الفترة شىء، الله به عليم.

حلية الأولياء ٢/ ١٤٠

* * *

١١٤- حول الحصاة إلى ذهب

قال خالد بن الغرز: كان حيوة بن شريح داعيًا من دعاة البكائين وكان ضيق الحال جدًا فجلست إليه ذات يوم وهو مختل وحده يدعو فقلت: رحمك الله لو دعوت الله فوسع عليك فى معيشتك قال: فالتفت يمينًا وشمالاً فلم ير أحداً فأخذ حصاة من الأرض فقال: اللهم اجعلها ذهبًا!

قال الرجل: فإذا هى والله تبرة فى كفه ما رأيت أحسن منها قال: فرمى بها إلى وقال: ما خير فى الدنيا إلا الآخرة ثم التفت إلى فقال: هو أعلم بما يصلح عباده، فقلت: ما أصنع بهذه؟ قال: استبقها فهبت والله أن أرده.

* * *

١١٥- مات الرجل من دعائه

قال عبد الواحد بن زياد: كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع وحبيب أبو محمد فجاء رجل فكلم مالكًا وأغلظ له فى قسمة قسمها وقال: وضعتها فى غير حقها وشبعت بها وأهل مجلسك ومن يخشاك لتكثر غاشيتك وتصرف إليك الوجوه، قال: فبكى مالك وقال: والله ما أردت هذا، قال الرجل: بلى والله لقد أردته، فجعل مالك يبكى ثم قال: اللهم إن كان هذا قد شغلنا عن ذكرك فأرحنا منه كيف شئت، قال: فسقط والله الرجل على وجهه ميتًا فحمل إلى أهله على سرير قال ويقال: إن أبا إسحاق مجاب الدعوة.

* * *

١١٦- الأقرع صاحب الشعر الجميل

قال مجاشع الديرى: ولدت امرأة من جيران حبيب العجمى غلامًا جميلاً أقرع الرأس قال: فجاء به أبوه إلى حبيب بعدما كبر الغلام وأتت عليه اثنتا عشرة سنة فقال: يا أبا محمد: ألا ترى إلى ابنى هذا وإلى جماله وقد بقى أقرع الرأس كما ترى فادع الله له، فجعل حبيب يبكى ويدعو للغلام ويمسح بالدموع رأسه قال: فوالله ما قام بين يديه حتى اسود رأس الغلام من أصول الشعر فلم يزل بعد الشعر ينبت حتى صار كأحسن الناس شعراً.

قال مجاشع: قد رأيته أقرع ورأيته ذا شعر.

١١٧- قطع الله يد الظالم

عن مالك بن دينار: أنه حم - أصابته الحمى - ثم وجد خفة فخرج لبعض حاجته فمر ببعض أصحاب الشرط وبين يديه قوم يطوفون فأعجلونى فاعترضت فى الطريق فلحقنى إنسان من أعوانه فقنعنى (ضربنى) أسواطًا كانت علىَّ أشد من الحمى فقلت: قطع الله يدك فلما كان من الغد غدوت إلى الجسر فى حاجة لى فتلقونى به مقطوعة يده معلقة فى عنقه.

* * *

١١٨- مجاب الدعاء

شاعت الألقاب فى أيامنا وشاعت وذاعت وأصبح يعمل لها مليون حساب وحساب وقد تجد من يجمع عشرات الألقات كدكتور وأستاذ ومدير وعميد ورئيس هيئة... إلخ.

ولكنه مع كل هذه الألقاب لم يحظ بلقب واحد كعابد أو زاهد فى علاقته بربه ومعنا الآن رجل قليل فى ألقاب الدنيا كثير فى ألقاب الآخرة.

هذا بنان بن محمد بن حمدان الجمال كان من مجابى الدعوة جاءه رجل له على رجل مائة دينار بوثيقة فلم يجدها فجاء إلى بنان وسأله الدعاء.

فقال له: أنا رجل قد كبرت وأنا أحب الحلواء اذهب واشترى لى رطلاً معقودًا وجئنى به حتى أدعو لك، فذهب فاشترى له ما قال ثم جاء به فقال بنان: افتح القرطاس ففتح الرجل القرطاس فإذا هو بالوثيقة فقال لبنان: هذه وثيقتى، فقال: خذ وثيقتك وخذ المعقود أطعمه صبيانك فأخذها ومضى ما أجمل هذا! إجابة هذا إجابة دعوة وفراسة وجود.

* * *

١١٩- أنا كنت غائبة فأين أنت يا رب؟

يروى أن امرأة عجوزًا فقيرة بنت كوخًا لها فى مكان خال فجاء أحد الأمراء وبنى قصرًا مشيدًا بجوار كوخ العجوز الفقيرة وفى ذات يوم طاف الأمير بقصره فرآه جميلاً ورأى هذا الكوخ فقال لأحد جنوده: لمن هذا الكوخ؟

فقال: لعجوز، قال: ألا ترون أنه يقبح منظر القصر؟ قالوا: بلى، قال: انسفوه وامحقوه، فنسفوا كوخ العجوز ورجعت العجوز من عملها فلم تر كوخها فسألت من أزاله؟ قالوا: الأمير، قالت: ولم؟ قالوا: إنه يرى أنه يقبح منظر القصر، فقالت بيقين: أنا كنت غائبة فأين كنت أنت يا رب العالمين؟ فقلب الله القصر على من فيه.

* * *

١٢٠ - من للمظلوم سواك؟

أمر أحد الظالمين المتكبرين أتباعه باقتياد امرأة مظلومة والقبض عليها لتعذيبها والسخرية منها فأمر بجرها فقالت له: اتق الله، فلم يلتفت إليها وإنما أمر باستمرار جرها ولم تزل تناشده الله أن يتركها ويتقى الله فيها وهو يأمر بجرها، فلما يئست من نفسها رفعت رأسها إلى السماء ثم قالت: ﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ** ﴾ (الزمر: ٤٦) اللهم إن كان هذا الرجل يظلمنى فخذه، فوقع الرجل فى نفس اللحظة على ظهره ميتًا!! وحمل على جنازة وانصرفت المرأة سالمة.

* * *

١٢١ - عاقبة الظالمين

رأى رجل رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادى: من رآنى فلا يظلم أحداً، فقال له: يا أخى ما قصتك؟ قال: أخى قصتى عجيبة وذلك أنى كنت من أعوان الظلمة فرأيت يومًا صياداً وقد صاد سمكة كبيرة فجئت إليه وقلت: أعطنى هذه السمكة فقال: لا أعطيكها أنا آخذ بثمنها قوتًا لعيالى فضربته وأخذتها منه قهراً ومضيت بها.

فقال: بينما أنا أمشى بها إذ عضت على إبهامى عضة قوية فلما وصلت بها إلى بيتى وألقيتها من يدى ضربت على إبهامى وآلمتنى ألمًا شديداً حتى لم أنم من شدة الألم وورمت يدى فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت إليه الألم فقال: هذه بدء الآكلة اقطعها وإلا قطعت يدك فقطعت إبهامى وآلمتنى ألمًا شديداً حتى لم أنم من شدة الوجع والألم ثم ضربت على يدى فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم فقال: اقطع كفك، فقطعته وانتشر الألم إلى الساعد وآلمنى ألمًا شديداً فقيل لى: اقطعها إلى المرفق فقطعتها، فانتشر الألم

إلى العضد وضربت على العضد أشد من الألم الأول فقيل: اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك فقطعتها كلها.

فقال لى بعض الناس: ما سبب ألمك؟ فذكرت قصتى فقال لى: لو كنت رجعت إلى صاحب السمكة واستحللت منه ما قطع منك عضو فبحثت عنه فوجدته فأخبرته ووقعت على رجليه أقبلها وأبكى فنهاتنى فقلت: هل كنت دعوت بشىء؟ قال: قلت: اللهم إن هذا تقوى على بقوته فأرنى قدرتك فيه.

* * *

١٢٢ - الدعاء المستجاب

قال بقية بن الوليد: كنا فى البحر فهبت الرياح وهاجت الأمواج فبكى الناس وضجوا فقيل لمعيوف: هذا إبراهيم بن أدهم لو سألته أن يدعو الله، وإذا هو نائم فى ناحية السفينة ملفوف رأسه فى كساء فدنا منه فقال: يا أبا إسحاق أما ترى ما الناس فيه؟! قال: اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك، قال: فهدأت السفينة.

* * *

١٢٣ - الداعى صاحب القلب السماوى

كان سعدون المجنون صاحب محبة لله تعالى صام ستين سنة حتى خف دماغه فسماه الناس مجنونًا ونحن الآن نذكر بعض مواقفه النادرة وأحواله الباهرة جمعنا الله معه فى الدار الآخرة.

يقول ذون النون المصرى: خرج الناس للاستسقاء بالبصرة فخرجت فيمن خرج فبينما أنا مار بين الناس إذا بيدين قبضتا على رجلى فقلت: من أنت؟ خل عنى قال: أنا سعدون المجنون أين تريد يا أبا الفيض؟ قلت: أريد المصلى أدعو الله تعالى، فقال: بقلب سماوى أو بقلب جاف؟

فقلت: بقلب سماوى، قال: انظر يا ذا النون لا تبهرج فإن الناقد بصير، وقال: تدعو الله وأؤمن على دعائك أو أدعو الله وتؤمن على دعائى؟

فقلت: تدعو أنت وأؤمن على دعائك.

قال: فصف قدميه ثم قال: إلهى بحق البارحة إلا تمطرنا، قال ذو النون: لقد رأيت الغيوم قد ارتفعت عن اليمين والشمال حتى التقت فجاءنا المطر كأفواه الغدالى فقلت له:

بحق معبودك أى شيء كان بينك وبين الله البارحة؟ فقال لى: لا تدخل بينى وبين قرة عينى، قلت: لا بد أن تخبرنى، فأنشأ يقول:

أنست به فلا أبغى سواه
مخافة أن أضل فلا أراه
فحسبك حسرة وضنى وسقما
بطردك عن مجالس أولياه

* * *

١٢٤- الفرج بعد الشدة

عن وضاح بن خثيمة قال: أمرنى عمر بن عبد العزيز بإخراج من فى السجن فأخرجتهم إلا يزيد بن مسلم فنذر دمى.

قال: فوالله إنى لباق بقبة فى بيت لى إذ قدم يزيد بن مسلم فهربت منه فأرسل فى طلبى فأخذت وأتى بى فقال لى: وضاح، قلت: وضاح! قال: أما والله لطالما سألت الله أن يمكننى منك، قلت: أما والله لطالما استعذت بالله من شرك، قال: فوالله لأقتلنك ثم والله لأقتلنك ثم والله لأقتلنك، لو سابقنى ملك الموت إلى قبض روحك لسبقته على السيف والنطع.

قال: فجيء بالنطع فأقعدت فيه وكتفت وقام قائم على رأسى بسيف مشهور وأقيمت الصلاة فخرج إلى الصلاة فلما خر ساجداً أخذته سيوف الجند فقتل فجاءنى رجل فقطع كتافى بسيفه ثم قال: انطلق.

* * *

١٢٥- الفرج عند الكرب

حج أبو جعفر سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة فقال: ابعث إلى أبى جعفر بن محمد من يأتينى به تعبًا قتلنى الله إن لم أقتله فأمسكت عنه رجاء أن ينساه فأغلظ فى الثالثة فقلت: جعفر بن محمد بالباب يا أمير المؤمنين، فقال: لا سلم الله عليك يا عدو الله تلحد فى سلطانى وتبغينى الغوائل فى ملكى قتلنى الله إن لم أقتلك.

قال جعفر: يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطى فشكر، وإن أيوب ابتلى فصبر، وإن يوسف ظلم فغفر، وأنت السنخ (الأصل) من ذلك، فسكن طويلاً ثم هز رأسه ثم

قال : إلى عندى يا أبا عبد الله البرىء الساحة السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من رحم أفضل ما يجزى ذوى الأرحام عن أرحامهم ثم تناول بيده فأجلسه معه على مفرشه .

ثم قال : يا غلام على بالمتحفة (أو المتحفة ودهن كبير فيه غالية) فأتى به فغلفه بيده حتى خلت لحيته قاطرة فانصرف فلحقته فقلت : إنى قد رأيت قبل ذلك ما لم تره ورأيت بعد ذلك ما قد رأيته وقد رأيتك تحرك شفتيك فما الذى قلت؟ قال : نعم إنك رجل منا أهل البيت ولك محبة وود، قلت : اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام واكفنى بركنك الذى لا يرام واغفر لى بقدرتك علىَّ لا أهلك وأنت رجائى رب كم من نعمة أنعمت بها على قل لك عندها شكرى وكم من بلية ابتليتنى بها قل عندى صبرها فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ويا من قل عند بلائه صبرى فلم يخذلنى ويا من رآنى على الخطايا فلم يفضحنى يا ذا المعروف الذى لا ينقض أبداً ويا ذا النعم التى لا تحصى عدداً أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد أبداً اللهم بأدرأ فى نحره وأعوذ بك من شره اللهم أعنى على دينى بالدنيا وأعنى على آخرتى واحفظنى فيما غبت عنه ولا تكلنى إلى نفسى فيما حضرته يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة اغفر لى ما لا يضرك وأعطنى ما لا ينقصك إنك أنت الوهاب أسألك فرجًا قريبًا وصبرًا جميلاً ورزقًا واسعًا والعافية من جميع البلاء وشكر العافية .

* * *

١٢٦- كاشف الكروب

ذكر ابن أبى الدنيا فى كتاب مجابى الدعاء عن الحسن قال : كان رجل يكنى أبا معلق وكان تاجراً على مال له ولغيره وضرب به فى الآفاق وكان ناسكًا ورعًا فخرج تاجراً مرة فلقيه لص مقنع فى السلاح فقال له : ضع ما معك فإنى قاتلك .

قال : ما تريد من دمى؟ شأنك بالمال، قال : أما المال فلى ولست أريد إلا دمك، فقال : أما إذا أبيت فذرنى أصلى ركعات، قال : صل ما بدا لك، فتوضأ ثم صلى أربع ركعات فكان من دعائه فى آخر سجوده أنه قال : يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما تريد أسألك بعزك الذى لا يرام وبملكك الذى لا يضام وبنورك الذى ملأ أركان عرشك أن تكفينى شر هذا اللص يا مغيث أغثنى - ثلاث مرات - فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة وقد

وضعها بين أذنى فرسه فلما بصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله ثم أقبل إليه فقال: قم فقال: من أنت بأبى أنت وأمى فقد أغاثنى الله بك اليوم؟

قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة دعوتَ بدعائك الأول فسمعتُ لأبواب السماء قعقعة ثم دعوتَ بدعائك الثانى فسمعتُ لأهل السماء ضجة ثم دعوتُ بدعائك الثالث وقيل لى دعاء مكروب فسألتُ الله أن يولينى قتله.

* * *

١٢٧- ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾

ذكر الحافظ بن عساكر فى ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود النبوى المعروف بالدقى الصوفى قال هذا الرجل: كنت مكاريًا على بغلة لى من دمشق إلى بلد الزيدانى فركب معى ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق غير المسلوكة فقال لى: خذ من هذه فإنها أقرب، فقلت: لا خبرة لى فيها.

فقال: بل هى أقرب فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعر وواد عميق وفيه قتلى كثيرة فقال لى: أمسك رأس البغل حتى أنزل فنزل وتسمر وجمع عليه ثيابه وسل سكينًا معه وقصدنى ففرت من بين يديه فتبعنى فناشدته الله وقلت فلم يقبل فاستسلمت بين يديه وقلت: إنى أريد أن تتركنى حتى أصلى ركعتين، فقال: وعجل، فقمت أصلى فارتج على القرآن فلم يحضرنى منه حرف واحد فبقيت واقفًا متحيرًا وهو يقول: هيا أفرغ، فأجرى الله على لسانى قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾(النمل: ٦٢) فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادى وبيده حربة ورمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخر صريعًا فتعلقت بالفارس وقلت: بالله من أنت؟ فقال: أنا رسول من يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء، قال: فأخذت البغل والحمل فرجعت سالمًا.

قال رسول الله ﷺ «ما أصاب أحداً قط هم ولا حزن فقال: اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته فى كتابك أو أستأثرت به فى علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدى وجلاء حزنى وذهاب همى إلا أذهب الله عز وجل همه وحزنه وأبدله مكانه فرحًا» فقيل: يا رسول الله ألا نتعلمها؟ قال: «بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها» رواه أحمد وصححه الألبانى فى الصحيحة.

وفى الصحيحين عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم».

* * *

١٢٨- ادعونى أستجب لكم

ذكر ابن عساكر فى ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجيلة قالت: هزم الكفار يومًا المسلمين فى غزاة فوقف جواد جيد بصاحبه وكان من ذوى اليسار وكان من الصلحاء وقال للجواد: ما لك؟ ويلك إنما كنت أعدك لمثل هذا اليوم! فقال له الجواد: وما لى لا أقصد وأنت تكل العلوفة إلى السواس فيظلموننى ولا يطعموننى إلا القليل، فقال: لك على عهدًا ألا أعلفك بعد هذا اليوم إلا فى حجرى (أى أمامى) فجرى الجواد عند ذلك ونجى صاحبه، وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا فى حجره، واشتهر أمره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك وبلغ ملك الروم أمره فقال: ما تضام بلد يكون هذا الرجل فيها.

واحتال ليحصله فى بلده فبعث إليه رجلاً من المرتدين عنده فلما انتهى إليه أظهر له أنه قد حسنت نيته فى الإسلام وقومه حتى استوثق ثم خرجا يومًا، يمشيان على جنب الساحل وقد واعدوا شخصًا آخر جعله ملك الروم ليساعده على أسره فلما اكتنفاه ليأخذاه رفع طرفه إلى السماء وقال: اللهم إنه قد خدعنى بك فاكفنيهما بما شئت، قال: فخرج سبعان فأخذاهما ورجع الرجل سالمًا.

* * *

١٢٩- الدعوات الثلاث

قال عبد الله بن ميسرة: دعا عتبة الغلام ربه أن يهب له ثلاث خصال فى دار الدنيا: دعا ربه أن يمن عليه بصوت حزين ودمع غزير وطعام من غير تكلف، فكان إذا قرأ بكى وأبكى وكانت دموعه جارية دهره وكان يأوى إلى منزله فيصيب قوته لا يدرى من أين يأتيه.

قال أبو بلج: أمر الحجاج بن يوسف الثقفى برجل كان الحجاج آلى على نفسه إن ظفر به أن يقتله، فلما أدخل عليه تكلم بشىء فخلى سبيله فقيل له: أى شىء قلت؟ قال: قلت: يا عزيز يا حميد يا ذا العرش المجيد اصرف عنى شر كل جبار عنيد.

قال أبو المتنى الملكى: خرجت سرية فى سبيل الله عز وجل فأصابهم برد شديد كادوا أن يهلكوا فدعوا الله عز وجل وإلى جانبهم شجرة عظيمة فإذا هى تلتهب فقاموا إليها فما زالوا عندها حتى جففوا ثيابهم ودفئوا وطلعت عليهم الشمس ثم انصرفوا ورد الله عز وجل الشجرة على هيئتها خضراء لا نار فيها.

* * *

١٣٠- قتله بالدعاء

كان بين مطرف وبين رجل من قومه شيء فكذب على مطرف فقال له: إن كنت كاذبًا عجل الله حتفك فقال: فمات الرجل مكانه، فاستعدى أهله زيادًا على مطرف، فقال لهم زياد: هل ضربه؟ قالوا: لا، قال: هل مسه بيده؟ قالوا: لا، فقال: دعوه رجل صالح وافقت دعوته قدرًا فلم يجعل له شيئًا.

* * *

١٣١- سهام الدعاء تصيب كبد السماء

قالت امرأة: إن ابنى قد أسره الروم ولا أقدر على مال أكثر من دويرة ولا أقدر على بيعها فلو أشرت إلى من يفديه بشيء فليس له ليل أو نهار ولا نوم ولا قرار، فأطرق الشيخ (رفع رأسه إلى السماء) وحرك شفتيه فلبثنا وقتًا فجاءت المرأة ومعها ابنها وأخذت تدعو له، وقالت: حديث يحدثك به، فقال الشاب: كنت فى يد بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسرى وكان له بستان يستخدمنا فيه كل يوم فخرج إلى الصحراء لنخدمه ثم يردنا وعلينا قيودنا فبينما نحن نجيء بالعمل بعد المغرب انفتح القيد من رجلى ووقع على الأرض ووصف الوقت والساعة فوافق الوقت الذى جاءت فيه المرأة ودعا فيه الشيخ فقال: فنهض الذى كان يحفظنى فصاح على وقال: كسرت القيد؟ قلت: لا إنه سقط من رجلى، قال: فتحيروا فى أمرى وأحضر الحداد فقيدنى فلما مشيت سقط القيد من رجلى فتحيروا فى أمرى فدعوا رهبانهم فقالوا لى: ألك والدة؟ قلت: نعم، قالوا: قد وافق دعاؤها الإجابة، قالوا: أطلقك الله فلا يمكننا من قيدك فردونى وصحبونى إلى ناحية المسلمين.

* * *

١٣٢- لماذا لا يستجيب الله لنا؟

قيل لإبراهيم بن أدهم: ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال لأنكم:

١ - عرفتم الله فلم تطيعوه.

٢ - وعرفتم الرسول ﷺ فلم تتبعوا سنته.

٣ - وعرفتم القرآن فلم تعملوا به.

٤ - وأكلتم نعم الله فلم تؤدوا شكرها.

٥ - وعرفتم الجنة فلم تطلبوها.

٦ - وعرفتم النار فلم تهربوا منها.

٧ - وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه.

٨ - وعرفتم الموت فلم تستعدوا له.

٩ - ودفنتم الأموات فلم تعتبروا.

١٠ - وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس.

قال سهل بن عبد الله التسترى: شروط الدعاء (أى شروط قبوله) سبعة أولها التضرع والرجاء والمداومة والخشوع والعموم (الدعاء للجميع) وأكل الحلال.

* * *

١٣٣- أشد حبًا لله

كان سعد بن أبى وقاص - رضي الله عنه - من السابقين إلى الإسلام وخال النبى ﷺ وكان لإسلامه قصة نترك للبطل توضيحها وبيانها، قال سعد: رأيت فى المنام قبل أن أسلم بثلاث ليال كأنى غارق فى ظلمات بعضها فوق بعض وبينما كنت أتخبط فى لججها إذ أضاء لى قمر فرأيت نفرًا قد سبقونى إلى ذلك القمر رأيت زيد بن حارثة وعلى بن أبى طالب وأبا بكر الصديق فقلت لهم: منذ متى أنتم ها هنا؟! فقالوا: الساعة، ثم إنى لما طلع علينا النهار بلغنى أن رسول الله يدعو إلى الإسلام مستخفيًا فعلمت أن الله أراد بى خيرًا وشاء أن يخرجنى بسببه من الظلمات إلى النور فمضيت إليه مسرعًا حتى لقيته فى شعب جياد وقد صلى العصر فأسلمت فما تقدمنى أحد سوى هؤلاء النفر الذين رأيتهم فى الحلم.

ثم تابع قصة إسلامه فقال: وما أن سمعت أمى بخبر إسلامى حتى ثارت ثائرتها وكنت

فتى برًا بها محبًا لها فاقبلت عليَّ تقول: يا سعد ما هذا الدين الذى اعتنقته فصرفك عن دين أمك وأبيك والله لتدعن دينك الجديد أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت فينفطر فؤادك حزنًا على فعلتك التى فعلت وتعيرك الناس أبد الدهر، فقلت: لا تفعلى يا أماه فإنى لا أدع دينى لأى شيء، لكنها مضت فى وعيدها فاجتنبت الطعام والشراب ومكثت أيامًا على ذلك لا تأكل ولا تشرب فهزل جسمها ووهن عظمها فجعلت آتيها ساعة بعد ساعة أسألها أن تتبلغ بشيء من طعام أو بقليل من شراب فتأبى ذلك أشد الإباء وتقسم ألا تأكل أو تشرب حتى أموت أو أدع دينى عند ذلك، قلت لها: يا أماه إنى على شديد حبى لك لأشد حبًا لله ورسوله والله لو كان لك ألف نفس فخرجت منك نفسًا بعد نفس ما تركت دينى هذا لشيء، فلما أن رأت الجد منى أذعنت للأمر وأكلت وشربت على كره منها، فأنزل الله فينا قوله عز وجل: ﴿ **وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا** ﴾ (لقمان: ١٥).

* * *

١٣٤- الولاء لله ولرسول الله ﷺ

﴿ **يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴾ (المنافقون: ٨) لهذه الآية قصة وسبب النزول يرويه جابر بن عبد الله ﷺ فيقول: كنا غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال الأنصارى: يا للأنصار! وقال المهاجرى: يا للمهاجرين! فقال رسول الله ﷺ: «ما بال دعوى الجاهلية»؟ قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال: «دعوها فإنها منتنة» فسمعها عبد الله بن أبى فقال: قد فعلوها والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

قال عمر: دعنى أضرب عنق هذا المنافق.

قال رسول الله ﷺ: «دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» ولما وصل قول عبد الله بن أبى المنافق إلى ولده الصحابى الجليل عبد الله بن عبد الله بن أبى ابن سلول ﷺ غضب غضباً مرّا وأراد أن يقتل والده إذا أراد النبى ﷺ.

قال محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمرو بن قتادة: إن عبد الله بن عبد الله بن أبى لما بلغه ما كان من أبيه أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن

أبى فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها رجل أبر بوالديه منى إنى أخشى أن تأمر غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا».

أرأيت ولاء لله ولرسوله ﷺ مثل هذا الولاء؟ ولم يقف الأمر على هذا بل كان لعبد الله الولد الصالح مع والده المنافق موقف آخر.

فقد روى عكرمة وغيره أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله بن أبى على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله ابن أبى قال له ابنه: وراءك، قال: ما لك ويلك؟ فقال: والله لا تجوز من ها هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ وإنما كان يسير ساقة فشكا إليه عبد الله بن أبى ابنه، فقال الابن: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له، فأذن له رسول الله ﷺ فقال: أما إذ أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن.

* * *

١٣٥- الفرسان تمشى على أمواج البحار

فى أحد معارك المسلمين مع العجم فى عصر سيدنا عمر رضي الله عنه حدثت هذه الكرامة العظيمة عندما جاء المسلمون عند نهر دجلة وقف أمير الجيش فى أيام عمر رضي الله عنه ونظر إلى نهر دجلة فتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ (آل عمران: ١٤٥) ثم سمى الله تعالى واقتحم بفرسه الماء واقتحم الجيش وراءه ولما نظر إليهم الأعاجم يفعلون ذلك جعلوا يقولون: ديوان ديوان أى: مجانين، ثم ولوا مدبرين فقتلهم المسلمون وغنموا منهم مغانم كثيرة.

* * *

١٣٦- طعام وشراب وعلف كرامات من السماء

خرج أبو مسلم الخولانى وجماعة من أصحابه إلى العجم وأمرهم أن لا يحملوا زادًا مزادًا فكانوا إذا نزلوا منزلاً صلى ركعتين فيؤتون بطعام وشراب وعلف يكفيهم ويكفى

دوابهم غداء وعشاء مدة ذهابهم وإيابهم وهذا الذى جاءهم من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

* * *

١٣٧- عبروا البحر على أرجلهم

وفى إحدى معارك المسلمين مع الروم حدث هذا الموقف العجيب الذى يرويه ابن عساكر وغيره عن حميد بن هلال العدوى: حدثنى ابن عمى قال: خرجت مع أبى مسلم الخولانى فى جيش فأتينا على نهر عجاج بالماء وهو نهر دجلة منكر فقلنا لأهل القرية: أين المخاضة؟ فقالوا: ما كانت ها هنا مخاضة ولكنها أسفل منكم على ليلتين، فقال أبو مسلم: اللهم أجزت بنى إسرائيل البحر وإنا عبيدك وفى سبيلك فأجزنا هذا النهر اليوم، ثم قال: اعبروا باسم الله.

قال ابن عمر (وكان على فرس) فقلت: لأدفعنه أول الناس خلف فرسه، قال: فوالله ما بلغ الماء بطون الخيل حتى عبر الناس كلهم الله كأنهم طيور فوق الماء، ثم وقف أبو مسلم وقال: يا معشر المسلمين هل ذهب لأحد منكم شيء؟ فادعوا الله تعالى برده.

* * *

١٣٨- الحمار الذى قام من الموت

يوم يقوم الحمار من الموت قصة حمار ولى مجاهد مات حماره فلجأ إلى الله تعالى فأحيا الله له حماره.

عن أبى سبرة النخعى قال: أقبل رجل من اليمن فلما كان ببعض الطريق نفق حماره فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال: اللهم إنى جئت من الدفيفة مجاهداً فى سبيلك وابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور لا تجعل لأحد على اليوم منة، أطلب منك أن تبعث حمارى، فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وألجمه ثم ركبه وأجراه فلحق بأصحابه فقالوا: ما شأنك؟ قال: إن الله بعث حمارى، قال الشعبى: فأنا رأيت الحمار بيع أو يباع فى الكناسة يعنى بالكوفة وهذا الحمار لما ذهب صاحبه ليبيعه قيل له: أتبيعه وقد أحياه الله لك؟ قال: فكيف أصنع؟ وإن من الشعر الذى ورد فى هذه القصة قول القائل:

ومنا الذى أحيا الإله حماره
وقد مات منه كل عضو ومفصل

صاحب هذه القصة: (نباتة بن يزيد).

* * *

١٣٩- نجا بأعجوبة

قال الفضل بن الربيع: حج أبو جعفر المنصور سنة سبع وأربعين ومائة فقدم المدينة وقال: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به تعبًا قتلنى الله إن لم أقتله، فتغافل عنه الربيع لينساه ثم أعاد ذكره للربيع وقال: أرسل إليه من يأتنى به متعبًا، فتشاغل عنه ثم أرسل إلى الربيع برسالة قبيحة فى جعفر وأمره أن يبعث إليه ففعل فلما أتاه قال له: يا أبا عبد الله اذكر الله فإنه قد أرسل إليك التى لا سوى لها.

قال جعفر: لا حول ولا قوة إلا بالله ثم أعلم الربيع الخليفة المنصور بحضور جعفر فلما دخل جعفر عليه قال له المنصور متوعداً: أى عدو الله اتخذك أهل العراق يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد فى سلطانى وتبغينى الغوائل؟ قتلنى الله إن لم أقتلك، فقال: يا أمير المؤمنين: إن سليمان عليه السلام أعطى فشكر وإن أيوب ابتلى فصبر وإن يوسف ظلم فغفر وأنت من ذلك السنخ، فقال له أبو جعفر: إلى وعندى أبا عبد الله البرىء الساحة السليم الناحية القليل الغائلة جزاك الله من ذى رحم أفضل ما جزى ذوى الأرحام عن أرحامهم ثم تناول يده فأجلسه معه على فراشه.

ثم قال: على بالمنجفة، فأتى بدهن فيه غالية فغلفه بيده حتى خلت لحيته قاطرة ثم قال المنصور: فى حفظ الله وكلاءته، ثم قال: يا ربيع ألحق أبا عبد الله جائزته وكسوته انصرف أبا عبد الله فى حفظ الله وفى كنفه، فانصرف ولحقته فقلت له: إنى قد رأيت قبل ذلك ما لم تره ورأيت بعد ذلك ما قد رأيت فما قلت يا أبا عبد الله حين دخلت؟ قلت: اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام، واكنفنى بركنك الذى لا يرام واغفر لى بقدرتك على لا أهلك وأنت رجائى اللهم إنك أكبر وأجل ممن أخاف وأحذر اللهم بك أدفع فى نحره وأستعيذ بك من شره.

* * *

١٤٠- يا رب احشرنى مع صاحب النقب

كان مسلمة بن عبد الملك بن مروان أحد قادة الفتح الإسلامى الأبطال، وفى يوم من أيام جهاده حاصر حصنًا من حصون الروم فندب الناس إلى نقب منه فما دخله أحد وجاء رجل من عرض الجيش ففتحه الله على المسلمين ونادى مسلمة: أين صاحب النقب؟ فما جاءه أحد فنادى: إنى قد أمرت الآذن بإدخاله ساعة يأتى فعزمت عليه إلا جاء، وجاء رجل فقال للآذن استأذن لى على الأمير، فقال له: أنت صاحب النقب؟ قال الرجل: أنا أخبركم عنه.

وأتى الآذن مسلمة فأخبره عن الرجل فأذن له فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثًا:

١- ألا تسودوا اسمه فى صحيفة إلى الخليفة.

٢- ولا تأمروا له بشىء - يقصد العطاء.

٣- ولا تسألوه ممن هو.

قال مسلمة: فذاك له، قال الرجل: أنا هو، فكان مسلمة لا يصلى بعدها صلاة إلا قال: اللهم احشرنى مع صاحب النقب.

هكذا الإخلاص ... اللهم احشرنا مع صاحب النقب.

* * *

١٤١- النور الإلهى على رأسه الإخلاص

حكى أن رجلاً اشترى غلامًا فقال الغلام: يا مولاى إن لى معك ثلاثة شروط:

إحداها: أن لا تمنعنى عن الصلاة المكتوبة إذا جاء وقتها.

والثانى: أن تأمرنى بالنهار ما شئت ولا تأمرنى بالليل.

والثالث: أن تجعل لى منزلاً فى بيتك لا يدخله غيرى.

فقال له الرجل: لك هذه الشروط، ثم قال الرجل: انظر فى البيوت فطاف فوجد فيها بيتًا خرابًا فقال الغلام: يا مولاى أما علمت أن الخراب مع الله بستان، فكان يخدم مولاه بالنهار ويتفرغ لعبادة ربه سبحانه وتعالى بالليل، فبينما هو كذلك إذ طاف مولاه ذات ليلة فى الدار فبلغ حجرة الغلام فإذا هى مضيئة والغلام ساجد وعلى رأسه قنديل من النور معلق

بين السماء والأرض والغلام يناجى ربه ويتضرع ويقول: إلهى أوجبت على حق مولاى وخدمته بالنهار ولولا ذلك ما اشتغلت ليلى ولا نهارى إلا بخدمتك فاعذرنى يا رب.

ومولاه ينظر إليه حتى انفجر الصبح وودئ انقطع القنديل وانضم سقف البيت فرجع وأخبر امرأته بذلك فلما كانت الليلة الثانية أخذ بيد امرأته وجاء إلى باب الحجرة فإذا الغلام فى السجود والقنديل على رأسه فوقفا على الباب ينظران إليه ويبكيان حتى أصبحا فدعا الغلام فقال له: أنت عتيق لوجه الله تعالى حتى تتفرغ لعبادة من كنت تعتذر إليه، فرفع يديه إلى السماء وقال:

* يا صاحب السر إن السر قد ظهرا *

* ولا أريد حياة بعدما اشتهرا *

* * *

١٤٢- تواضعك خير من تجبرك

وعن عبد الله بن مهران قال: حج الرشيد فوافى الكوفة فأقام بها أيامًا ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس وخرج بهلول المجنون فيمن خرج والصبيان يؤذونه يولعون به إذا أقبلت هوادج هارون فكف الصبيان عن الولوع به فلما جاء هارون نادى بأعلى صوته: يا أمير المؤمنين، فكشف هارون السجاف بيده عن وجهه فقال: لبيك يا بهلول، فقال: يا أمير المؤمنين: حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة بن عبد الله العامرى قال: رأيت النبى ﷺ منصرفًا من عرفة على ناقة له صهباء وتواضعك فى سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير لك من تكبرك وتجبرك.

قال: فبكى هارون حتى سقطت دموعه على الأرض ثم قال: يا بهلول زدنا رحمك الله، قال: نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالاً وجمالاً فأنفق من ماله وعف فى جماله كتب فى خالص ديوان الله تعالى مع الأبرار قال: أحسنت يا بهلول أعليك دين فنقضيه؟ قال: يا أمير المؤمنين هؤلاء أهل العلم بالكوفة متوافرون قد اجتمعت آراؤهم أن قضاء الدين بالدين لا يجوز، قال: يا بهلول فنجرى عليك ما يقوتك أو يقيمك، قال: فرفع بهلول رأسه إلى السماء ثم قال: يا أمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله هل يذكرك وينسانى؟ قال: فأسبل هارون السجاف ومضى.

* * *

١٤٣- الإسلام هو الحق

دخل يهودى ومسيحى ومسلم على أحد الملوك فسألهم الملك: ما سبب دخولكم الجنة؟.

فقام اليهودى وقال: سبب دخولى الجنة هو الإيمان بموسى، عليه السلام، لأن الإيمان به سبب دخول الجنة.

وقال المسيحى: سبب دخولى الجنة هو الإيمان بعيسى عليه السلام.

وقال المسلم: سبب دخولى الجنة الإيمان بكل الأنبياء، عليهم السلام، فإن كان اليهود يرون أنهم يدخلون لإيمانهم بموسى، عليه السلام، فنحن نؤمن بموسى، عليه السلام، وإن كان المسيحيون يرون أنهم يدخلون الجنة لإيمانهم بعيسى، عليه السلام، فنحن نؤمن بعيسى، عليه السلام، فإن كان سبب دخول الجنة الإيمان بمحمد ﷺ فنحن سندخل الجنة ولا يدخلها اليهود والنصارى لأنهم لا يؤمنون به.

* * *

١٤٤- القرآن كلام الله غير مخلوق

ذكر عن محمد ابن الخليفة الواثق أن شيخًا دخل يومًا على الواثق فسلم فلم يرد عليه الواثق بل قال: لا سلم الله عليك، فقال: يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك به معلمك قال الله تعالى: ﴿ **وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾ (النساء: ٨٦) فلا حييتنى بأحسن منها ولا رددتها، فقال ابن أبى داود: يا أمير المؤمنين الرجل يتكلم، فقال الخليفة: ناظره، فقال ابن أبى داود: ما تقول يا شيخ فى القرآن أمخلوق هو؟ فقال الشيخ: لم تنصفنى المسألة لى فقال: قل، فقال الشيخ: هذا الذى تقوله علمه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى أو ما علموه؟ قال ابن أبى داود: لم يعلموه.

قال: فأنت علمت ما لم يعلموا فخجل وسكت ثم أقلنى بل علموه، قال الشيخ: فلم لم يدعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت أما يسعك ما وسعهم؟ فخجل وسكت وأمر الواثق به بجائزة نحو أربعمائة دينار فلم يقبلها، قال محمد المهدى بن الواثق: فدخل أبى المنزل فاستلقى على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول: أما وسعك ما وسعهم؟ ثم

أطلق الشيخ وأعطاه أربعمائة دينار ورده إلى بلاده وسقط من عينيه ابن أبى داود ولم يمتحن الناس بعده أبداً.

وصدق من قال:

نكست من الدين يابن أبى داود
فأصبح من أطاعك فى ارتداء
زعمت كلام ربك كان خلقًا
أما لك عند ربك من معاد
كلام الله أنزله بعلم
على جبريل إلى خير العباد
ومن أمسى ببابك مستضيفًا
كمن حل الغلاة بغير زاد
ولقد أطرفت يا بن داود
بقولك إننى رجل إيادى

* * *

١٤٥- (لقاء شعيب بن حرب وهارون الرشيد) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

قال شعيب بن حرب: بينما أنا فى طريق مكة إذ رأيت هارون فقلت فى نفسى: قد وجب عليك الأمر والنهى، فقالت لى: لا تفعل فإن هذا رجل جبار ومتى أمرته ضرب عنقك، فقلت فى نفسى: لا بد من ذلك فلما دنا منى صحت: يا هارون قد آذيت الأمة، وأتعبت البهائم، فقال: خذوه، ثم أدخلت عليه وهو على كرسى وبيده عمود يلعب به، فقال: ممن الرجل؟ فقلت: من أفناء الناس - من عوامهم - قال: وما حملك أن تدعونى باسمى؟ فقلت: أنا أدعو الله باسمه فأقول: يا الله يا رحمن وما ينكر دعائى باسمه، وقد رأيت الله سمى فى كتابه أحب الخلق إليه محمداً وكنى أبغض الخلق إليه أبا لهب، فقال: أخرجوه.

* * *

١٤٦ - وهكذا العلماء: الإمام مالك وجعفر بن سليمان

أخذ الإمام مالك إلى جعفر بن سليمان ابن عم الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور، وقالوا له: إنه لا يرى أيمان (الحلف) بيعتكم هذه بشىء، فغضب جعفر ودعا به وضربه بالسياط ومدت يده حتى انخلعت كتفه، وذكر ابن الجوزى فى شذور العقود فى سنة ١٤ وفيما ضرب مالك بن أنس سبعين سوطًا لأجل فتوى لا توافق السلطان، ولذلك كان يرسل يده وهو يصلى لأجل هذه الضرورة، ولقد ثبت فى الموطأ ذكره حديث النبى ﷺ أنه كان يضع اليمنى على اليسرى.

* * *

١٤٧ - ذكاء العلماء: الإمام أبو حنيفة والمنصور

أراد أبو جعفر المنصور أن يولى أبا حنيفة القضاء فأبى فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة ألا يفعل، فقال الربيع بن يونس الحاجب ألا ترى أمير المؤمنين يحلف؟ فقال أبو حنيفة: أمير المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر منى على كفارة أيمانى.

قال الربيع: رأيت المنصور ينازل أبا حنيفة فى أمر القضاء وهو يقول: اتق الله، قال: والله ما أنا مأمون الرضا فكيف أكون مأكون الغضب؟ لو اتجه الحكم عليك، ثم هددتنى أن تغرقنى فى الفرات أو إلى الحكم لاخترت الغرق، ولك حاشية يحتاجون من يكرمهم، فلا أصلح لذلك، فقال له: كذبت أنت تصلح، فقال له: قد حكمت على نفسك كيف يحل لك أن تولى قاضيًا على أمانتك وهو كذاب؟.

* * *

١٤٨ - عالم أهل الشام مكحول ويزيد بن عبد الملك

بينما جلس مكحول فى مجلسه وحوله طلابه إذ أقبل يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموى فى زينته وجاء إلى الحلقة فأراد الطلاب أن يوسعوا له، فقال مكحول: دعوه يتعلم التواضع.

* * *

١٤٩- العالم حطيط والحجاج

جىء بحطيط الزيات إلى الحجاج فلما دخل عليه قال: أنت حطيط؟ قال: نعم، قال حطيط: سل عما بدا لك فإنى عاهدت الله عند المقام - أى مقام إبراهيم - على ثلاث خصال: إن سئلت لأصدقن، وإن ابتليت لأصبرن، وإن عوفيت لأشكرن، قال الحجاج: فما تقول فىَّ؟ قال: أقول فيك: إنك من أعداء الله فى الأرض، تنتهك المحارم وتقتل بالظنة (أى من ظننت فى شخص أنه عدوك قتلته).

قال: فما تقول فى أمير المؤمنين عبد الملك ابن مروان؟ قال: أقول: إنه أعظم جرمًا منك وإنما أنت خطيئة من خطاياه.

فأمر الحجاج أن يضعوا عليه العذاب فانتهى به العذاب إلى أن شقق له القصب ثم جعلوا على لحمه وشدوه بالحبال ثم جعلوا يستلون قصبه حتى انتحلوا لحمه فما سمعوه يقول شيئًا، فقيل للحجاج: إنه فى آخر رمق.

قال راوى القصة: فأتيته أنا وصاحب له فقلت له: ألك حاجة؟ قال: شربة، فأتوه بشربة ثم استشهد، وكان عمره ثمانى عشرة سنة.

* * *

١٥٠- العابد صالح المرى والمهدى

بعث المهدى إلى صالح، قال صالح: فلما دخلت عليه قلت: يا أمير المؤمنين أحمل لله ما أكملك به اليوم، فإن أولى الناس بالله أحملهم لغلظة النصيحة فيه وجدير بمن له قرابة برسول الله أن يرث أخلاقه ويأتم بهديه، وقد ورثك الله من فهم العلم وإنارة الحجة ميراثًا قطع به عذرك، فمهما أديت من حجة أو ركبت من شبهة لم يصح لك فيها برهان من الله حل بك من سخط الله بقدر ما تجاهلته من العلم أو أقدمت عليه من شبهة الباطل وأعلم أن رسول الله خصم من خالف فى أمته يبتزها أحكامها ومن كان محمد ﷺ خصمه كان الله خصمه، فأعد لمخاصمة الله ومخاصمة رسوله حججًا تضمن لك النجاة أو استسلم للهلكة.

واعلم أن أبطأ الصرعى نهضة صريع الهوى، وأن أثبت الناس قدمًا يوم القيامة آخذهم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ... فأحسن الحمل فقد أحسنت إليك الأداء، فبكى المهدى ثم أمر له بشىء فلم يقبله.

١٥١ - (بين الثقة العالم حماد بن سلمة ومحمد بن سليمان)
العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء

قال ابن سليمان: دخلت على حماد بن سلمة فإذا ليس في البيت إلا حصير وهو جالس في يديه مصحف يقرأ فيه وجراب فيه علمه ومطهرة يتوضأ فدق الباب.

فقال حماد: يا حبيبة اخرجي فانظرى من هذا؟ فقالت: رسول محمد بن سليمان إلى حماد بن سلمة فأذن له بالدخول فقال بعد أن سلم: أما بعد فصبحك الله بما صبح به أولياءه وأهل طاعته، وقعت مسألة فإننا نسألك عنها والسلام، فقال: يا حبيبة هلم الدواة، ثم قال لى: اقلب كتابك واكتب: وأهل بعد فانت صبحك الله بما صبح به أولياءه، وأهل طاعته إنا أدركنا العلماء وهم لا يأتون لأحد فإن وقعت لك مسألة فأتنا وسل ما بدا لك، وإن أتيتنى فلا تأتنى بخيلك ورجلك (جندك) فلا أنصحك إلا تقيًا والسلام.

فدق الباب فقال: يا حبيبة اخرجي فانظرى من هذا؟ قالت: محمد بن سليمان، قال: قولى له يدخل وحده فدخل بين يديه وبدأ.

فقال: ما لى إذا نظرت فيك امتلأت منك رعبًا؟ قال حماد: حدثنى ثابت البنانى سمعت أنسًا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وإذا أراد به أن يكنز الكنوز هاب من كل شيء» لم أجد له أصلاً، فقال: ما تقول فى رجل له ابنان وهو على أحدهما أرضى فأراد أن يجعل له فى حياته ثلثى ماله؟ فقال حماد: لا يفعل رحمك الله فإنى سمعت أنسًا يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا أراد الله أن يعذب عبداً من عباده فى حياته وفقه إلى وصية جائرة» فعرض عليه مالاً فلم يقبل وخرج.

* * *

١٥٢ - الإمام الحسن البصرى والحجاج

لما بنى الحجاج واسط وبنى له قصراً فيها ودعا الناس ليشاهدوه خطب الحسن، وقال: لقد نظرنا فيما ابتنى أخبث الأخبثين فوجدنا أن فرعون شيد أعظم مما شيد وبنى أعلى مما بنى ثم أهلك الله فرعون، وأتى على ما بنى وشيد، ليت الحجاج يعلم أن أهل السماوات قد مقتوه وأن أهل الأرض قد بغضوه، فأشفق عليه أحد السامعين وقال: حسبك

يا أبا سعيد، فقال له الحسن: لقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وفي اليوم التالي: دخل الحجاج إلى مجلسه وهو يتميز من الغيظ، وقال لجلسائه: تبًا لكم وسحقًا يقوم عبد من عبيد أهل البصرة، ويقول فينا ما شاء أن يقول ثم لا يجد فيكم من يرده أو ينكر عليه، والله لأسقينكم من دمه يا معشر الجبناء ثم أمر بالسيف والنطع فأحضرا ودعا بالجلاد فمثل واقفًا بين يديه ثم وجه إلى الحسن بعض الشرطة، وأمرهم أن يأتوا به، وما هو إلا قليل حتى حضر الحسن فشخصت إليه الأبصار فلما رأى الحسن السيف والنطع والجلاد حرك شفتيه ثم أقبل على الحجاج فلما رآه هاله وخاف منه وظل يسأله ها هنا يا أبا سعيد، حتى أجلسه على فراشه، وظل يسأله في الدين، والحسن يجيب بلسان ساحر وعلم واسع، فقال له: أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ثم دعا بغالية (شيء يوضع بداخله طيب) وطيب له بها لحيته وودعه، ولما خرج الحسن من عنده تبعه حاجب الحجاج، وقال له: يا أبا سعيد لقد دعاك الحجاج بغير ما فعل بك وإني رأيتك عندما أقبلت ورأيت السيف والنطع حركت شفتيك، فماذا قلت؟ فقال الحسن: لقد قلت: يا ولي نعمتي وملاذي عند كربتي اجعل نقمته بردًا وسلامًا علي كما جعلت النار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام.

* * *

١٥٣- (طاوس ابن نجيح)

شيخ بألف شيخ

عن ابن طاوس قال: كنت لا أزال أقول لأبي إنه ينبغي أن يخرج على هذا السلطان، قال: فخرجنا حجاجًا فنزلت في بعض القرى وفيها عامل أي لأمير اليمن يقال له ابن نجيح، وكان من أخبث عمالهم فشهدنا صلاة الصبح في المسجد فجاء ابن نجيح فقبل يد طاوس وسلم عليه فلم يجبه، ثم كلمه فأعرض عنه ثم عدل إلى الشق الآخر فأعرض عنه، فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت يده وجعلت أسأله وقلت له: صافح الأمير.

* * *

١٥٤ - سيد التابعين

سعيد بن المسيب وهشام بن إسماعيل

قال يحيى بن سعيد: كتب هشام بن إسماعيل والى المدينة إلى عبد الملك بن مروان، إن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة للوليد وسليمان إلا سعيداً.

فكتب أن اعرضه على السيف فإن مضى فاجلده خمسين جلدة وطف به فى أسواق المدينة.

فلما قدم الكتاب على الوالى دخل سليمان بن يسار وعروة بن الزبير على سعيد بن المسيب، وقالوا: جئناك فى أمر، قد قدم كتاب عبد الملك، وإن لم تبايع ضربت عنقك، ونحن نعرض عليك خصالاً ثلاثًا فاعطنا إحداهن.

فقالوا: بايع، قال سعيد بن المسيب: ما أنا بفاعل، وكان إذا قال لا لم يستطيعوا أن يقولوا نعم، قالوا: وتجلس فى بيتك ولا تخرج إلى الصلاة أيامًا، فإنه إن طلبك فى مجلسك لم يجدك، قال: فأنا أسمع الأذان يقول: حى على الصلاة حى على الصلاة، ما أنا بفاعل، قالوا: فانتقل من مجلسك إلى غيره، فإنه يرسل إلى مجلسك فإن لم يجدك أمسك عنك، قال: أفرقًا (خوفًا) من مخلوق؟! ما أنا متقدم شبرًا ولا متأخر، فخرجوا وخرج إلى صلاة الظهر فجلس فى مجلسه الذى كان فيه فلما صلى الوالى بعث إليه فأتى به.

قال الظالمون: إن أمير المؤمنين كتب بأمرك إن لم تبايع ضربت عنقك، قال: نهى رسول الله ﷺ عن بيعتين بيعة للوليد ومثلها لسليمان فى وقت واحد، فلما رآه لم يجب، أمر بإخراجه إلى مكان يسمى السدة فمدت عنقه وسلت السيوف، فلما رآه قد مضى أمر به فجرد (أى صيروه عاريًا) فإذا عليه ثياب من شعر، قال: لو علمت ذلك ما اشتهرت بهذا الشأن، ومنعوا الناس أن يجالسوه، فكان إذا جاء أحد قال: قم من عندى كراهة أن يضر بسببه.

* * *

١٥٥ - الحاشية سبب الفساد

قال سفيان: لما حج المهدى قال: لا بد لى من سفيان فوضعوا لى الرصد (الجند) حول البيت فأخذونى بالليل فلما مثلت بين يديه قال لى: لأى شىء لا تأتينا؟ نستشيرك

فى أمرنا فما أمرتنا من شىء صرفنا إليه وما نهيتنا عن شىء انتهينا عنه، فقلت له: كم أنفقت فى سفرك هذا؟ قال: لا أدرى لى وكلاء وأمناء، قلت: فما عذرك غداً إذا وقفت بين يدى الله فسألك عن ذلك، لكن عمر بن الخطاب لما حج قال لغلامه: كم أنفقت فى سفرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين ثمانية عشر (١٨) ديناراً.

فقال: ويحك أجحفت بيت مال المسلمين، وقد علمت ما حدثنا به ابن منصور عن الأسود عن علقمة عن ابن مسعود أن رسول الله قال: «رب متخوض فى مال الله ومال رسوله فيما شاءت نفسه، له النار غداً» فقال أبو عبيدة الكاتب: أمير المؤمنين يستقبل بمثل هذا! فيجيبه سفيان بقوة المؤمن وعزة المسلم: اسكت إنما أهلك فرعون هامان.

* * *

١٥٦- عزة العلماء

دخل سفيان الثورى على أبى جعفر المنصور (الخليفة العباسى أمير المؤمنين) فسأله المنصور أن يرفع إليه حاجته فأجابه: اتق الله فقد ملأت الأرض ظلمًا وجوراً، فطأطأ المنصور رأسه، ثم أعاد عليه السؤال فأجابه: إنما نزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والأنصار وأبناؤهم يموتون جوعًا، فاتق الله وأد إليهم حقوقهم، فطأطأ المنصور رأسه ثم كرر السؤال، ولكن سفيان تركه وانصرف.

* * *

١٥٧- عالم بألف عالم

كان لمماليك الأتراك فى آخر عهد العباسيين نفوذ، وأصبحوا أمراء فى عهد نجم الدين أيوب، وكان قاضى القضاة العز بن عبد السلام، الذى لم يثبت له أن بعض أمراء المماليك أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم هذا وصمم الشيخ ألا يصحح لهم بيعًا ولا شراء ولا نكاحًا، وتعطلت مصالحهم وكان منهم نائب السلطان فأرسلوا إليه فقال -أى العز: نعقد لكم مجلسًا وينادى عليكم لبيت مال المسلمين ويحصل عتقكم بطريق شرعى، فرفعوا الأمر إلى السلطان فقال: ليس للعز دخل فى هذا، فغضب الإمام وحمل حوائجه على حمار وأركب عائلته على حمير قاصداً الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد، حتى لحقه غالب المسلمين نساءً وصبيانًا ورجالاً وخاصة العلماء والصلحاء والتجار.

فبلغ السلطان الخبر وقيل له: متى راح ذهب ملكك قبله فارجعه، فرجع واتفقوا على تنفيذ أمره وأن ينادى على الأمراء، فأرسل نائب السلطان بالملاطفة فلم يفد فيه فانزعج النائب، فقال: كيف ينادى علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفى هذا، فركب مع جماعة.

ووصل إلى بيت الشيخ والسيف مسلول فى يده فطرق الباب فخرج ولد الشيخ فلما رأى رجع إلى أبيه وأخبره، فلم يهتم لذلك ولم يتغير فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها، وارتعدت مفاصله فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له وقال سيدى أى شىء تعمل؟

قال: أنادى عليكم وأبيعكم، قال: ففيم تصرف ثمننا؟ قال: فى مصالح المسلمين، قال: من يقيضه؟

قال: أنا، ونفذ الشيخ أمره ﷺ.

* * *

١٥٨- الرحمة

رجل منَّ الله تعالى عليه بالمال وأنعم عليه بالنعمة والخير، وشاء الله عز وجل أن يصاب بمرض فى القلب فسافر إلى الخارج للعلاج حيث إن مرضه جعله ضعيف البنية، وصارت حالته الصحية تسوء يومًا بعد يوم، وهناك فى المستشفى المشهور بعلاج القلب نصحه الأطباء بعمل عملية مستعجلة وقالوا له: «إن نتيجة العملية غير مضمونة وذلك لخطورتها ولكن من الأفضل عملها».

عندما سمع هذا الكلام من الأطباء طلب منهم تأجيل موعد العملية كى يعود إلى بلده لعدة أيام ليسلم على أهله ومعارفه لعله لا يلقاهم بعد إجراء العلمية وحتى يؤدى ما عليه من حقوق للناس، فوافق الأطباء على طلبه أن يعود بسرعة ولا يتأخر لأن فى أى تأخير فيه خطر على قلبه.

عاد إلى بلده ومكث مع أهله وأدى ما عليه من حقوق وأنجز بعض أعماله الضرورية واستعد للسفر، وقبل سفره وهو يسير مع أحد أصدقائه فى إحدى الطرق وبالقرب من محل أحد الجزارين رأى امرأة عجوزًا تجمع فتات اللحم والعظام من الأرض قرب محل الجزار، فرق لحالها وناداها وسألها عن سبب فعلها ذلك، فقالت له: إنه الفقر والحاجة فلدى ثلاث

بنات وكنا نعيش حياة قاسية دون معيل وأنا أجمع ما ترى لأسد به رمق بناتي وجوعهن حيث إننا لم نذق طعم اللحم منذ مدة طويلة وأصابتنا فاقة وحاجة لا يعلم بها إلا الله عز وجل.

فلما سمع كلامها أخذها بيدها إلى الجزار وقال له: أعط هذه المرأة ما تحتاج إليه من لحم، قالت: كيلو يكفينا.

قال: بل اثنان، وكل أسبوع، ودفع له مقدمًا عن سنة كاملة، فرفعت العجوز المسكينة يدها إلى رحمن السماوات والأرض ورحيمها تبتهل إليه تدعو لهذا الرجل الحنون العطوف دعوة صادقة نابعة من القلب، وما إن نزلت العجوز يدها حتى شعر الرجل المريض بنشاط وصحة تتحرك في جسده وأحس بقوة وحيوية لم يكن يحس بهما من قبل، وعاد الرجل إلى بيته فاستقبلته إحدى بناته فقالت له: ما شاء الله عليك يا أبي أرى علامات الصحة والنشاط والعافية تبدو على محياك!!.

فأخبرها بالقصة فسعدت كثيرًا لذلك، ودعت لوالدها بأن يشفيه الله، ويسعده كما أسعد هذه الأم المسكينة وأسعد بناتها، غادر الرجل بلاده ودخل المستشفى وفيها فحصه الأطباء فذهلوا وتفاجئوا وقالوا: هذا مستحيل... مستحيل لقد زال المرض وذهبت العلة، كل التقارير السابقة والفحوصات كانت تشير إلى خلل كبير في القلب، مَنْ عالجك؟! من شافاك؟! من أعاد إليك صحتك؟ كيف تشافيت بهذه السرعة؟!!.

فرد عليهم وهو ينظر إلى السماء بعين دامعة: شفاني أرحم الراحمين.

إن الله تعالى على كل شيء قدير، لقد كان هذا الرجل أقرب إلى الموت منه إلى الحياة، وجاء ليودع أهله وأحبابه وعندما رق قلبه لهذه العجوز المسكينة ورحمها كان هناك من هو أرحم منه وأكرم: الله الرحمن الرحيم، فجزاء عطفه وحنانه على هذه المرأة البائسة رحمه الله وشفاه وأعاد إليه صحته فالراحمون يرحمهم الرحمن، وصدق من قال: «ارحم من دونك يرحمك من فوقك».

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ (**الأعراف: ٥٦**).

قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن تستجاب دعوته وأن تكشف كربته فليفرج عن معسر» (**رواه أحمد**).

(كما تدين تدان: سيد الرفاعي).

١٥٩- ادعوا لأمى

كان الإمام أحمد بن حنبل جالسًا ذات يوم فى بيته، فطرق بابه طارق فقال الإمام: من الطارق؟

فقال الطارق: فتى يا إمام.

فدخل الفتى دار الإمام أحمد بن حنبل ﷺ.

وقال: يا إمام إن أمى قد أصابها شلل، ولم ينفع معها دواء، وقد أرسلتنى لتدعو الله لها بالشفاء.

فقال له الإمام: يا فتى ومن الذى أدراك أننى مجاب الدعوة؟ ارجع إلى أمك، وسلها لنا الدعاء.

فبكى الفتى، وإذا بأم الإمام تنظر فتجد هذه الفتى يبكى.

فقالت له: يا فتى ما يبكيك؟

فقال لها: يا أم الإمام لقد سألت الإمام أن يدعو لأمى فلم يدع لها.

فقالت له أن الإمام: ارجع إلى أمك، فقد سمعت الإمام يدعو الله لها.

فذهب الفتى إلى بيته، وعندما طرق باب البيت أتت أمه ففتحت له الباب بعد أن شفاها الله ببركة دعوة الإمام أحمد بن حنبل. (سلسلة أروع القصص).

* * *

١٦٠- الصابر والشاكر فى الجنة

دخل عمران بن حطان يومًا على امرأته وقد تزينت له ـ وكان «عمران» قبيحًا دميمًا، وكان امرأته حسناء جميلة ـ فلما نظر إليها، ازدادت فى عينيه جمالاً وحسنًا.

فلم يتمالك أن يديم النظر إليها، ويسرح طرفه فى ناظريها، فلاحظت زوجته لهفه وتشوقه إليها.

فقالت له: ما شأنك.

فقال: لقد أصبحت والله جميلة فاتنة.

فقالت: أبشر، فإنى وإياك فى الجنة إن شاء الله.

فقال لها: ومن أين علمت بذلك.

فقالت: لأنك أعطيت مثلى فشكرت وابتليت أنا بمثلك فصبرت، والصابر والشاكر فى الجنة. («الأذكياء» ابن الجوزى)

* * *

١٦١- أغلى دموع

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأ على القرآن؟».

قلت: يا رسول الله، أقرأ عليك، وعليك أنزل؟

قال: «إنى أحب أن أسمعه من غيرى».

فقرأت سورة النساء حتى بلغت:

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء: ٤١).

قال: «حسبك».

قال: فرفعت رأسى فإذا دموعه تسيل.

فقال: «حسبك الآن» (متفق عليه).

قال: فالتفت إليه، فإذا عيناه تذرفان.

* * *

١٦٢- أهل القرآن

وكم من القلوب القاسية لانت عند سماع القرآن، وكم من المجتمعات السيئة صلحت عند سماع القرآن.

وممن نشأ على كتاب الله تعالى وعمر به مجالسه وأشغل به لسانه: رجل وكان حافظًا لكتاب الله تعالى، وكان يعلمه الناس بدون أجر، فكبر سنه ورق عظمه، وبلغ من الكبر عتيًا، حتى فقد الذاكرة، فنسى جميع من يعرفهم حتى أسماء أبنائه، ولازمته هذه الحالة حوالى عشرين سنة إلا أن العجيب من أمره أنه كان فى هذه المدة يقرأ القرآن فلا يخطئ فى آية، ولا يسقط كلمة.

وفى يوم من الأيام وفى وقت السحر بالذات، أخذ هذا الرجل ينادى أكبر أولاده باسمه، وقد نسيه منذ عشربن سنة، فلما سمعه ابنه فرح فرحًا شديداً، وقال: عادت ذاكرته له، وعاد رشده وثوابه، فقال: لبيك يا والدى، ماذا تريد؟

قال: يا بنى! هل ترى هذين الرجلين الجميلين الذين يرتدى كل واحد منهما عمامة بيضاء؟.

قال ابنه له: يا والدى حفظك الله، لا أرى شيئًا، ولعلك رأيت هذا فى المنام ولا حقيقة لذلك، قال: يا بنى أراهما عيانًا أمامى الآن، وأعجب كيف لا تراهما أنت، قال: يا والدى لا أرى شيئًا، فقال: يا بنى! أودعك وأودع أهلك، وأودع الدنيا، وأسأل الله أن يجمعنا فى دار كرامته فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، ثم رفع سبابته ليوحد بها ربه، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، ثم فاضت روحه وانقطعت أنفاسه على هذه الكلمة العظيمة.

وقد روى معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» (**أبو داود والحاكم بسند صحيح**).

(«الأعمال بالخواتيم» سعد الحجرى - ٢٢١، ٢٢٢)

* * *

١٦٣- كيف لو نظر الخالق إلينا؟

لما أراد حاتم الأصم أن يحج بيت الله الحرام قال لأولاده: إنى أريد الحج فبكوا.

وقالوا: إلى من تتركنا؟

وكان له بنت فقالت: دعوه يذهب فليس هو برازق، فخرج فلما انتهى زادهم باتوا جياعًا، فمر بهم أمير البلدة.

فقال لبعض أصحابه: اطلبوا لنا الماء، فناوله أهل حاتم الماء، فلما شرب، قال: دار من هذه؟

فقالوا: دار حاتم الأصم.

فرمى فيها بصرة من المال.

وقال لأصحابه: من أحبنى وافقنى، فوافقه أصحابه، ورمى العسكر بصرر المال فى الدار.

ففرح أهل الدار، سوى تلك البنية الصغيرة، فإنها بكت.

فقيل لها: ما يبكيك، وقد وسع علينا؟

فقالت البنت: مخلوق نظر إلينا فاغتنينا، فكيف لو نظر الخالق إلينا؟!.

١٦٤- تتنزل على قبره رحمة تعم جميع أهل المقبرة

قال أبو بكر المروزى: رأيت أحمد بن حنبل فى المنام كأنه فى روضة وعليه حلتان خضراوان وعلى رأسه تاج من نور وإذا هو يمشى مشية لم أكن أعرفها فقلت: يا أحمد ما هذه المشية التى لم أكن أعرفها لك؟ فقال: هذه مشية الخدام فى دار السلام فقلت: يا أحمد ما هذا التاج الذى أراه على رأسك؟ فقال: إن ربى عز وجل أوقفنى وحاسبنى حسابًا يسيرًا وحبانى وقربنى وأباحنى النظر إليه وتوجنى بهذا التاج وقال لى: يا أحمد هذا تاج الوقار توجتك به كما قلت: القرآن كلامى غير مخلوق.

وعن أبى يوسف بن لحيان قال: لما مات أحمد بن حنبل رأى رجل فى منامه كأن على كل قبر قنديلاً فقال: ما هذا؟ فقيل له: أما علمت أنه نور لأهل القبور قبورهم بنزول هذا الرجل بين أظهرهم ومن كان فيهم يعذب رحم.

وقال أبو على بن البناء: لما ماتت أم القطيعى دفنها فى جوار أحمد بن حنبل فرآها بعد ليال فقال: ما فعل الله بك؟ فقالت: يا بنى رضى الله عنك فلقد دفنتنى فى جوار رجل تتنزل على قبره فى كل ليلة -أو قال: فى كل جمعة- رحمة تعم جميع أهل المقبرة وأنا منهم.

قال ابن خزيمة: لما مات أحمد بن حنبل بت من ليلتى فرأيته فى المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لى وتوجنى وألبسنى نعلين من ذهب وقال لى: يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامى، قلت: فما فعل بشر؟ فقال لى: بخ بخ، من مثل بشر؟ تركته بين يدى الجليل وبين يديه مائدة من الطعام والجليل مقبل عليه وهو يقول له: كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب وانعم يا من لم ينعم رحمه الله ورضى عنه.

* * *

١٦٥- من أين لنا الفراغ؟!

قال ابن أبى حاتم الرازى: كنا بمصر سبعة أشهر فلم نأكل فيها مرقة، وذلك أنا كنا نغدو بالغدوات إلى مجلس بعض الشيوخ، ووقت الظهر إلى مجلس آخر، ووقت العصر إلى مجلس آخر، ثم بالليل للنسخ والمحارضة، فلم نتفرغ نصلح شيئًا وكان معى دفيق خرسانى أسمع فى كتابه ويسمع فى كتابى، فما أكتب لا يكتب، وما يكتب لا أكتب، فغدونا يومًا

إلى مجلس بعض الشيوخ فقال: هون عليك، فرجعنا فرأينا فى طريقنا حوتا يكون بمصر يشق جوفه فيخرج أصفر فأعجبناه، فلما صرنا إلى المنزل حضر وقت مجلس بعض الشيوخ فلم يمكننا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام كاد أن يتغير فأكلناه نيئًا، فقيل له: كنتم تعطون لمن يشويه ويصلحه قال: من أين كان لنا الفراغ؟.

سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٦)

* * *

١٦٦- وهم المعلم... وصدق التلميذ!!

قال البخارى ـ رحمه الله: ألهمت حفظ الحديث، وأنا فى الكتاب... فقلت: كم كان سنك، فقال: عشر سنين، أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلى وغيره، فقال يومًا فيما كان يقرأ للناس: سفيان، عن أبى الزبير، عن إبراهيم، فقلت له: إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرنى، فقلت له: ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه، ثم خرج، فقال لى: كيف هو يا غلام، قلت: هو الزبير بن عدى عن إبراهيم، فأخذ القلم منى، وأحكم كتابه، وقال: صدقت.

فقيل للبخارى: ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة، فلما طعنت فى ست عشرة سنة، كنت قد حفظت كتب ابن المبارك ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء ـ أى أصحاب الرأى ـ ثم خرجت مع أمى وأخى محمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخى بها، وتخلفت فى طلب الحديث.

السير (١٢/ ٣٩٣)

* * *

١٦٧- خمسة أخطاء!!

لما عزم «هشام بن عبد الملك» على الحج رغب أن يصحبه أحد الصحابة أو التابعين... فقدموا إليه طاوس اليمانى، فلما دخل عليه خلع نعله بحاشية بساطه ولم يسلم عليه بأمير المؤمنين ولم يكنه، وجلس إلى جانبه بغير إذنه، وقال له: كيف أنت يا هشام؟.

فغضب أمير المؤمنين من ذلك غضبًا شديدًا حتى هم بقتله، وقال له: ما الذى حملك على هذا يا طاووس؟! فقد خلعت نعلك بحاشية بساطى ولم تسلم على بإمرة المؤمنين كأمير المؤمنين، ولم تكفنى، وجلست بإزائى بغير إذنى، وقلت: كيف أنت يا هشام؟

فقال طاوس اليمانى: أما خلع نعلى فإنى أخلعها بين يدى رب العزة كل يوم خمس مرات فلا يعاتبنى ولا يغضب على، وأما أنى لم أسلم عليك بإمرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بإمرتك، فخفت أن أكون كاذبًا، وأما أنى لم أكنك فإن الله - سبحانه وتعالى - سمى أولياءه بأسمائهم فقال: «يا دداو» «يا يحيى» «يا عيسى» وكنى أعداءه فقال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ (المسد: ١) وأما أنى جلست إلى جانبك فإنى سمعت من أمير المؤمنين على بن أبى طالب ﷺ يقول: «إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار فانظر إلى رجل جالس وحوله قوم قيام».

وفيات الأعيان (٢/ ٥١٠)

* * *

١٦٨- إذا خشع جبار الأرض... رحمه جبار السماء!!

قحط الناس أيام القاضى «منذر البلوطى» - رحمه الله - قاضى قضاة الأندلس فأمر الملك أن يستسقى للناس، فلما جاءته الرسالة مع البريد قال لحاملها: كيف تركت الملك؟ قال: تركته أخشع ما يكون وأكثر دعاء وتضرعًا، فقال: سقيتم والله، وإذا خشع جبار الأرض رحمه جبار السماء، ثم قال لغلامه: ناد فى الناس: الصلاة، فجاء الناس إلى محل الاستسقاء وجاء القاضى منذر فصعد المنبر، والناس ينظرون إليه ويسمعون ما يقول، فلما أقبل عليهم كان أول ما خطبهم به قال: «سلام عليكم: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الأنعام: ٥٤) ثم أعادها مرارًا فأخذ الناس فى البكاء والنحيب والتوبة والإنابة فلم يزالوا كذلك حتى سقوا ورجعوا يخوضون فى الماء.

البداية والنهاية (٦/ ٣٦٩)

* * *

١٦٩- حسنة واحدة!!

سئل بعض الصالحين عن سبب توبته فقال: كنت فى حداثة سنى لا أقف على زلة فرأيت يومًا جارية حسنة الوجه ففتنت بها فأشرت إليها فلما صارت بالقرب منى أدركها جزع شديد، فقلت لها: لا تخافى، فجعلت ترعد كسعفة فى يوم ريح.

فقلت لها: أخبريني بخبرك، فقالت: والله يا أخي هذا موقف ما وقفته قبل يومي هذا قط، ولي ثلاث بنات ولهن ثلاثة أيام لم نستطعم فيها طعامًا!! فلما كان في هذا اليوم حملني الجوع والشفقة على ما ترى، قال: فعند ذلك رق لها قلبي وسألتها عن مسكنها فأعلمتني به، فحملت إليها ما قدر الله -عز وجل- من دراهم وكسوة وقمح وغير ذلك، ثم عمدت إلى ما في بيتي فبعته ودفعته لوالدتي وأخبرتها بالقصة، وكان عندي سجل أثبت فيه سيئاتي، فقالت: يا ولدي أنت رجل لم تعمل قط حسنة غير هذه، وعندك سجل تثبت فيه سيئاتك فقم واثبت فيه هذه الحسنة، فقمت إلى السجل وفتحته فوجدته أبيض من أوله إلى آخره!! وفيه سطر واحد ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ (هود: ١١٤) فرفعت يدي إلى السماء وقلت: وعزتك وجلالك لا عصيتك بعد يومي هذا.

المواعظ والمجالس صـ٢٢٤

* * *

١٧٠- خمس خصال!!

روي أن رجلاً جاء لإبراهيم بن أدهم، فقال له: يا أبا إسحاق! إني مسرف على نفسي، فاعرض على ما يكون لها زاجرًا ومستنقذًا لقلبي.

قال: إن قبلت خمس خصال وقدرت عليها لم تضرك معصية، ولم توبقك لذة، قال: هات يا أبا إسحاق، قال: أما الأولى: فإذا أردت أن تعصي الله -عز وجل- فلا تأكل رزقه، قال: ومن أين آكل وكل ما في الأرض من رزقه؟ قال له: يا هذا! أيحسن أن تأكل رزقه وتعصيه؟ قال: لا، هات الثانية!.

قال: وإذا أردت أن تعصيه فلا تسكن شيئًا من بلاده، قال الرجل: هذه أعظم من الأولى إذا كان المشرق والمغرب وما بينهما له، فأين أسكن؟ قال: يا هذا!! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه؟

قال: لا، هات الثالثة!

قال: إذا أردت أن تعصيه، وأنت تحت رزقه وفي بلاده، فانظر موضعًا لا يراك فيه مبارزًا له فاعصه فيه، قال: يا إبراهيم! كيف هذا وهم مطلع على ما في السرائر؟ قال: يا هذا! أفيحسن أن تأكل رزقه وتسكن بلاده وتعصيه وهو يراك ويرى ما تجاهره به؟! قال: لا هات الرابعة!

قال: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرنى حتى أتوب توبة نصوحًا وأعمل لله عملا صالحًا، قال: لا يقبل منى! قال: يا هذا! فأنت إذا لم تقدر أن تدفع عنك الموت لتتوب، وتعلم أنه إذا جاء لم يكن له تأخير، فكيف ترجو وجه الخلاص؟ قال: هات الخامسة!

قال: إذا جاءتك الزبانية يوم القيامة ليأخذوك إلى النار فلا تذهب معهم، قال: لا يدعوننى ولا يقبلون مى، قال: فكيف ترجو النجاة إذًا؟!

قال له: يا إبراهيم حسبى! حسبى! أنا أستغفر الله وأتوب إليه، ولزمه فى العبادة حتى فرق الموت بينهما.

التوابين ص١٩١، ١٩٢

* * *

١٧١- جارية الملك!!

يروى أن مالك بن دينار ـ رحمه الله ـ كان ماشيًا فى بعض أزمة البصرة، إذ هو بجارية من جوارى الملك راكبة ومعها الخدم والمماليك، فسمع مالك حسها خلفه، فالتفت إليها وهى راكبة فرأى زهرتها وهيئتها وحالها، فنادى: أيتها الجارية: هل يبيعك مولاك؟ قالت: ويلى عليك، وهل لمثلك ما يشترينى به لو باعنى؟ قالت: فحف به المماليك، قال: خلوا عنى أسير معكم، فسار معهم حتى أتت قصرها، فقام إليها حجبة الدار فأنزلوها فدخلت وبقى مالك بباب القصر حتى وصلت إلى مولاها، فقال: يا مولاى، أنا أحدثك بعجب!! قال: وما هو يا حسنة؟ قالت: يا مولاى... لقينى شيخ كبير فقير عليه عباءة رثة، فنظر إلى حسنى وجمالى وبهائى وكمالى ومماليكى فأعجبه ما رأى من هيئتى، فقال: هل يبيعك مولاك؟ فضحك مولاى من ذلك وقال: أين هو؟ قالت: قد جئت به معى وها هو بباب القصر، فقال: أدخلوه على، فدخل مالك ولم يعرفه الرجل، فلما وقف بباب مجلسه إذ هو بصاحب القصر قاعد على مرتبة عظيمة، فجعل مالك ينظر إليه، فقال لمالك: ادخل أيها الشيخ، فقال مالك: لا أدخل حتى ترفع هذا البساط وتغيب عن فتنته، لا أنظر إليه ولا أطأ شيئًا منه، فألقى الله الهيبة والطاعة فى قلب صاحب القصر، فأمر برفع البسط حتى كشف عن الرخام، وقعد صاحب القصر على الكرسى وقال: اجلس أيها الشيخ كما أحببت، قال: لا والله حتى تنزل عن هذا الكرسى وتجلس على الرخام، قال: فجلس الرجل وجلس مالك

معه، فقال رب البيت: قل حاجتك أيها الشيخ، قال: جاريتك هذه التى دخلت عليك الساعة، أتبيعها لى؟ فقال صاحب القصر: وهل لك ما تبتاعها به منى؟

قال: وما ثمنها؟ قال له: إن من شأنها وقدرها وحالها ومالها أنها تساوى كذا وكذا ألفًا...، فقال مالك: والله ما تساوى عندى درهمين، فضحك الرجل وضحكت الجارية من وراء الستار من كلام مالك، فقال: ما الذى أضحككم؟! قال صاحب البيت: وكيف كان ثمنها بهذه الخساسة عندك؟ فقال مالك: لكثرة عيوبها، قال: ومن أعلمك بعيوبها؟ قال: أنا أعلم بعيوبها ما لم تعلم أنت! فقال: أعلمنى بها وأوقفنى عليها... قال: إن لم تتعطر تغيرت، وإن لم تستك نجرت، وإن لم تغتسل بظرت، وإن لم تمتشط قملت وشعثت، وإن عمرت عن قليل هرمت، وهى ذات بخار وبصاق وحيض وبول وغائط وأقذار جمة وآفات بينة، ولعلها لا تريدك إلا لنفسها، ولا تحبك إلا لمتاعها بك وتمتعك بها، فلا تفى بعهدك ولا تصدق فى ودك وعهدك، ولا يتخلف عليها أحد من بعدك إلا لأنه مثلك! وأنا أجد بدون ما سألت جارية خلقت من سلالة من الكافور، ولو مزج بديقها الأجاج لطاب، ولو دعى ميت بكلامها لأجاب، قميصها لو رفع للشمس لأظلمت دونه، ولو برز لسواد الليل لسطع نوره، ولو واجهت الآفات بحليها وحللت لتزخرفت، ولو نفخ ريح ذوائبها على الأرض وما فيها لتعطرت، فهى العطرة الشكلة، الفنجة المتعشقة، التى نشأت فى رياض المسك والزعفران وعذبت بماء النسيم فلا يكسف بالها، ولا يحول حالها، ولا يخلف عهدها، ولا يتبدل ودها، ولا يتوقع صدها، فأيهما أحق بالرفعة أيها المغرور؟ قال: التى - والله - وصفت، فما منها يرحمك الله، قال: اليسير المبذول، أن تتفرغ ساعة من ليلتك فتقوم تصلى ركعتين تخلصهما لربك، وأن تضع طعامك بين يديك فتذكر جائعًا فتؤثره لله على شهوتك، وأن تخطر بالطريق فتلتقط منه حجرًا ومدرًا، وأن تحرك لسانك الطيب من الكلام، أو بذكر الله تعالى، وأن تقطع أيامك باليسير من القوت، وترفع همتك عن دار الغفلة فتعيش فى الدنيا عيش القنوع رائحًا، وتأتى غداً يوم القيامة آمنًا، وتنزل على الملك الأكبر مخلداً.

قال: فعند ذلك نادى: يا جارية، قالت: لبيك يا مولاى، قال: أسمعت ما قال الرجل؟ قالت: نعم، قال لها: هو صادق، أم كاذب؟ قالت: بل هو - والله - صادق، قال: فأنت حرة الوجه الله - تعالى - وضيعة كذا وكذا عليك صدقة، وهذه الدار صدقة بجميع ما فيها من الأثاث والأموال على الفقراء والمساكين، ومد يده على ستر كان على بعض أبوابه فأخذه

وستر به نفسه، ورمى ما كان عليه من اللباس، قالت الجارية: يا مولاى... لا عيش لى بعدك، فرمت بكسوتها ولبست ثوبًا خشنة وخرجت معه... فودعهما مالك بن زياد ودعا لهما، وأخذا طريقًا، وأخذ مالك طريقًا آخر.

بحر الدموع (ص٩١ - ٩٣) والتوابين ص١١٠، ١١١

* * *

١٧٢ - من أنا؟ وما أنا؟!

قال محمد بن المنكدر - رحمه الله: كانت لى سارية فى مسجد رسول الله ﷺ، أجلس إليها بالليل، فقحط أهل المدينة سنة فخرجوا يستسقون فلم يسقوا، فلما كان الليل صليت العشاء فى المسجد، ثم جئت فاستندت إلى ساريتى، فجاء رجل أسود يعلوه صفرة، مرتد بكساء وعلى رقبته كساء أصغر منه، فتقدم إلى السارية التى كانت بين يدى فكنت خلفه، فقام فصلى ركعتين، ثم جلس فقال: يا رب خرج أهل حرم نبيك - ﷺ - يستسقون فلم تسقهم، وأنا أقسم عليك إلا أسقيتهم الساعة الساعة.

قال ابن المنكدر: فقلت: هذا مجنون، قال: فما وضع يده حتى سمعت الرعد، ثم جاءت السماء بالمطر حتى أهمنى الرجوع إلى أهلى، فلما أحس بالمطر حمد الله وأثنى عليه بمحامد لم أسمع بمثلها قط، ثم قال: ومن أنا وما أنا حين استجبت لى؟! ولكن عدت بحمدك وجدت بطولك، ثم قام فتوشح وألقى الكساء الذى كان على ظهره فى رجليه، ثم قام فلم يزل يصلى حتى أحس بالصبح وسجد وأوتر وصلى ركعتين، ثم أقيمت صلاة الصبح فدخل الناس فى الصلاة ودخلت معهم، فلما سلم الإمام خرج وخرجت خلفه أخوض فى الماء فلم أدر أين أذهب.

فلما كانت الليلة الثانية صليت العشاء فى المسجد كعادتى، ثم جئت إلى ساريتى فتوسدت إليها، وجاء فقام وتوشح بكسائه وألقى الكساء الآخر الذى كان على ظهره فى رجليه، وقام يصلى، فلم يزل قائمًا حتى إذا أحس بالصبح سجد، ثم أوتر، ثم صلى ركعتي الفجر، وأقيمت الصلاة فدخل مع الناس فى الصلاة، ودخلت معه، فلما سلم الإمام خرج من المسجد وخرجت خلفه، فجعل يمشى فاتبعته حتى دخل دارًا قد عرفتها من دور المدينة، ورجعت إلى المسجد، فلما طلعت الشمس وطمت خرجت حتى أتيت الدار، فإذا أنا به قاعد بخرز، وإذا به إسكاف، فلما رآنى عرفنى فقال: أبا عبد الله! مرحبًا! ألك

حاجة؟ تريد أن أعمل لك خفًا؟! فجلست وقلت: ألست صاحبى بارحت الأولى؟ فاسود وجهه، وصاح بى وقال: يا بن المنكدر: وما أنت وذاك؟! قال: وغضب فعرفت منه والله الغضب وقلت: أخرج من عنده الآن.

فلما كان فى الليلة الثالثة صليت العشاء فى مسجد رسول الله - ﷺ - ثم أتيت ساريتى فساندت إليها، فلم يجئ، فقلت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة: ١٥٦) وما صنعت؟!.

فلما أصبحت جلست فى المسجد حتى طلعت الشمس وخرجت حتى أتيت الدار التى كان فيها، فإذا باب البيت مفتوح، وإذا ليس فيه شىء! فقال لى أهل الدار: يا أبا عبد الله! ما كان بينك وبين هذا أمس؟ قلت: ما له؟ قالوا: لما خرجت من عنده أمس بسط كساءه فى وسط البيت، ثم لم يدع فى بيته جلدًا، ولا قالبًا إلا وضعه فى كسائه، ثم حمله وخرج، فلم ندر أين ذهب.

قال محمد بن المنكدر: فما تركت بالمدينة دارًا أعلمها إلا وطلبته فيها فلم أجده!.

صفة الصفوة (٢/ ١٢٨، ١٢٩)

* * *

١٧٣- سقاهم الله وأنا أنظر

عن السرى بن يحيى قال: بلغنا أن ملكًا من ملوك الأعاجم أقبل فى جيش، فلقى عصابة من المسلمين، فلما رأوه اعتصموا بربوة، فصعدوا فوقها، فقال ذلك الملك: ما أجد لهؤلاء شيئًا أشد عليهم من أن نحيط بهم ثم نتركهم مكانهم حتى يموتوا من العطش، فأحاطوا بهم، فأصابهم حر شديد وعطش، فاستسقوا الله فأقبلت سحابة، فجعل الرجل يحمل ترسه يتلقى به الماء، حتى يمتلئ، ثم يشرب حتى يروى.

فقال ذلك الملك: ارتحلوا، فوالله لا أقاتل قومًا سقاهم الله من السماء وأنا أنظر.

مجابو الدعوة صـ٨١

* * *

١٧٤- من أفسد أهلى؟

كان أبو مسلم الخولانى إذا دخل مسلم منزله سلم، فإذا بلغ وسط الدار كبر، وكبرت امرأته، فإذا بلغ البيت كبر، وكبرت امرأته، فيدخل فينزع رداءه وحذاءه، وتأتيه بطعام يأكل، فجاء ذات ليلة فكبر فلم تجبه، ثم أتى باب البيت فكبر وسلم وكبر، فلم تجبه، وإذا

البيت ليس فيه سراج، وإذا هى جالسة بيدها عود تنكت به فى الأرض، فقال لها: ما لك؟ قالت: الناس بخير، وأنت أبو مسلم، لو أنك أتيت معاوية، فيأمر لنا بخادم ويعطيك شيئًا نعيش به؟

فقال: اللهم من أفسد على أهلى، فاعم بصره، وكانت أتتها امرأة فقالت لها: أنت امرأة أبى مسلم، فلو كلمت زوجك يكلم معاوية ليخدمكم ويعطيكم؟.

فبينما هذه المرأة فى منزلها والسراج يزهر إذ أنكرت بصرها، فقالت: سراجكم طفئ؟ قالوا: لا، قالت: إن لله ذهب بصرى، فأقبلت كما هى إلى أبى مسلم، فلم تزل تناشده الله وتطلب إليه، فدعا لها الله، فرد عليها بصدها، ورجعت امرأته إلى حالها التى كانت فيه.

صفة الصفوة (٤ / ١٧٩) والحلية (٢ / ١٢٩)

قحط الناس على عهد معاوية، فخرج يستسقى بهم، فلما صار إلى المصلى قال معاوية لأبى مسلم: قد ترى ما داخل بالناس، فادع الله، قال: أفعل على تقصيرى، فقام وعليه البرنس، فكشف البرنس ثم رفع يديه، فقال: اللهم إنا بك نستمطر وقد ندبونى إليك فلا تخيبنى، فما انصرفوا حتى سقوا.

قال أبو مسلم: اللهم إن معاوية أقامنى مقام سمعة، فإن كان عندك خير لى فاقبضنى إليك، وكان يوم خميس، فمات يوم الخميس المقبل - ﷺ.

الزهد للإمام أحمد (صـ٣٩٢)

* * *

١٧٥ - الحسين يدعو على قاتله

كان رجل من بنى أبان بن دارم يقال له زرعة شهد قتل الحسين فرمى الحسين بسهم، فأصاب حنكه، فجعل يلقى الدم، ودعا الحسين بماء ليشرب، فلما رماه حال بينه وبين الماء، فقال الحسين: اللهم ظمئه، اللهم ظمئه، فلما جاء الموت هذا الرجل جعل يصيح من الحر فى بطنه والبرد فى ظهره، وبين يديه المراوح والثلج، وخلفه الكانون، وهو يقول: اسقونى، أهلكنى العطش، فيؤتى بُعسٍّ عظيم فيه الماء أو اللبن لو شربه خمسة لكفاهم، فيشربه ثم يعود فيقول: اسقونى أهلكنى العطش...، فانقد بطنه كانقداد البعير. مجابو الدعوة (٥٨) ابن أبى الدنيا.

* * *

١٧٦- قطع الله صوته

عن ضمرة بن ربيعة قال: أخبرنا أصبغ بن زيد الواسطى قال: كان لسعيد بن جبير ديك، كان يقوم من الليل بصياحه، قال: فلم يصح ليلة من الليالى، حتى أصبح، فلم يصل سعيد تلك الليلة، فشق عليه، فقال: ما له قطع الله صوته؟!!.

قال: فما سمع له صوت بعدها.

فقالت أمه: لا تدع على شيء بعدها.

صفة الصفوة (٣/ ٥٠) والحلية (٤/ ٢٧٤)

* * *

١٧٧- أقسمت عليك بحبك لى

قال مالك بن دينار: احتبس علينا المطر بالبصرة، فخرجنا يوماً بعد يوم نستسقى فلم نر أثراً للإجابة، فخرجت أنا وعطاء السليمى وثابت البنانى ومحمد بن واسع وحبيب الفارسى وصالح المرى فى آخرين حتى صرنا إلى المصلى بالبصرة، فاستقينا فلم نر أثر الإجابة، فانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البنانى فى المصلى، فلما أظلم الليل إذا بأسود دقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف فجاء إلى ماء فتمسح، ثم صلى ركعتين خفيفتين، ثم رفع طرفه إلى السماء فقال: سيدى إلى كم ترد عبادك فيما لا ينقص من خزائنك؟ أنفذ ما عندك؟ أقسمت عليك بحبك لى إلا سقيتنا الساعة الساعة... فما أتم كلامه حتى تغيمت السماء وأمطرت كأفواه القرب، فما خرجنا حتى خضنا الماء، فتعجبنا منه، فتعرضت له وقلت: أما تستحى فيما قلت؟ قال: وما قلت؟ فقلت له: قولك: «بحبك لى» وما يدريك أنه يحبك؟ فقال: عن همتى يا من اشتغل عنه بنفسه، أين كنت أنا حين خصنى بتوحيده ومعرفته؟ أتراه بدأنى بذلك إلا بمحبته لى؟ ثم بادر يسعى، فقلت: ارفق بنا، فقال: أنا مملوك وعلى فرض لمالكى الصغير، فدخل دار نخاس، فلما أصبحنا أتيت النخاس فقلت له: عندك غلام تبيعه للخدمة؟ فقال: نعم عندى مائة غلام فجعل يخرج إلى واحداً بعد واحد، وأنا أقول: غير هذا... إلى أن قال: ما بقى عندى أحد، فلما خرجنا إذا بالغلام الأسود قائم فى حجرة خربة، فقلت: بعنى هذا الغلام، فقال: هذا غلام مشئوم لا هم له إلا البكاء، فقلت: ولذلك أريده، فدعاه وقال لى: خذه بما شئت على أن تبرئنى من

عيوبه، فاشتريته بعشرين دينارًا، فلما خرجنا قال: يا مولاى لماذا اشتريتنى؟! فقلت: لنخدمك نحن! قال: ولم ذلك؟ فقلت: أليس أنت صاحبنا البارحة بالمصلى؟ قال: وقد اطلعت على ذلك؟ فجعل يمشى حتى أتى مسجدًا، فصلى ركعتين، ثم قال: إلهى سر كان بينى وبينك أظهرته للمخلوقين، أقسمت عليك إلا قبضت روحى الساعة فإذا هو ميت من الساعة.

حلية الأولياء (١٠/ ١٧٣، ١٧٤)

* * *

١٧٨- أفعال الكرام

قال أبو الحسن المدائنى: خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجًا، فضاعت أثقالهم فجاعوا وعطشوا، فمروا بعجوز فى خباء لها، فقالوا: هل من شراب؟

فقالت: نعم فأناخوا إليها، وليس لها إلا شويهة فى ناحية من الخيمة، فقالت: احلبوها وامتذقوا لبنها، ففعلوا ذلك ثم قالوا لها: هل من طعام؟

قالت: لا إلا هذه الشاة فليذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم ما تأكلون، فقام إليها أحدهم وذبحها، وكشطها، ثم هيأت لهم طعامًا فأكلوا، وأقاموا حتى أبردوا.

فلما ارتحلوا قالوا لها: نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه، فإذا رجعنا سالمين فألمى بنا فإنا صانعون بك خيرًا، ثم ارتحلوا، وأقبل زوجها فأخبرته بخبر القوم والشاة، فغضب الرجل وقال: ويحك تذبحين شاة لقوم لا تعرفينهم ثم تقولين نفر من قريش؟ قال: ثم بعد مدة ألجأتهما الحاجة إلى دخول المدينة، فدخلا وجعلا ينقلان البعر إليها ويبيعانه ويتعيشان بثمنه، فمرت العجوز ببعض سكك المدينة، فإذا الحسن بن على جالس على باب دار، فعرف العجوز، وهى له منكرة، فبعث إليها غلامه، فدعا بالعجوز وقال لها: يا أمة الله، أتعرفيننى؟ قالت: لا، قال: أنا ضيفك يوم كذا وكذا.

فقال العجوز: بأبى أنت وأمى أنت هو؟ قال: نعم، ثم أمر الحسن فاشتروا لها من شياه الصدقة ألف صدقة، وأمر لها بألف دينار، وبعث بها مع غلامه إلى الحسين، فقال لها الحسين: بكم وصلك أخى؟

قالت: بألف شاة وألف دينار، فأمر لها الحسين أيضًا بمثل ذلك، ثم بعث بها مع غلامه إلى عبد الله بن جعفر، فقال لها: بكم وصلك الحسن والحسين.؟

قالت: بألفى شاة، وألفى دينار، فزر لها عبد الله بن جعفر بألفى شاة وألفى دينار، وقال لها: لو بدأت بى لأتعبتهما، فرجعت العجوز إلى زوجها بأربعة آلاف شاة، وأربعة آلاف دينار.

إتحاف السادة (٩/ ٤٧٨) للزبيدى

* * *

١٧٩- إن الله من وراء المعونة

قال أحمد بن سليمان القطيعى: أضقت إضاقة فمضيت إلى إبراهيم الحربى لأبثه ما أنا فيه، فقال لى: لا يضيق صدرك، فإن الله من وراء المعونة.

إنى أضقت مرة إلى أن انتهى أمرى فى الإضاقة إلى أن عدم عيالى قوتهم، فقالت لى الزوجة: هب أنى وإياك نصبر، فكيف نعمل بهاتين الصبيتين؟.

فهات شيئًا من كتبك حتى نبيعه أو نرهنه، فقضت بذلك فقلت: افترض لهما شيئًا وأنظرينى بقية اليوم والليلة، وكان لى بيت فى دهليز دارى فيه كتبى، وكنت أجلس فيه للنسخ والنظر.

فلما كان فى تلك الليلة إذا داق يدق الباب فقلت: من هذا؟ فقال: رجل من الجيران.

فقلت: ادخل، فقال: أطفئ السراج حتى أدخل، فكبت على السراج شيئًا، وقلت: ادخل، فدخل وترك إلى جانبى شيئًا، وانصرف.

فكشفت على السراج ونظرت، فإذا منديل له قيمة، وفيه أنواع من الطعام، وكاغد فيه خمسمائة درهم، فدعوت الزوجة وقلت: أنبهى الصبيتين حتى تأكلا.

ولما كان من الغد قضينا دينًا كان علينا من تلك الدراهم، وكان وقت مجىء الحجاج من خراسان، فجلست على بابى من غد تلك الليلة، فإذا جمال يقود جملين عليهما حملان ورقًا، وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربى، فانتهى إلى، فقلت: أنا إبراهيم الحربى، فحط الجملين، وقال: هذان الحملان أنفذهما لك رجل من أهل خراسان.

فقلت: من هو؟

فقال: قد استحلفنى ألا أقول من هو.

صفة الصفوة (٢ /٤٠٨)

* * *

١٨٠- الإيثـــــــار

قال العلامة محمد بن عمر الواقدى رحمه الله: أضقت إضاقة شديدة، ودخل عليَّ شهر رمضان، وأنا بغير نفقة، فضاق ذرعى بذلك، فكتبت إلى صديق لى علوى، أسأله أن يقرضنى ألف درهم، فبعث بها إلى فى كيس مختوم، فتركتها عندى.

فلما كان عشى ذلك اليوم، وردت رقعة صديق لى، يسألنى إسعافه لنفقة شهر رمضان، بألف درهم، فوجهت له الكيس بخاتمه.

فلما كان الغد جاءنى صديقى الذى اقترض منى، والعلوى الذى اقترضت منه، فسألنى العلوى من خبر الدراهم، فقلت: صرفتها فى مهم.

فأخرج الكيس بخاتمه، وضحك، وقال: والله لقد قرب هذا الشهر، وما عندى إلا هذه الدراهم، فلما كتبت إلى، فوجهت بها إليك، وكتبت إلى صديقنا هذا، أقترض منه ألف درهم، فوجه إلى الكيس، فسألته عن القصة فشرحها، وقد جئناك لنقسمها، وإلى أن ننفقها يأتى الله بالفرج.

قال الواقدى: فقلت لهما: ليست أدرى أينا أكرم، فقسمناها، ودخل شهر رمضان، فانفقت أكثر ما حصل منها، وضاق صدرى، وجعلت أفكر فى أمرى.

فبينما أنا كذلك إذ بعث إلى يحيى بن خالد البرمكى فى يوم، فصرت إليه، فقال: يا واقدى، رأيتك البارحة فيما يرى النائم، وأنت على حال دلتنى على أنك فى غم شديد، وأذى، فاشرح لى أمرك.

فشرحته إلى أن بلغت حيث العلوى، وصديقى والألف درهم، فقال: ما أدرى أيكم أكرم، وأمر لى بثلاثين ألف درهم، ولهما بعشرين ألف درهم، وقلدنى القضاء.

المستجاد (١١٠، ١١١) للتنوخى

* * *

١٨١- أكله الأسد وأنا أنظر

بلغنى عن رجل من أهل الأنبار، قال: خرجت إلى ضيعة لى فى ظاهر الأنبار، راكبًا دابة لى، ومعى مملوك لى أسود فى نهاية الشجاعة.

فلما صرنا فى بعض الطريق، بالقرب من الموضع الذى أنا طالبه، إذ نشأت سحابة،

فأمطرت وكان المساء قد أدركنا، فملنا إلى قباب كانت فى الطريق للسابلة، فلجأنا إليها، فقوى المطر حتى منعنا من الحركة، فأشار الغلام على بالمبيت.

فقلت له: نخاف اللصوص ويلك.

فقال لى: تخاف وأنا معك.

قلت: فالسبع؟

قال: نصير الدابة داخل القبة، وأنت تليها، وأنا عند الباب، وأشد وسطى بالحبل الذى معنا، وأشد طرفه برجلك، حتى لا يأخذنى النوم، فإن جاء الأسد أخذنى دونك.

وما زال يحسن لى ذلك الرأى حتى أقطعته، وملنا إلى إحدى القباب، وخلناها وفعل ما قال.

فوالله ما مضت قطعة من الليل، حتى جاء الأسد، فأخذ الأسود فدقه واحتمله وجر رجلى المشدودة معه فى الحبل.

فلم يزل يجرنى على الشوك والحبال والحجارة، إلى أن صار بى إلى أجمته، وأنا لا أعقل شيئًا من أمرى، ولا أحس بأكثر ما يجرى، ولا تمييز لى يؤدى بى إلى الاجتهاد فى حل الحبل من رجلى، ثم رمى بالأسود وربض عليه، وما زال يأكل منه، حتى شبع، وترك ما فضل منه، وليس من حسن الحياة غير النظر فقط، ثم مضى، فنام بالقرب من مكاننا.

وبقيت زمانًا على تلك الحال، ثم سكن روعى، ورجعت إلى نفسى، لطول مكث الأسد فى نومه، فحللت رجلى من الحبل، وقمت أدب، فعثرت بشىء لا أدرى ما هو، فأخذته، فإذا هميان ثقيل فشددته على وسطى، وخرجت من الأجمة، وقد قارب الصبح أن يسفر.

وصرت إلى القبة التى فيها دابتى، فإذا هى واقفة بحالها، فأخرجتها، وركبتها، وانصرفت إلى منزلى، وفتحت الهميان، فوجدت فيه جملة دنانير.

فحمدت الله على السلامة وبقى الرعب فى قلبى، والتألم فى بدنى مدة.

الفرج بعد الشدة (٤ / ١٩٠، ١٩١) للتنوخى

* * *

١٨٢ - لا تذكرني، ولا تأتني

قـال ابن المنكدر: إني لليلة مواجه هذا المنبر جوف الليل أدعو إذ أنا بإنسان عند سارية المسجد فقنع رأسه فسمعته يقول: أى رب إن القحط قد اشتد على عبادك، وإنى مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم.

فما كان إلا ساعة إذ سحابة قد أقبلت، ثم أرسلها الله عز وجل.

وكان عزيزًا على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير، فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه...، فلما سلم الإمام تقنع وانصرف وأتبعه...، حتى رآه أتى داره أنس فدخل موضعًا، فأخرج مفتاحًا ففتح ثم دخل.

قال: فرجعت فلما أصبحت أتيته فإذا أنا أسمع نجرًا في بيته فسلمت وقلت: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو ينجر أقداحًا يعملها.

فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ فأعظم ذلك منى، فلما رأيت ذلك قلت له: أخى سمعت إقسامك البارحة على الله عز وجل، يا أخى هل لك فى نفقة تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة؟ قال: لا، ولكن غير ذلك، لا تذكرنى لأحد، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت، ولا تأتنى يا ابن المنكدر، فإنك إن تأتنى تشهرنى للناس، فقلت: إنى أحب أن ألقاك.

قال: القنى فى المسجد.

سير أعلام النبلاء (٦/ ١٥٨) صفة الصفوة (٢/ ١٢٧، ١٢٨)

* * *

١٨٣ - وأنت ممن يشنع علينا

عن عبدة بن سلميان المروزى قال: «كنا سرية مع ابن المبارك فى بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البزار، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل، فطارده ساعة فطعنه وقتله، فازدحم إليه الناس، فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته فإذا هو هو، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا».

السير (٨/ ٣٩٤، ٣٩٥)

١٨٤- اسألك فرجًا قريبًا

عن الفضل بن الربيع، عن أبيه قال: «دعانى المنصور فقال: إن جعفر بن محمد يلحد فى سلطانى، قتلنى الله إن لم أقتله! فأتيته فقلت: أجب أمير المؤمنين، فتطهر ولبس ثيابًا - أحسبه قال: جددًا - فأقبلت به فاستأذنت له، فقالك أدخله، قتلنى الله إن لم أقتله! فلما نظر إليه مقبلاً قام من مجليسه فتلقاه وقال: مرحبًا بالنقى الساحة، البرىء من الدغل والخيانة، أخى وابن عمى، فأقعده معه على سريره وأقبل عليه بوجهه وسأله عن حاله، ثم قال: سلنى عن حاجتك فقال: أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم فتأمر له به، قال: أفعل، ثم قال: يا جارية، ائتنى بالتحفة، فأتته بمدهن زجاج فيه غالية فغفله بيده وانصرف، فاتبعته، فقلت: يا بن رسول الله، أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك، فكان منه ما رأيت! وقد رأيت تحرك شفتيك بشىء عند الدخول فما هو؟! قال: قلت: اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام، واكنفنى بركنك الذى لا يرام، واحفظنى بقدرتك على، ولا تهلكنى وأنت رجائى، رب كم من نعمة أنعمت بها على قلَّ لك عندها شكرى، وكم من بلية ابتليتنى بها قل لها عندك صبرى، فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى، ويا من قل عند بليته صبرى فلم يخذلنى، ويا من رآنى على المعاصى فلم يفضحنى، ويا ذا النعم التى لا تحصى أبدًا، ويا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبدًا، أعنى على دينى بدنيا، وعلى آخرتى بتقوى، واحفظنى فيما غبت عنه، ولا تكلنى إلى نفسى فيما خطرت، يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة، اغفر لى ما لا يضرك، وأعطنى ما لا ينقصك، ويا وهاب أسألك فرجًا قريبًا، وصبرًا جميلاً، والعافية من جميع البلايا، وشكر العافية».

السير (٦/ ٢٦٦، ٢٦٧)

* * *

١٨٥- الرجل الصالح

قال ابن المنكدر: «إنى فى ليلة مواجه هذا المنبر فى جوف الليل أدعو إذا إنسان عند اسطوانة مقنع رأسه، فأسمعه يقول: أى رب، إن القحط قد اشتد على عبادك، وإنى مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم.

قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت، ثم أرسلها الله، وكان عزيزًا على ابن

المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير، فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه؟ فلما سلم الإمام تقنع وانصرف، واتبعه ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس، فدخل موضعًا ففتح ودخل، قال: ورجعت، فلما رأيت ذلك قلت: فلما سبحت أتيته فقلت: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو ينجز أقداحًا، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: فاستشرها وأعظمها منى، فلما رأيت ذلك قلت: إنى سمعت إقسامك البارحة على الله يا أخى، هل لك فى نفقة تغنيك عن هذا وتفرغك لما تريد من الآخرة، قال: لا ولكن غير ذلك، لا تذكرنى لأحد ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت، ولا تأتنى يا بن المنكدر، فإنك إن تأتنى شهرتنى للناس، فقلت: إن أحب أنى ألقاك، قال: القنى فى المسجد، قال: وكان فارسيًا، فما ذكر بك ذلك ابن المنكدر، لأحد حتى مات الرجل.

قال ابن وهب: بلغنى انتقل من تلك الدار فلم ير ولم يدر أين ذهب فقال أهل تلك الدار: الله بيننا وبين ابن المنكدر، أخرج عنا الرجل الصالح!.

* * *

١٨٦- الحيلة لا تجوز عليك

قال عمر بن عبد العزيز لعدى بن أرطاة: إن أمامك رجلين هما بكر بن عبد الله وإياس بن معاوية... فول أحدهما قضاء البصرة، فعرض أرطاة عليهما معًا فامتنعا... فقال: يا بكر... ما الذى يمنعك من قبول منصب القضاء؟.

فقال بكر بن عبد الله: والله الذى لا إله إلا هو... إنى لا أحسن القضاء، وإن إياسًا أولى به منى... فألح عليه عدى بن أرطاة... فقال بكر: إن كنت صادقًا، فكيف أتولاه؟... وإن كنت كاذبًا فكيف تولى كاذبًا منصب القضاء؟!.

فالتفت أرطاة بن عدى إلى إياس وقال له: أنت لها يا إياس، وقد خرجت من يد بكر.

قال إياس: والله لقد أوقفتم الرجل على شفير جهنم، فافتدى نفسه منكم بيمين يكفرها.

فقال عدى بن أرطاة: أما والله وقد اهتديت إلى هذا المكر، فأنت أولى بالقضاء والقضاء أولى بك وأحق... فالحيلة لا تجوز عليك والمكر لا يجد سبيله إليك.

الحلية (٣/ ١٢٣)

* * *

١٨٧- عظ نفسك بنفسك

قال سرى السقطى: كنت فى بعض سياحاتى فمررت بمغارة فسمعت فيها أنينًا يتبعه حنين، فقربت من المغارة فإذا أنا بفتى قد أنحلته أحزانه وأقلقته أشجانه وبكى عليه مكانه، فقلت له: يا فتى... فيم النجاة؟ قال: فى أداء الفرائض ورد المظالم والإنابة إلى الله - عز وجل - فقلت له: هل لك أن تعظنى؟ قال لى: عظ نفسك بنفسك، وراقب الله فى الخلوات يكفر عنك السيئات، ويباهى بك أهل السماوات، قلت له: زدنى، قال: إن لله عبادًا خلقهم لخدمته، واصطفاهم لمحبته، ومنح قلوبهم الإقبال عليه، وسقاهم بكأس الشوق إليه، فطاشت من الفكر أحلامهم، واصفرت من السهر ألوانهم، فأجفانهم من كثرة البكاء مقروحة وأكبادهم من شدة الظمأ مجروحة... ثم قال: انصرف عنى فقد شغلتنى.

المواعظ والمجالس (ص١١٠)

* * *

١٨٨- العروس الشهيدة

جاء فى ترجمة أم حكيم بنت الحارث زوج عكرمة بن أبى جهل: أنها خرجت مع زوجها إلى غزو الروم فاستشهد، فتزوجها خالد بن سعيد بن العاص فلما كانت وقعة مرج الصفر أراد خالد أن يدخل بها فقالت: لو تأخرت حتى يهزم الله هذه الجموع.

فقال: إن نفسى تحدثنى أنى أقتل.

قالت: فدونك.

فأعرس بها عند القنطرة، فعرفت بها بعد ذلك، فقيل لها (قنطرة أم حكيم) ثم أصبح فأولم عليها، فأفرغوا من الطعام حتى وافتهم الروم، ووقع القتال فاستشهد خالد، وشدت أم حكيم عليها ثيابها وتبدت، وإن عليها أثر الخلوق، فاقتتلوا على النهر، فقاتلت أم حكيم يومئذ، فقتلت بعمود الفسطاط الذى أعرس بها خالد فيه سبعة من الروم.

(الإصابة (٤/ ٤٤٣)

* * *

١٨٩ - نحن فى الفقر سواء

عن عبد الله ابن أخت مسلم بن سعد أنه قال: أردت الحج، فدفع إلى خالى مسلم عشرة آلاف درهم، وقال لى: إذا قدمت المدينة فانظر أفقر أهل البيت بالمدينة، فأعطهم إياها، فلما دخلت سألت عن أفقر أهل بيت بالمدينة، فدللت على أهل البيت، فطرقت الباب، فأجابتنى امرأة من أنت؟ فقلت: أنا رجل من أهل البغداد، أودعت عشرة آلاف، وأمرت أن أسلمها إلى أفقر أهل بيت بالمدينة وقد وصفتم لى فخذوها.

فقالت: يا عبد الله، إن صاحبك اشترط أفقر أهل بيت، وهؤلاء الذين بإزائنا أفقر منا.

فتركتهم وأتيت أولئك، فطرقت الباب، فأجابتنى امرأة، فقلت لها مثل الذى قلت لتلك المرأة.

فقالت: يا عبد الله، نحن وجيراننا فى الفقر سواء، فاقسمها بيننا وبينهم.

أحسن المحاسن ص١٥٥

* * *

١٩٠ - ليتك تسلم

قال أحمد بن حنبل - رحمه الله - لحاتم الأصم: أخبرنى يا حاتم، فيم أتخلص من الناس؟

قال: يا أبا عبد الله، فى ثلاث خصال.

قال: وما هى؟

قال: أن تعطيهم مالك، ولا تأخذ من مالهم شيئًا.

قال: وتقضى حقوقهم، ولا تستقضى منهم حقًا.

قال: وتحمل مكروههم، ولا تكره واحداً منهم على شىء.

قال: فأطرق أحمد ينكث بإصبعه الأرض، ثم رفع رأسه، وقال: يا حاتم، إنها لشديدة.

فقال له حاتم: وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم.

وفيات الأعيان (٢ / ٢٧)

* * *

١٩١ - أصحاب الحديث... مفاليس

قال ابن أبى حاتم: سمعت أبى يقول: بقيت فى سنة أربع عشرة ثمانية أشهر بالبصرة، وكان فى نفسى أن أقيم سنة، فانقطعت نفقتى، فجعلت أبيع ثيابى حتى نفدت وبقيت بلا نفقة، ومضيت أطوف مع صديق لى إلى المشيخة وأسمع إلى المساء، فانصرف رفيقى ورجعت إلى بيتى، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت فقداً على رفيقى، فجعلت أطوف معه فى سماع الحديث على جوع شديد، وانصرفت جائعًا، فلما كان من الغد غدا على فقال: مر بنا إلى المشايخ، قلت: أنا ضعيف لا يمكننى، قال: ما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمرى، قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئًا! فقال: بقى معى دينار، فنصفه لك، ونجعل النصف الآخر فى الكراء، فخرجنا من البصرة، وأخذت منه النصف دينار.

السير (١٣/ ٢٥٦)

* * *

١٩٢ - يقوم الليل وهو صبى

لما بقلم أبو يزيد البسطامى وهو صغير: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (المزمل: ١، ٢) قال لأبيه: يا أبت من الذى يقول الله تعالى له هذا؟ قال: يا بنى، ذلك النبى ﷺ، قال: يا أبت، ما لك لا تصنع أنت كما صنع النبى ﷺ، قال: يا بنى، إن الله - تعالى - خص نبيه ﷺ بافتراض قيام الليل دون أمته، فسكت عنه، فلما حفظ قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ (المزمل: ٢٠) قال: يا أبت، إنى أسمع أن طائفة كانوا يقومون من الليل، فمن هذه الطائفة؟ قال له أبوه: أولئك هم الصحابة - ﷺ - قال: فلم تترك ما فعله الصحابة؟ قال: صدقت يا بنى، لا أترك إن شاء الله تعالى، فكان يقوم من الليل ويصلى، واستيقظ أبو يزيد ليلة، فإذا أبوه يصلى، فقال: علمنى كيف أتطهر وأفعل مثل فعلك، وأصلى معك، فقال له أبوه: يا بنى ارقد فإنك صغير بعد، قال: يا أبت... إذا كان يوم يصدر الناس أشتاتًا ليروا أعمالهم أقول لربى: إنى قلت لأبى: كيف أتطهر لأصلى معك، فأبى وقال لى: ارقد فإنك صغير بعد!! قال أبوه: لا والله يا بنى، وعلمه، فكان يصلى معه. أنباء نجباء الأبناء صـ١٩٩ .

١٩٣ - نحن بطالون

ذكر أن امرأة جميلة كانت بمكة، وكان لها زوج، فنظرت يومًا إلى وجهها في المرآة فقالت لزوجها: أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يفتن به؟ قال: نعم، قالت: من؟ قال: عبيد ابن عمير، قالت: فائذن لي فيه فلأفتنه، قال: قد أذنت لك، قال: فأتته كالمستفتية، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام، فأسفرت عن وجه مثل فلقة القمر، فقال لها: يا أمة الله... استتري، فقالت: إني قد فتنت بك، قال: إني سائلك عن شيء، فإن أنت صدقتني نظرت في أمرك، قالت: لا تسألني عن شيء إلا صدقتك، قال: أخبريني لو أن ملك الموت أتاك ليقبض روحك أكان يسرك أن أقضي لك هذه الحاجة؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو دخلت قبرك وأجلست للمساءلة، أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو أن الناس أعطوا كتبهم ولا تدرين أتأخذين كتابك بيمينك أم بشمالك، أكان يسرك أني قضيتها لك، قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: فلو جيء بالميزان وجيء بك، فلا تدرين أيخف ميزانك أم يثقل، أكان يسرك أني قضيتها لك؟ قالت: اللهم لا، قال: صدقت، قال: اتقي الله... قد أتم الله عليك، وأحسن إليك، قال: فرجعت إلى زوجها فقال: ما صنعت؟ قالت: أنت بطال ونحن بطالون، فاقبلت على الصلاة والصوم والعبادة، فكان زوجها يقول: ما لي ولعبد بن عمير أفسد على امرأتي، كانت في ليلة عروسًا فصيرها راهبة.

روضة المجبين صـ ٢٩٠

* * *

١٩٤ - الفتنة

قال الإمام: لما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم فقال: ائتوني بغيرها، فأتي بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا، قال: فجعل يتقدم إلى الرجل فيضربني بسوطين، فيقول له - يعني المعتصم - شد، قطع الله يدك! ثم يتنحى، ثم يتقدم الآخر فيضربني بسوطين، وهو في كل ذلك يقول لهم: شدوا، قطع الله أيديكم، فلما ضربت تسعة عشر سوطًا قام إلي - يعني المعصتم - فقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك؟ إني والله عليك شفيق، قال: فجعل عجيف ينخسني بقائم سيفه، وقال: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ وجعل بعضهم يقول:

ويلك، الخليفة على رأسك قائم؟ وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، أنت صائم، وأنت فى الشمس قائم، فقال لى: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: أعطونى شيئًا من كتاب الله عز وجل أو سنة رسول الله ﷺ أقول به، قال: ثم رجع فجلس، ثم قال للجلاد: تقدم، أوجع، قطع الله يدك! ثم قال الثانية، فجعل يقول: ويحك يا أحمد، أجبنى، فجعلوا يقبلون على ويقولون: ويحك يا أحمد، إمامك على رأسك قائم، وجعل عبد الرحمن يقول: من صنع من أصحابك هذا الأمر ما تصنع؟ قال: وجعل يقول - يعنى المعتصم - ويحك يا أحمد، أجبنى إلى أى شىء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدى، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أعطونى شيئًا من كتاب الله عز وجل أو سنة رسوله ﷺ حتى أقول به، قال: فرجع فجلس، فقال للجلادين: تقدموا، فجعل الجلاد يتقدم ويضربنى سوطين ويتنحى، وهو فى خلال ذلك يقول: شد، قطع الله يدك! قال أبى: فذهب عقلى، فأفقت بعد ذلك، فإذا الأقياد قد أطلقت عنى، فقال لى رجل ممن حضر: إنا كببناك على وجهك، وطرحنا على ظهرك بارية ودسناك! قال أبى: فما شعرت بذلك، وأتونى بسويق فقالوا لى: اشرب وتقيأ، فقلت: لست أفطر ثم جىء بى إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت صلاة الظهر، فتقدم ابن سماعة فصلى، فلما انفتل من الصلاة قال لى: صليت والدم يسيل فى ثوبك؟ فقلت: قد صلى عمر وجرحه يثغب دمًا.

مناقب الإمام أحمد ص٤٠٦، ٤٠٧

* * *

١٩٥- إن المحامد جياع

قال أبو العباس البكرى: «جمعت الرحلة بين ابن جرير، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزى، ومحمد بن هارون الرويانى بمصر، فأرموا ولم يبق عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة فى منزل كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلونى حتى أصلى صلاة الخيرة، قال: فاندفع فى الصلاة، فإذا هم بالشموع وخص من قبل وإلى مصر يدق الباب ففتحوا، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو ذا، فأخرج سرة فيها خمسون ديناراً، فدفعها إليه، ثم قال: وأيكم محمد بن جرير؟ فأعطاه خمسين ديناراً، وكذلك للرويانى، وابن خزيمة، ثم قال: إن الأمير كان قائلاً

بالأمس، فرأى فى المنام أن المحامد جياع قد طووا كشحهم، فأنفذ إليكم هذه الصرر، وأقسم عليكم إذا نفدت فابعثوا إلى أحدكم ليزيدكم.

السير ١٤ / ٢٧٠، ٢٧١ الجرح والتعديل ١ / ٢٦٦

* * *

١٩٦- الأخوة فى الله وحقوقها

عن يعقوب بن شيبة قال: «أظل العيد رجلاً، وعنده مائة دينار لا يملك سواها، فكتب إليه صديق يسترعى منه نفقة، فأنفذ إليه بالمائة دينار، فلم ينشب أن ورد عليه رقعة من بعض إخوانه يذكر أنه أيضًا فى هذا العيد فى إضاقة، فوجه إليه بالصرة بعينها، قال: فبقى الأول لا شيء عنده، فاتفق أنه كتب إلى الثالث وهو صديقه يذكر حاله، فبعث إليه بالصرة بختمها، قال: فعرفها وركب إليه وقال: خبرنى ما شأن هذه الصرة؟! فأخبره الخبر، فركبا معًا إلى الذى أرسلها وشرحوا القصة، ثم فتحوها واقتسموها».

السير (١١ / ٤٩٧، ٤٩٨)

* * *

١٩٧- البلاء

عن أبى جعفر الأنبارى قال: «لما حمل أحمد إلى المأمون أخبرت، فعبرت الفرات فإذا هو جالس فى الخان فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تعنيت! فقلت: يا هذا، أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن خلق، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت، فاتق الله ولا تجب، فجعل أحمد يبكى، ويقول: ما شاء الله، ثم قال: يا أبا جعفر، أعد على، فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله».

السير (١١ / ٢٣٨، ٢٣٩)

* * *

١٩٨- آداب طالب العلم

قال السمعانى: «سمعت أن عطاء بن أبى سعيد قدم للخشبة ليصلب، فنجاه الله لحسن نيته، فلما أطلق عاد إلى التظلم، وما فتر، وخرج مع النظام ماشيًا إلى الروم فما

ركب، وكان يخوض الأنهار مع الخيل، ويقول: شيخي في المحنة، فلا أستريح، قال لي ابنه محمد عنه قال: كنت أعدو في موكب النظام، فوقع نعلي فما التفت ورميت الأخرى، فأمسك النظام الدابة، وقال: أين نعلاك؟! فقلت: وقع أحدهما، فخشيت أن تسبقني إن وقفت، قال: فلم رميت الأخرى؟! فقلت: لأن شيخي أخبرنا أن النبي ﷺ نهى أن يمشي الرجل في نعل واحد، فما أردت أن أخالف السنة، فأعجبه وقال: أكتب إن شاء الله حتى يرجع شيخك إلى هراة، وقال لي: اركب بعض الجنائب فأبيت، وعرض على مالاً فأبيت».

السير (٢٠/ ٥٥)

* * *

١٩٩- هكذا فعل الكريم

روى معاوية الهروي فقال: لما أنشد عبد الملك قول عبيد الله بن قيس:

إنما مصعب شهاب من الله

تجلت عن وجهه الظلماء

هدر دمه، وأمر أن ينادى عليه: من جاء به فله ألف دينار، قال عبيد الله بن قيس: فسمعت النداء، وأنا في بعض أزقة دمشق، فلحقني الجزع إلى أن دخلت دربًا لا منفذ له، وإذا صدر الدرب دار وباب مفتوح، فدخلت وصعدت، فتبصرت في صاحبة الدار، فأمرت جاريتها بإصعاء الماء، وظنت أني أريد الطهور، فصعدت الجارية، فوضعت الماء، وانصرفت فلما أبطأت عن النزول، قالت: هذا رجل خائف، أصعدي له الضيافة، فصعدت ببساط، وفراش، وطعام، فأقمت في ذلك أربعة أشهر، يغدى علي، ويراح بما أحتاج إليه، ثم دفعت إلي مائة دينار، بعد أن عرفت حالي، وقالت:

عليك بعبد الله بن جعفر فإن فرجك عنده، قال: فخرجت فوافيت المدينة، ودخلت على عبد الله بن جعفر متلثمًا، فلما مثلت بين يديه:

كشفت العمامة وسلمت، فقال: عبيد الله؟

قلت: نعم، قال: أمير المؤمنين ساخط عليك، وأنت تدخل علي؟!.

قلت: نعم، قالت: قد دخلت دارك، وصرت في جوارك، ووقعت عينك علي فأجرني أجارك الله، فنكس رأسه ساعة، ثم دعاد بالقهرمان، فقال: أنزل هذا عندك، وأحسن إليه، إلى أن تشفع لي عند أمير المؤمنين، فآمنني وقال: والله لا أخذت لي عطاءً!.

قال: فقلت لعبد الله بن جعفر: وما ينفعنى أمانى؟! وقد تركت حيّا كميت لا آخذ مع الناس عطاء، فقال عبد الله بن جعفر: كم بلغت من السن؟ قلت: ستين سنة.

قال: فكم عطاؤك؟ قلت: ألف درهم فى كل سنة، فأمر له بأربعين ألف درهم معجلة، وقال: هذا عطاؤك حتى تموت.

المستجاد للدارقطنى (٥٣)

* * *

٢٠٠- هيبة العلماء

قال أبو جعفر محمد بن على - وراق أبى زرعة -: «حضرنا أبا زرعة بماشهران وهو فى السوق، وعنده أبو حاتم، وابن دارة، والمنذر بن شاذان، وغيرهم، فذكروا حديث التلقين: لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله، واستحيوا من أبى زرعة أن يلقنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث، فقال ابن دارة: حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح - وجعل يقول: ابن أبى، ولم يجاوزه، وقال أبو حاتم: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح، ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة - وهو فى السوق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد، عن صالح بن أبى غريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله ﷺ: من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله دخل الجنة، وتوفى رحمه الله».

السير (١٣/ ٧٦، ٧٧)

* * *

٢٠١- العفة

عن صالح بن أحمد قال: «دخلت على أبى يومًا أيام الواثق - والله يعلم على أى حال نحن - وقد خرج لصلاة العصر، وكان له لبد يجلس عليه، قد أتى عليه سنون كثيرة حتى بلى، وإذا تحته كتاب كاغد فيه: بلغنى يا أبا عبد الله، ما أنت فيه من ضيق، وما عليك من الدين، وقد وجهت إليك أربعة آلاف درهم على يدى فلان، وما هى من صدقة ولا زكاة، وإنما هو شىء ورثته من أبى، فقرأت الكتاب ووضعته، فلما دخل قلت: يا أبه: ما هذا الكتاب؟ فاحمر وجهه، وقال: رفعته منك، ثم قال: تذهب لجوابه؟ فكتب إليه الرجل:

وصل كتابك إلي، ونحن في عافية، فأما الدين فإنه الرجل لا يرهقنا، وأما علينا ففي نعمة الله، فذهب بالكتاب إلى الرجل الذي كان أوصل كتاب الرجل، فلما كان بعد حين، ورد كتاب الرجل مثل ذلك، فرد عليه بمثل ما رد، فلما مضت سنة أو نحوها، ذكرناها فقال: لو كنا قبلناه، كانت قد ذهبت».

السير (١١/ ٢٠٥، ٢٠٦)

* * *

٢٠٢- أومثلي يجترئ أن يسألك الجنة

عن جعفر بن زيد قال: «خرجنا في غزاة إلى كابل، وفي الخيش صلة فنزلوا، فقلت: لأرمقن عمله، فصلى ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، ثم وثب فدخل غيضة، فدخلت، فتوضأ وصلى، ثم جاء أسد حتى دنا منه، فصعدت شجرة، أفتراه التفت إليه حتى سجد؟ فقلت: الآن يفترسه، فلا شيء، فجلس ثم سلم فقال: يا سبع، اطلب الرزق بمكان آخر، فولى وإن له زئيرًا أقول: تصدع منه الجبل، فلما كان عند الصبح جلس، فحمد الله بمحامد لم أسمع بمثلها، ثم قال: اللهم إني أسألك أن تجيرني من النار، أومثلي يجترئ أن يسألك الجنة؟!».

السير (٣/ ٤٩٩)

* * *

٢٠٣- الخـــــوف

عن جبير بن نفير قال: «جلسنا إلى المقداد يومًا، فمر به رجل، فقال: طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ والله لوددنا أن رأينا ما رأيت، فاستمعت فجعلت أعجب، ما قال إلا خيرًا، ثم أقبل عليه، فقال: ما يحمل أحدكم على أن يتمنى محضرًا غيبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كبهم الله على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه أولا تحمدون الله، لا تعرفون إلا ربكم مصدقين لما جاء به نبيكم، وقد كفيتم البلاء بغيركم، والله لقد بعث النبي ﷺ على أشد حال بعث عليه نبي في فترة الجاهلية، ما يرون دينًا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان حتى إن الرجل ليرى والده أو لده أو أخاه كافرًا، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان، ليعلم أنه قد

هلك من دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حميمه فى النار، وأنها للتى قال الله تعالى: ﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ (الفرقان: ٧٤).

السير (١/ ٣٨٨، ٣٨٩)

* * *

٢٠٤- ليس لهذا خلقت

قال إبراهيم بن بشار: «قلت لإبراهيم بن أدهم: كيف كان بدء أمرك؟ قال: كان أبى من الملوك المياسير وحبب إلينا الصيد فركبت، فثار أرنب - أو ثعلب - فحركت فرسى، فسمعت نداء من ورائى: ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت! فوقفت أنظر يمنة ويسرة فلم أر أحداً، فقلت: لعن الله إبليس! ثم حركت فرسى، فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيم، ليس لذلك خلقت ولا بذا أمرت! فوقفت أنظر فلا أرى أحداً فقلت: لعن الله إبليس! فأسمع نداء من قربوس سرجى بذاك فقلت: لعن أنبهت أنبهت، جاءنى نذير والله لا عصيت الله بعد يومى ما عصمنى الله، فرجعت إلى أهلى، فخليت فرسى، ثم جئت إلى رعاة لأبى فأخذت جبة كساء، وألقيت ثيابى إليه، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً، فلم يصف لى منها الحلال، فقيل لى: عليك بالشام، فذكر حكاية نطارته الرمان، وقال الخادم له: أنت تأكل فاكهتها ولا تعرف الحلو من الحامض؟! قلت: والله ما ذقتها، فقال: أتراك لو أنك إبراهيم بن أدهم، فانصرف، فلما كان من الغد ذكر صفتى فى المسجد، فعرفنى بعض الناس، فجاء الخادم ومعه كنف من الناس، فاختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وأنا هارب».

السير (٧/ ٣٦٥، ٣٦٦)

* * *

٢٠٥- يفرك أذن الأسد

قال سفيان الثورى: خرجت حاجّاً أنا وشيبان الراعى، فلما صرنا ببعض الطريق إذا نحن بأسد قد عارضنا، فقلت لشيبان: أما ترى هذا الكلب، قد عرض لنا؟

فقال لى: لا تخف يا سفيان، ثم صاح بالأسد فبصبص وضرب بذنبه مثل الكلب، فأخذ شيبان بأذنه فعركها، فقلت له: ما هذه الشهرة؟!

فقال لي: وأي شهرة ترى يا ثوري؟! ل،ولا كراهية الشهرة ما حملت زادي إلى مكة إلا على ظهره.

السير (٧/ ٢٦٨)

* * *

٢٠٦- كيف ترى نفسك

قال حاتم الأصم: كنا مع شفيق البلخي ونحن مصاقو الترك، في يوم لا أرى فيه إلا رءوسًا تندر، وسيوفًا تقطع، ورماحًا تقصر، فقالي لي شفيق - ونحن بين الصفين - كيف ترى نفسك يا حاتم؟ أتراه مثله في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟! قلت: لا، والله!.

قال: لكني والله أرى نفسي في هذا اليوم مثله في الليلة التي زفت فيها امرأتي، قال: ثم نام بين الصفين ودرقته تحت رأسه - حتى سمعت غطيطه - قال حاتم: ورأيت رجلاً من أصحابنا في ذلك اليوم يبكي، فقلت: ما لك؟ قال: قتل أخي، قلت: حظ أخيك صار إلى الله وإلى رضوانه.

فقال لي: اسكت، ما أبكي أسفًا عليه ولا على قتله، ولكني أبكي أسفًا أن أكون دريت كيف كان صبره لله عند وقوع السيف به.

قال حاتم: فأخذني في ذلك اليوم تركي فأضجعني للذبح، فلم يكن قلبي به مشغولاً، كان قلبي بالله مشغولاً، أنظر ماذا يأذن الله له في، فبينما هو يطلب السكين من جفنة إذ جاءه سهم غابر فذبحه فألقاه عني.

الحلية (٨/ ٦٤)

* * *

٢٠٧- واسوء صباحاه

بكت فاطمة زوج عمر بن عبد العزيز، حتى عشي بصرها، فدخل عليها أخواها مسلمة وهشام ابنا عبد الملك فقالا: ما هذا الأمر الذي قدمت عليه؟ أجزعت على بعلك؟ فأحق من جزع على مثله، أم على شيء فاتك من الدنيا؟ فها نحن بين يديك، وأموالنا وأهلونا.

فقالت: ما من كل جزعت، ولا على واحدة منها أسفت، ولكني والله رأيت منه ليلة منظرًا فعلمت أن الذي أخرجه إلى ذلك الذي رأيت من هول عظيم قد أسكن قلبه معرفته،

قالا: وما رأيت منه؟ قالت: رأيته ذات ليلة قائمًا يصلي، فأتى على هذه الآية ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ (القارعة: ٤، ٥) فصاح: «واسوء صباحاه» ثم وثب فسقط، فجعل يخور مني، فظننت أن نفسه ستخرج، ثم إنه هدأ، فظننت أنه قد مضى، ثم أفاق إفاقة فنادى: «يا سوء صباحاه» ثم وثب فجعل يجول في الدار ويقول: «يا ويلي من يوم يكون الناس فيه كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش» قالت: فلم يزل كذلك حتى طلع الفجر ثم سقط كأنه ميت حتى أتاه الأذان للصلاة، فوالله ما ذكرت ليلته تلك إلا غلبتني عيناي فلم أملك رد عبرتي.

سيرة عمر بن عبد العزيز ص٢٢٣

* * *

٢٠٨- من أحبك

قال يحيى بن يزيد: مر شريك القاضي بالمستنير بن عمرو النخعي، فجلس إليه فقال المستنير: يا أبا عبد الله، من أدبك؟ قال: أدبتني نفسي والله تعالى.

ولدت بخرسان ببخارى، فحملني ابن عم لنا، حتى طرحني عند بني عم لي بنهر صرصر، فكنت أجلس إلى معلم لهم، فعلق بقلبي تعلم القرآن، فجئت إلى شيخهم، فقلت: يا عماه، الذي كنت تجرى على هاهنا، أجره علي بالكوفة أعرف بها السنة وقومي، ففعل، قال: فكنت بالكوفة أضرب اللبن وأبيعه، وأشترى دفاتر وطروسًا، فأكتب فيها العلم والحديث، ثم طلب الفقه، فبلغت ما ترى، فقال المستنير بن عمرو لولده: سمعتهم قول عمكم؟ وقد أكثرت عليكم في الأدب، ولا أراكم تفلحون فيه، فليؤدب كل رجل منكم نفسه، فمن أحسن فلها، ومن أساء فعليها.

تاريخ بغداد (٩/ ٢٨٠)

* * *

٢٠٩- حتى الصغار

قال هشام بن عمار: باع أبي بيتًا له بعشرين دينارًا، وجهزني للحج، فلما حضرت إلى المدينة أتيت مجلس مالك بن أنس، ومعي مسائل أريد أن أسأله عنها، فأتيته وهو جالس في بيته في هيئة الملوك، وغلمان قيام، والناس يسألونه وهو يجيبهم، فلما انقضى المجلس، قال لي بعض أصحاب الحديث: سل عما معك، فقلت له: يا أبا عبد الله، ما

تقول فى كذا وكذا؟ فقال: حصلنا على الصبيان: يا غلام، احمله، فحملنى كما يحمل الصبى، وأنا يومئذ غلام مدرك، فضربنى بدرة مثل درة المعلمين سبع عشرة درة، فوقفت أبكى، فقال لى مالك بن أنس: ما يبكيك؟ أوجعتك هذه الدرة؟ قلت: إن أبى باع منزله، ووجه بى، أتشرف بك وبالسماع منك، فضربتنى، فقال: اكتب، فحدثنى سبعة عشر حديثًا، وسألته عما كان معى من المسائل فأجابنى.

تهذيب الكمال (٣/ ١٤٤)

* * *

٢١٠- يقاتل بعد خروج أمعائه

فى معركة القادسية برز رجل من المجوس أمام صفوف بكر بن وائل فنادى: من يبارز؟ فخرج له علباء بن جحش العجلى، فنضحه علباء، فأصابه فى صدره وشق رئته، ونضحه الآخر فأصابه فى بطنه وانتشرت أمعاؤه، وسقطا معًا على الأرض، أما المجوسى فمات من ساعته، وأما علباء فلم يستطع القيام، وحاول أن يعيد أمعاءه إلى مكانه فلم يتأت له، ومر به رجل من المسلمين، فقال له علباء: يا هذا، أعنى على بطنى، فأدخل له أمعاءه، فأخذ بصفاقيه، ثم زحف نحو صف العجم دون أن يتلفت إلى المسلمين وراءه، فأدركه الموت على ثلاثين ذراعًا من مصرعه وهو يقول:

أرجو بها من ربنا ثوابًا
قد كنت ممن أحسن الضرابا

وفاضت نفسه.

تاريخ الطبرى (٣/ ٥٤٦)

* * *

٢١١- من الذى أغضب الجليل حتى حلف؟

قال أبو الفضل الرياشى: سمعت الأصمعى يقول: أقبلت ذات يوم من المسجد الجامع بالبصرة، فبينما أنا فى بعض سككها، إذ طلع أعرابى جلف جاف على قعود له - جمل - متقلد سيفه، وبيده قوس، فدنا وسلم، وقال لى: ممن الرجل؟ قلت: من بنى الأصمع، قال: أنت الأصمعى؟ قلت: نعم، قال: ومن أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلى فيه كلام الرحمن، قال: وللرحمن كلام يتلوه الآدميون؟! قلت: نعم.

قال: اتل على شيئًا منه، قلت له: انزل عن قعودك، فنزل، وابتدأت سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** ﴾ (الذاريات: ٢٢) قال: يا أصمعى، هذا كلام الرحمن؟.

قلت: إى والذى بعث محمداً بالحق إنه لكلامه، أنزله على نبيه محمد ﷺ، فقال لى: حسبك، ثم قام إلى ناقته فنحرها، وقطعها بجلدها، وقال: أعنى على تفريقها، ففرقناها على من أقبل وأدبر، ثم عمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وجعلها تحت الرحل، وولى مدبراً نحو البادية وهو يقول: ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** ﴾.

فأقبلت على نفسى باللوم، وقلت: لم تنتبه لما انتبه له الأعرابى، فلما حججت مع الرشيد دخلت مكة، فبينما أنا أطوف بالكعبة، إذ هتف بى هاتف بصوت دقيق، فالتفت فإذا أنا بالأعرابى نحيلاً مصفارًا، فسلم على وأخذ بيدى، وأجلسنى من وراء المقام، وقال لى: اتل كلام الرحمن، فأخذت فى سورة الذاريات، فلما انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** ﴾ صاح الأعرابى: وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا، ثم قال: وهل غير هذا؟ قلت: نعم، يقول الله - عز وجل: ﴿ **فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ** ﴾ (الذاريات: ٢٣) فصاح الأعرابى، وقال: يا سبحان الله، من الذى أغضب الجليل حتى حلف؟ ألم يصدقوه حتى ألجئوه إلى اليمين؟ قالها ثلاثًا، وخرجت فيها روحه.

التوابين ص٢٧٩

* * *

٢١٢- كذاك الفخر يا همم الرجال

يقول خالد الوراق: كانت لى جارية شديدة الاجتهاد، فدخلت عليها يومًا فأخبرتها برفق الله وقبوله يسير الأعمال، فبكت ثم قالت: يا خالد... إنى لأؤمل من الله - تعالى - آمالاً لو حملتها الجبال لأشفقن من حملها كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإنى لأعلم أن فى كرم الله مستغاثًا لكل مذنب، ولكن كيف لى بحسرة السباق؟!! فقلت: وما حسرة السباق؟!! فقالت: غداة الحشر إذا بعثر ما فى القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال، فاستبقوا الصراط، وعزة سيدى لا يسبق مقصر مجتهداً أبداً، ولو حبا المجد حبواً، أم كيف لى بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون، وقد رفعت أعلام المحسنين، وجاز الصراط المشتاقون، ووصل إلى الله المحبون، وخلفت مع المسيئين المذنبين؟! ثم بكت وانتحبت. صفة الصفوة (٤ / ٤٦).

٢١٣- شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات

قال عبد الرحمن بن مهدى: ما عاشرت فى الناس رجلاً أرقد من سفيان الثورى -رحمه الله- وكنت أرمقه الليلة بعد الليلة، فما ينام إلا أول الليل، ثم ينتفض مرعوبًا ينادى: النار النار!! شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات!!

ثم يقوم فيتوضأ ويقول على إثر وضوئه: «اللهم إنك عالم بحاجتى غير معلم، وما أطلب إلا فكاك رقبتى من النار، إلهى إن الجزع قد أرقنى، وذلك من نعمك السابغة على...، ثم يقبل على صلاته، وكان البكاء يمنعه من القراءة حتى إنى كنت لا أستطيع سماع قراءته من كثرة بكائه.

الحلية (٧/ ٦٠)

* * *

٢١٤- اللهم احشرنى فى حواصل الطير

يقول أبو قدامة، أحد قادة المسلمين فى غزواتهم ضد الروم: كنت أميرًا فدعوت إلى الجهاد فى سبيل الله فجاءت امرأة بورقة وصرة ففضضت الورقة لأقرأها ولأنظر ما فيها فإذا فى تلك الورقة: بسم الله الرحمن الرحيم: من أمة الله المسلمة إلى أمير جيش المسلمين سلام الله عليك أما بعد: فإنك قد دعوتنا إلى الجهاد فى سبيل الله ولا قوة لى على الجهاد ولا مقدرة على القتال وهذه الصرة فيها ضفيرتى فخذها قيدًا لفرسك لعل الله يكتب لى شيئًا من ثواب المجاهدين.

يقول أبو قدامة: فشكرت الله على توفيقها وعلمت أن المسلمين يشعرون بواجبهم ويتكتلون ضد أعدائهم، فلما واجهنا العدو أبصرت صبيًا حدثًا ظننت أنه ليس أهلاً للقتال لصغر سنه فزجرته رحمة به، فقال: كيف تأمرنى بالرجوع وقد قال الله تعالى: ﴿ **انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً** ﴾ (التوبة: ٤١).

قال أبو قدامة: فتركته ثم أقبل على وقال: أقرضنى ثلاثة سهام، فقلت له وأنا معجب به ومشفق عليه: إنى أقرضك ما تريد بشرط أن تشفع لى إن منَّ الله عليك بالشهادة -وكنت أشعر نحوه بمحبة وتقدير- فقال: نعم إن شاء الله، فاعطيته السهام الثلاثة ثم أقبل على العدو فى قوة وحماس وما زال ينال من أعدائه وينالون منه حتى خر صريعًا فى ميدان القتال

وكانت عينى لا تفارقه طوال المعركة إعجابًا به وإشفاقا عليه فلما خر صريعًا أقبلت عليه وسألته: هل تريد طعامًا أو شرابًا فقال: لا إنى أحمد الله على ما صرت إليه ولكن لى إليك حاجة، فقلت له: ليس أحب إلى من قضائها يا بنى فمرنى بما شئت، فقال وهو يلفظ أنفاسه الطاهرة: أقرئ أمى منى السلام ثم ادفع إليها متاعى، فقلت: ومن أمك أيها الشاب؟ قال: أمى هى التى أعطتك شعرها ليكون قيداً لفرسك حين عجزت أن تقاتل بنفسها فى سبيل الله، قلت: بارك الله فيكم من آل بيت، ثم فارق الحياة.

فقمت نحوه بما يجب فلما دفنته لفظته الأرض فعاودت دفنه مرة أخرى فلفظته الأرض أيضًا، فأعمقت له فى الحفر ثم دفنته فلفظته الأرض مرة ثالثة، فقلت: لعله خرج بغير رضاء أمه، فصليت ركعتين ودعوت الله أن يكشف لى عن أمر ذلك الغلام، فسمعت من يقول لى: يا أبا قدامة دع عنك ولى الله، فتركته وشأنه وعلمت أن له مع الله حال وبينما نحن كذلك إذ بطير قد أقبل فأكله فتعجبت كثيراً ثم رجعت إلى أمه تنفيذاً لوصيته، فلما رأتنى قالت: ما وراءك يا أبا قدامة هل جئتنى معزيًا أم جئتنى مهنئًا؟

قال لها: وما معنى ذلك؟ فقالت: إن كان ابنى قد مات جئتنى معزيًا، وإن كان قد قتل فى سبيل الله وظفر بالشهادة فقد جئتنى مهنئًا.

فقصصت عليها قصته وأخبرتها عن الطير وما فعلت به.

فقالت: لقد استجاب الله دعاءه، فقلت لها: وما ذاك؟ فقالت: إنه كان يدعو الله فى صلواته وخلواته ويقول فى صباحه ومسائه: اللهم احشرنى فى حواصل الطير، والحمد لله على تحقيق أمله وإجابة دعائه.

قال أبو قدامة: فانصرفت عنها وقد علمت لماذا كتب الله لنا النصر على الأعداء.

صفة الصفوة (٤ / ١٩٨، ٢٠١)

* * *

٢١٥- دعنى أعيش سعيداً

قال القعقاع بن حكيم: كنت عند المهدى وجىء بأبى عبد الله ين سفيان الثورى فسلم بتسليمة العامة ولم يسلم بالخلافة، والربيع قائم على رأسه متكئًا على سيفه يرقب أمره، فأقبل عليه المهدى هاشًا وقال له: تفر منا، ها هنا وها هنا، وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك... فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا؟.

فقال أبو عبد الله سفيان الثورى: إن تحكم فى يحكم فيك ملك قادر، يفرق بين الحق والباطل.

فقال الربيع وهو متكئ على سيفه: ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ ائذن لى فى ضرب عنقه يا أمير المؤمنين.

قال المهدى: اسكت يا ربيع، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى نحن بسعادتهم... فدعنى أعيشى سعيداً.

تاريخ بغداد (٩/ ١٥١)

* * *

٢١٦- عمر بن الخطاب وغنائم المسلمين

بعث عمر سلمة بن قيس الأشجعى إلى طائفة من الأكراد كانوا على الشرك فخرج إليهم فى جيش أرسله معه من المدينة فلما انتهى إليهم دعاهم إلى الإسلام أو إلى أداء الجزية فأبوا فقاتلهم فنصره الله عليهم فقتل المقاتلة وسبى الذرية ووجد حلية وفصوصاً وجواهر فقال لأصحابه: أتطيب أنفسكم أن نبعث بهذا إلى أمير المؤمنين فإنه غير صالح لكم وإن على أمير المؤمنين لمؤنة وأثقالاً؟

قالوا: نعم قد طابت أنفسنا فجعل الجواهر فى سقط وبعث به مع واحد من أصحابه وقال له: سر فإذا أتيت البصرة فاشتر راحلتين فأوقرهما زاداً لك ولغلامك وسر إلى أمير المؤمنين.

قال: ففعلت فأتيت عمر وهو يغذى الناس قائماً متكئاً على عصا كما يصنع الراعى وهو يدور على القصاع فيقول يا يرفأ زد هؤلاء لحماً زد هؤلاء مرقة.

فجلست فى أدنى الناس فإذا طعام فيه خشونة طعامى الذى معى أطيب منه فلما فرغ أدبر فاتبعته فدخل داراً فاستأذنت ولم أعلم حاجبه من أنا فأذن لى فوجدته فى صفة جالساً على مسح متكئاً على وسادتين من أدم محشوتين ليفاً وعليه ستر من صوف فنبذ إلى إحدى الوسادتين فجلست عليها فقال: يا أم كلثوم ألا تغدوننا؟ فأخرجت إليه خبزة بزيت فى عرضها ملح لم يدق.

فقال: يا أم كلثوم ألا تخرجين إلينا تأكلين معنا؟ فقالت: إنى أسمع عندك حس رجل، قال: نعم ولا أراه من أهل هذه البلدة، فقالت: لو أردت أن أخرج إلى الرجال

لكسوتنى كما كسا الزبير امرأته وكما كسا طلحة امرأته، قال: أوما يكفيك أنك أم كلثوم ابنة على بن أبى طالب وزوجة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب؟

قالت: إن ذاك عندى بقليل الغناء، ثم قال: كل فلو كانت راضية لأطعمتك أطيب من هذا فأكلت قليلا وطعامى الذى معى أطيب منه وأكل فما رأيت أحداً أحسن أكلاً منه ما يتلبث طعامه بيده ولا فمه، ثم قال: اسقونا، فجاءوا بعس من سلت فقال: أعطوا الرجل، فشربت قليلاً وإن سقائى الذى معى لأطيب منه ثم أخذه فشربه حتى قرع القدح جبهته.

ثم قال: الحمد لله الذى أطعمنا فأشبعنا وسقانا فأروانا إنك يا هذا لضعيف الأكل ضعيف الشرب، فقلت: يا أمير المؤمنين إن لى حاجة، قال: ما حاجتك؟ قلت: أنا رسول سلمة بن قيس، قال: مرحبًا بسلمة ورسوله فكأنما خرجت من صلبه حدثنى عن المهاجرين كيف هم؟ قلت: كما تحب يا أمير المؤمنين من السلامة والظفر والنصر على عدوهم، قال: كيف أسعارهم.

قلت: أرخص أسعار، قال: كيف اللحم فيهم فإنه شجرة العرب ولا تصلح العرب إلا على شجرتها؟ قلت: البقرة فيهم بكذا والشاة بكذا فيهم، ثم قلت: سرنا يا أمير المؤمنين حتى لقينا عدونا من المشركين فدعوناهم إلى الذى أمرت به من الإسلام فأبوا فدعونا هم إلى الخراج فأبوا فقاتلناهم فنصرنا الله عليهم فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية وجمعنا الثروة فرأى سلمة فى الأموال حلية.

فقال للناس: أتطيب أنفسكم أن أبعث بها إلى أمير المؤمنين؟ قالوا: نعم ثم استخرجت سفطى ففتحته فلما نظر إلى تلك الفصوص من بين أحمر وأخضر وأصفر وثب وجعل يده فى خاصرته يصيح صياحًا عاليًا ويقول: لا أشبع الله إذن بطن عمر، يكررها، فظن النساء أنى جئت لأغتاله فجئن إلى الستر فكشفنه فسمعنه يقول: لف ما جئت به يا يرفأ جئ عنقه.

ثم قال: النجاء النجاء، قلت: يا أمير المؤمنين فاحملنى، فقال: يا يرفأ أعطه راحلتين من إبل الصدقة فإذا لقيت أحدا أفقر إليهما منك فادفعهما إليه وقال: أظنك ستبطئ، أما والله لئن تفرق المسلمون فى مشاتيهم قبل أن يقسم هذا فيهم لأفعلن بك وبصاحبك الفاقرة، قال: فارتحلت حتي أتيت إلى سلمة بن قيس فقلت ما بارك الله فيما اختصصتنى به اقسم هذا فى الناس قبل أن تصيبنى وإياك فاقرة فقسمت فيهم فكان الفص يباع بخمسة دراهم وبستة وهو خير من عشرين ألفًا.

٢١٧- منتهى العدل

ألا فليسمع أعداء الإسلام وجد على بن أبى طالب كرم الله وجهه درعًا له عند يهودى التقطها فعرفها على ﷺ فقال: درعى سقطت عن جمل لى أورق، فقال اليهودى: درعى وفى يدى، ثم قال اليهودى: بينى وبينك قاضى المسلمين، فأتوا شريحًا قاضى الكوفة وافتتحت الجلسة.

قال شريح: ما تشاء يا أمير المؤمنين؟ قال: درعى سقطت عن جمل لى أورق فالتقطها هذا اليهودى.

قال شريح: ما تقول يا يهودى؟ قال: درعى وفى يدى.

قال شريح: صدقت يا أمير المؤمنين، إنها لدرعك، ولكن لا بد من شاهدين، فدعا على ﷺ قنبراً مولاه، والحسن بن على ولده، وشهدا أنها درعه، فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك فلا نجيزها.

فقال على: ثكلتك أمك، أما سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» قال: اللهم نعم.

قال على: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟ قال: بلى، ولكنه ولدك، ثم قال لليهودى: خذ الدرع.

فقال اليهودى: أمير المؤمنين جاء معى إلى قاضى المسلمين فقضى لى ورضى، صدقت والله يا أمير المؤمنين، إنها لدرعك سقطت عن جمل لك والتقطتها، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فوهبها له علىٌّ، كرم الله وجهه، وزاد تسعمائة عطاء.

* * *

٢١٨- ما زالت مواقف العدل تتلألأ

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان عمر يصوم الدهر فكان عام الرمادة إذا أمسى أتى بخبز فأثرد بالزيت إلا أنه نحر يومًا من الأيام جزورًا فأطعمها الناس وغرفوا له طيبها فأتى به قدر من سنام ومن كبد فقال: أنى هذا؟

قالوا: يا أمير المؤمنين من الجزور التى نحرنا اليوم، فقال: بخ بخ بئس الوالى أنا إن أكلت طيبها وأطعمت الناس كراديسها ادفع هذه هات لنا غير هذا الطعام، فأتى بخبز

وزيت فجعل يكسر ويثرد فى ذلك الزيت قال: ويحك يا يرفأ احمل هذه الجفنة حى تأتى بها أهل بيت بشمغ فإنى لم آتهم منذ ثلاثة أيام وأحسبهم مقفرين فضعها بين أيديهم.

* * *

٢١٩- أمير المؤمنين ينام على الحصى!!

قدم الأحنف على عمر بن الخطاب ﷺ فى وفد من العراق، قدموا عليه فى يوم صائف شديد الحر وهو معتجر بعباءة يهنئ بعيراً من إبل الصدقة فقال: يا أحنف ضع ثيابك وهلله فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فإنه من الصدقة، فيه حق اليتيم والأرملة والمسكين، فقال رجل من القوم: يغفر الله لك يا أمير المؤمنين: فهلا تأمر عبداً فى عبيد الصدقة فيكفيك؟ فقال عمر: وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنفى؟! إنه من ولى أمر المسلمين يجب عليه لهم ما يجب على العبد لسيده فى النصيحة وأداء الأمانة.

عن الكلبى قال: بينما عمر نائمًا فى المسجد إذ قد وضع رداءه مملوءاً حصى تحت رأسه إذ بهاتف يهتف: يا عمراه، فانتبه مذعوراً فغدا إلى الصوت فإذا بأعرابى ممسك بخطام بعير والناس حوله، فلما نظر عمر فقال الناس: هذا أمير المؤمنين، فقال عمر: من آذاك! فظن أنه مظلوم، فأنشأ يقول ... فذكر أبياتًا يشكو فيها الجدب، فوضع عمر يده على رأسه ثم صاح: واعمراه! واعمراه! تدرون ما يقول؟ يذكر جدبًا إسناتا وإن عمر يشبع ويرمى المسلمين فى جدب وأزل من يوصل إليهم من المثيرة والتمر ما يحتاجون إليه؟

فوجه رجلين من الأنصار ومعهما إبل كثيرة عليها المسيرة والتمر فدخلا اليمن فقسما ما كان معهما إلا فضلة بقيت على بعير قالا: بينما نحن ماران نريد الانصراف فإذا نحن برجل قائم وقد التفت ساقاه من الجوع يصلى فلما رآنا قطع صلاته من الجوع وقال: هل معكما شيء فصببنا بين يديه وأخبرناه بخبر عمر فقال: والله لئن وكلنا الله إلى عمر لنهلكن ثم ترك ما كان بين يديه وعاد إلى الصلاة ومد يديه فى الدعاء فما ردها إلى نحره حتى أرسل الله السماء.

* * *

٢٢٠- وما زالت مواقف العدل

عن عبد الله بن صالح قال: حدثنى الليث قال: أتى عمر بن الخطاب ﷺ بفتى أمرد قد وجد قتيلاً ملقى على وجهه بالطريق فسأل عمر عن أمره واجتهد فيهم يقف له على خبر

ولم يعرف له قاتل فشق ذلك على عمر وقال: اللهم أظفرني بقاتله حتى إذا كان رأس الحول أو قريبًا من ذلك وجد صبي مولود ملقى بموضع القتيل فأتى به عمر فقال: ظفرت بدم القتيل إن شاء الله.

فدفع الصبي إلى امرأة وقال لها: قومي بشأنه وخذي منا نفقته وانظري من يأخذه منك فإذا وجدت امرأة تقبله وتضمه إلى صدرها فأعليميني بمكانها، فلما شب الصبي جاءت جارية فقالت للمرأة: سيدتي بعثتني إليك تبعثني بالصبي لتراه وترده إليك، قالت: نعم اذهبي به إليها وأنا معك، فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها فلما رأته أخذته فقبلته وضمته إليها فإذا هي بنت شيخ من الأنصار ومن أصحاب رسول الله ﷺ فأخبرت خبر المرأة فاشتمل عمر على سيفه ثم أقبل إلى منزلها فوجد أباها متكئًا على باب داره فقال: يا أبا فلان ما فعلت ابنتك فلانة؟

قال: يا أمير المؤمنين جزاك الله خيراً هي من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها مع حسن صلاتها وصيامها والقيام بدينها.

قال عمر: قد أحببت أن أدخل إليها فأزيدها رغبة في الخير وأحثها على ذلك، فقال: جزاك الله خيراً يا أمير المؤمنين امكث مكانك حتى أرجع إليك، فاستأذن لعمر فلما دخل أمر عمر كل من كان عندها فخرج وبقيت هي وعمر في البيت ليس معهما أحد فكشف عمر عن السيف وقال: لتصدقيني وإلا قتلتك وكان عمر لا يكذب فقالت: على رسلك يا أمير المؤمنين فوالله لأصدقن إن عجوزا كانت تدخل على فاتخذتها أمّا وكانت تقوم في أمري بما تقوم به الوالدة وكنت لها بمنزلة البنت فأمضت بذلك حينًا ثم إنها قالت لي: يا بنية إنه قد عرض لي سفر ولي بنت في موضع أتخوف عليها أن تضيع قد أحببت أن أضمها إليك حتى أرجع من سفري فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد فهيأته كهيئة الجارية وأتتني به لا أشك أنه جارية فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية حتى اعتقلني يومًا وأنا نائمة فما شعرت حتى علاني وخالطني فمددت يدي إلى شفرة فقتلته، فصدقها وقبل منها.

* * *

٢٢١- وما زالت مواقف العدل تتعدد

عن عبد الله بن عمر أن عمر ﷺ قام عام الرمادة وكانت سنة شديدة ملمة بعدما اجتهد في إمداده الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها حتى [ملحت الأرياف

كلها] مما جهدها ذاك فقال عمر يدعو : اللهم ارزقهم على رءوس الحبال فاستجاب الله له وللمسلمين فقال حين نزل الغيث : الحمد لله فوالله لو أن الله تعالى لم يفرجها ما تركت أهل بيت للمسلمين لهم سعة إلا أدخلت عليهم أعدادهم من الفقراء فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم الواحد .

* * *

٢٢٢- الخليفة الراشد

دخل زياد بن أبى زياد على عمر بن عبد العزيز لحاجة وعنده كاتب يكتب فقلت : السلام عليكم، فقال : وعليكم السلام ثم انتهيت وقلت : السلام عليكم يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال : لسنا ننكر الأولى وكان الكاتب يقرأ على عمر المظالم التى جاءت من البصرة فقال لى : اجلس، فجلست على أسكفة الباب وهو يقرأ وعمر يتنفس الصعداء فلما فرغ أخرج من كان فى البيت حتى أخرج وصيفًا (خادمًا) كان فى البيت ثم قام يمشى حتى جلس بين يدى ووضع يده على ركبتى ثم قال : ألا ترى ما وقعت فيه؟ قال : يا أمير المؤمنين إنى لأرجو لك خيراً.

قال : هيهات هيهات هيهات ثم بكى حتى جعلت أرثى له، قلت : يا أمير المؤمنين أقلل من بعض ما تصنع فإنى لأرجو لك خيراً، قال : هيهات هيهات أشتم ولا أشتم وأضرب ولا أضرب وأوذى ولا أوذى ثم بكى حتى جعلت أرثى له .

* * *

٢٢٣- الحسن البصرى وعمر بن عبد العزيز

« إن استقمت استقاموا »

كتب أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى فقهاء العراق أن يأتوه فاعتل الحسن - أصيب بعلة - بفتق فى بطنه وكتب إليه يا أمير المؤمنين إن استقمت استقاموا وإن ملت مالوا يا أمير المؤمنين لو أن لك عمر نوح وسلطان سليمان ويقين إبراهيم وحكمة لقمان ما كان لك بد من أن تقتحم العقبة أو النار من أخطأته هذه دخل هذه، فلما أتاه الكتاب أخذه فوضعه على عينيه ثم بكى ثم قال : كيف لى بعمر نوح ويقين إبراهيم وسلطان سليمان وحكمة لقمان؟ ولو قلت ذلك لم يكن لى بد من أن أشرب بكأس الأولين.

٢٢٤- أحد الرعية وعمر بن عبد العزيز
«ويحك ردد على كلامك»

ذكر رجل مظلمة له على عمر بن عبد العزيز فقال: يا أمير المؤمنين اذكر مقامى هذا فإنه مقام لا يشغل الله عز وجل عنه كثرة من تخاصم إليه من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ولا براءة من الذنب، فقال عمر: ويحك ردد على كلامك، فردده عليه فجعل يبكى وينتحب حتى إذا أفاق قال: ما حاجتك؟ قال: عاملك على أذربيجان ظلمنى وأخذ من مالى عشرة آلاف درهم فكتب يرد ذلك عليه ويعزل عامله وقال: انظروا هل الخلولق له ثوب أو تقطع له من حذاء فحسب ذلك فبلغ عشرين ديناراً فأمر عمر بدفعها إليه.

* * *

٢٢٥- إقامة الحدود

وروى ابن الجوزى عن بعض خدم المعتضد قال: كان المعتضد يومًا نائمًا وقت القائلة ونحن حول سريره فاستيقظ مذعوراً ثم صرخ بنا فجئنا إليه فقال: ويحكم اذهبوا إلى دجلة فأول سفينة تجدونها فارغة مخدرة فأتونى بملاحها واحتفظوا بالسفينة، فذهبنا سراعًا فوجدنا ملاحًا فى سميدية فارغة منحدراً فأتينا به الخليفة فلما رأى الملاح الخليفة فصاح به الخليفة صيحة عظيمة فكادت روح الملاح تخرج.

فقال له الخليفة: ويحك يا ملعون: اصدقنى عن قصتك مع المرأة التى قتلتها اليوم وإلا ضربت عنقك، قال: فتلعثم ثم قال: نعم يا أمير المؤمنين سحراً فى مشرعتى الفلانية نزلت امرأة لم أر مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلى كثير وجوهر فطمعت فيها واحتلت عليها فشددت فاها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها من الحلى والقماش وخشيت أن أرجع به إلى منزلى فيشتهر خبرها فأردت الذهاب به إلى واسط فلقينى هؤلاء الخدم فأخذونى فقال: وأين حليها؟ فقال: فى صدر السفينة تحت البوارى.

فأمر الخليفة عند ذلك بإحضار الحلى فجيء به فإذا هو حلى كثير يساوى أموالاً كثيرة فأمر الخليفة بتغريق الملاح فى المكان الذى غرق فيه المرأة وأمر أن ينادى على أهل المرأة ليحضروا حتى يتسلموا مالها فنادى بذلك ثلاثة أيام فى أسواق بغداد وأزقتها فحضروا بعد

ثلاثة أيام فدفع إليهم ما كان من الحلى وغيره مما كان للمرأة ولم يذهب منه شيء فقال له خدمه: يا أمير المؤمنين من أين علمت هذا؟ قال: رأيت فى نومى تلك الساعة شيخًا أبيض الرأس واللحية والشياب ينادى: يا أحمد يا أحمد خذ أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره عن خبر المرأة التى قتلها اليوم وسلبها فأقم عليه الحد وكان ما شاهدتم.

* * *

٢٢٦- بلا عتاب

وقال جعيف السمرقندى الحاجب: كنت مع مولاى المعتضد فى بعض متصيداته وقد انقطع عن العسكر وليس معه غيرى إذ خرج علينا أسد فقصد قصدنا فقال لى المعتضد: يا جعيف أفيك خير اليوم؟ قلت: لا والله، قال: ولا أن تمسك فرسى وأنزل أنا؟ فقلت: بلى، قال: فنزل عن فرسه وغرز أطراف ثيابه فى منطقته واستل سيفه ورمى بقرابه إلى ثم تقدم إلى الأسد فوثب الأسد عليه فضربه بالسيف فأطار يده فاشتغل الأسد بيده فضربه ثانية على هامته ففلقها فخر الأسد صريعًا فدنا منه فمسح سيفه فى صوفه ثم أقبل إلى فأعمد سيفه فى قرابه ثم ركب فرسه فذهبنا إلى العسكر قال: وصحبته إلى أن مات فما سمعته ذكر ذلك لأحد فما أدرى من أى شيء أعجب؟ من شجاعته أم من عدم احتفاله بذلك حيث لم يذكره لأحد؟ أم من عدم عتبه على حيث ضننت بنفسى عنه؟ والله ما عاتبنى فى ذلك قط.

* * *

٢٢٧- النهى عن المنكر

روى ابن عساكر عن أبى الحسين الثورى أنه اجتاز بزورق فيه خمر مع ملاح فقال: ما هذا ولمن هذا؟ فقال له: هذه خمر للمعتضد، فصعد أبو الحسن إليها فجعل يضرب الدنان بعمود فى يده حتى كسرها كلها إلا دنًا واحد تركه واستغاث الملاح فجاءت الشرطة فأخذوا أبا الحسين فأوقفوه بين يدى المعتضد فقال له: من أنت؟ فقال: أنا المحتسب، فقال: ومن ولاك الحسبة؟ فقال: الذى ولاك الخلافة يا أمير المؤمنين، فأطرق رأسه ثم رفعها.

فقال: ما الذى حملك على ما فعلت؟ فقال: شفقة عليك لدفع الضرر عنك، فأطرق رأسه ثم رفعه فقال: ولأى شيء تركت منها دنًا واحداً لم تكسره؟ فقال: لأنى إنما أقدمت

عليها فكسرتها إجلالاً لله تعالى فلم أبال أحداً حتى انتهيت إلى هذا الدن دخل نفسى إعجابًا من قبيل أنى قد أقدمت على مثلك فتركته، فقال له المعتضد: اذهب فقد أطلقت يدك فغير ما أحببت أن تغيره من المنكر، فقال له الثورى: الآن انتقص عزمى عن التغيير، فقال: ولم؟ فقال: لأنى كنت أغير عن الله وأنا الآن أغير عن شرطى، فقال: اسأل حاجتك، فقال: أحب أن تخرجنى من بين يديك سالمًا، فأمر به فأخرج فصار إلى البصرة فأقام بها مختفيًا خشية أن يشق عليه أحد فى حاجة عند المعتضد فلما توفى المعتضد رجع إلى بغداد.

* * *

٢٢٨- يغير المنكر عن طريق الأذان

وذكر القاضى أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى عن شيخ من التجار قال: كان لى على بعض الأمراء مال كثير فماطلنى ومنعنى حقى وجعل كلما جئت أطالبه حجبنى عنه ويأمر غلمانه يؤذوننى فاشتكيت إليه الوزير فلم يفد ذلك شيئًا وإلى أولياء الأمر من الدولة فلم يقطعوا منه شيئًا وما زاده ذلك إلا منعًا وجحودًا فأيست من المال الذى عليه ودخلنى هم من جهته فبينما أنا كذلك وأنا حائر إلى من أشتكى إذ قال لى رجل: ألا تأتى فلانًا الخياط إمام مسجد هناك؟ فقلت: وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه؟!.

فقال لى: هو أقطع وأخوف عنده من جميع من اشتكيت إليه فاذهب إليه لعلك أن تجد عنده فرجًا، قال: فقصدته غير محتفل فى أمره فذكرت له حاجتى وما لى وما لقيت من هذا الظالم فقام معى فحين عاينه [رآه] الأمير قام إليه وأكرمه واحترمه وبادر إلى قضاء حقى الذى عليه فأعطانيه كاملاً من غير أن يكون منه إلى الأمير كبير أمر غير أنه قال له: ادفع إلى هذا الرجل حقه وإلا أذنت، فتغير لون الأمير ودفع إلى حقى.

قال التاجر: وتعجبت كيف انطاع ذلك الأمير له ثم إنى عرضت عليه شيئًا من المال فلم يقبل منى شيئًا، وقال: لو أردت هذا لكان لى من الأمور ما لا يحصى، فسألته عن خبره وذكرت له تعجبى منه وألححت عليه، فقال: إن سبب ذلك أنه كان عندنا فى جوارنا أمير تركى من أعالى الدولة وهو شاب حسن فمرت به ذات يوم امرأة حسناء قد خرجت من الحمام وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة فقام إليها وهو سكران فتعلق بما يريده على نفسها

ليدخلها منزله وهى تأبى عليه وتصيح بأعلى صوتها: يا مسلمون أنا امرأة ذات زوج وهذا رجل يريدنى على نفسى ويدخلنى منزله ومتى بقيت ها هنا طلقت منه ولحقنى بسبب ذلك عار لا تدحضه الأيام ولا تعضله المدامع، قال الخياط: فقمت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضربنى بدبوس فى يده فشج رأسى وصليت بالناس العشاء ثم قلت للجماعة: إن هذا قد فعل ما قد علمتم فقوموا معى إليه لننكر عليه ونخلص المرأة منه، فقام الناس معى فهجمنا على داره فثار إلينا جماعة من غلمانه بأيديهم العصى فضربنى ضربًا شديداً مبرحًا حتى أدمانى وأخرجنا من منزله ونحن فى غاية الإهانة فرجعت إلى منزلى وأنا لا أهتدى إلى الطريق من شدة الوجع وكثرة الدماء، فنمت على فراشى فلم يأخذنى نوم وتحيرت ماذا أصنع حتى أنقذ المرأة من يده فى الليل لترجع فتبيت فى منزلها حتى لا يقع على زوجها الطلاق؟ فألهمت أن أؤذن الصبح فى أثناء الليل لكى يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله فتذهب إلى بيت زوجها فصعدت المنارة وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتى قبل الأذان هل أرى المرأة قد خرجت ثم أذنت فلم تخرج ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة حتى يتحقق الصباح.

فبينا أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا؟ إذ امتلأت الطريق فرسانًا ورجالة وهم يقولون: أين الذى أذن هذه الساعة؟ فقلت: هأنذا وأنا أريد أن يعينونى عليه، فقالوا: انزل فنزلت فقالوا: أجب أمير المؤمنين فأخذونى وذهبوا بى لا أملك من نفسى شيئًا حتى أدخلونى عليه فلما رأيته جالسًا فى مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعًا شديداً فقال: ادن فدنوت فقال لى: ليسكن روعك وليهدأ قلبك وما زال يلاطفنى حتى اطمأننت وذهب خوفى فقال: أنت الذى أذنت هذه الساعة؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: ما حملك على أن أذنت هذه الساعة وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه فتغر بذلك الصائم والمسافر والمصلى وغيرهم.

فقلت: يؤمننى أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبرى؟ فقال: أنت آمن، فذكرت له القصة، قال: فغضب غضبًا شديداً وأمر بإحضار ذلك الأمير والمرأة من ساعة على أى حالة كانا فأحضرا سريعًا فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة ثقات ومعهن ثقة من جهته أيضًا وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها والإحسان إليها فإنها مكرهة ومعذورة.

ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال له: كم لك من الرزق؟ وكم عندك من المال؟ وكم عندك من الجوارى والزوجات؟ فذكر له شيئًا كثيراً، فقال له: ويحك أما كفاك ما أنعم

الله به عليك حتى انتهكت حرمة الله وتعديت حدوده وتجرأت على السلطان وما كفاك ذلك أيضًا حتى عمدت إلى رجل أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر فضربته وأهنته وأذيته؟ فلم يكن له جواب فأمر به فجعل فى رجله قيد وفى عنقه غل ثم أمر به فأدخل فى جوالق ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضربًا شديداً حتى خفت ثم أمر به فألقى فى دجلة فكان ذلك آخر العهد به ثم أمر بدراً صاحب الشرطة أن يحتاط على ما فى داره من الحواصل والأموال التى كان يتناولها من بيت المال.

ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكرًا صغيرًا كان أو كبيرًا ولو على هذا - وأشار إلى صاحب الشرطة - فأعلمنى فإن اتفق اجتماعك بى وإلا فعلى ما بينى وبينك من الأذان فأذن فى أى وقت كان أو فى مثل وقتك هذا، قال: فلهذا لا آمر أحداً من هؤلاء الدولة بشىء إلا امتثلوه ولا أنهاهم عن شىء إلا تركوه خوفًا من المعتضد وما احتجت أن أؤذن فى مثل ذلك الساعة إلا الآن.

* * *

٢٢٩- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

كان الملك محمود بن سبكتكين من الملوك العادلين والحكام الصالحين يقيمون الحدود وينفذون العهود ولا يخلفون الوعود ومما يدل على دينه وصلاحه وتقواه أنه فى ذات يوم من الأيام اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه فى داره وعلى أهله فى كل وقت فيخرجه من البيت ويختلى بامرأته وقد حار فى أمره وكلما اشتكاه لأحد من أولى الأمر لا يجسر أحد عليه خوفًا وهيبة للملك فلما سمع الملك ذلك غضب غضبًا شديداً وقال للرجل: ويحك متى جاءك فائتنى فأعلمنى ولا تسمعن من أحد منعك من الوصول إلى ولو جاءك فى الليل فائتنى فأعلمنى ثم إن الملك تقدم إلى الحجبة وقال لهم: إن هذا الرجل متى جاءنى لا يمنعه أحد من الوصول إلى من ليل أو نهار، فخرج الرجل مسروراً داعيًا فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختلى بأهله فذهب باكيًا إلى دار الملك فقيل له: إن الملك نائم.

فقال: قد تقدم إليكم أن لا أمنع منه ليلاً أو نهاراً فنبهوا الملك فخرج معه بنفسه وليس معه أحد حتى جاء إلى منزل الرجل فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة فى فراش واحد وعندهما شمعة تقيد فتقدم الملك فأطفأ الضوء ثم جاء فاحتز رأس الغلام وقال للرجل:

ويحك ألحقنى بشربة ماء فأتاه بها وشرب ثم انطلق الملك ليذهب فقال له الرجل: بالله لم أطفأت الشمعة؟ قال: ويحك إنه ابن أختى وإنى كرهت أن أشاهده حالة الذبح، فقال: ولم طلبت الماء سريعًا؟ فقال الملك: إنى آليت على نفسى منذ خبرتنى أن لا أطعم طعامًا حتى كان ما كان مما رأيت، فدعا له الرجل فانصرف الملك راجعًا إلى منزله وقد اعتراه سوء المزاج ومعه انطلاق البطن سنتين فكان فيهما لا يضطجع على فراش ولا يتكئ على شيء لقوة بأسه وسوء مزاجه وظل يفصل على عادته بين الناس حتى مات.

* * *

٢٣٠- أمدينة الرسول أم مدينة فرعون؟!

حكى عن عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الأصم قال: دخلت مع حاتم إلى الرى ومعنا ثلاثمائة وعشرون رجلاً يريدون الحج وعليهم الزرمانقات ولسس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم: ألك حاجة فإنى أريد أن أعود فقيهًا لنا هو عليل؟ قال حاتم: عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك.

وكان العليل محمد بن مقاتل - قاضى الرى - فلما جئنا إلى الباب فإذا قصر مشرف حسن فبقى حاتم متفكرًا يقول: باب عالم على هذه الحالة؟ ثم أذن لهم فدخلوا فإذا دار حسناء فوراء واسعة نزهة وإذا بزة وستور فبقى حاتم متفكرًا ثم دخلوا إلى المجلس الذى هو فيه وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليه وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ إليه ابن مقاتل أن أجلس، فقال: لا أجلس، فقال: لعل لك حاجة؟ فقال: نعم، قال: وما هى؟ مسألة أسألك عنها، قال: سل، قال: قم فاستو جالسًا حتى أسألك، فاستوى جالسًا قال حاتم: علمك هذا من أين أخذته؟ فقال: من الثقات حدثونى به، قال: عمن؟ قال عن أصحاب رسول الله عن جبريل عن الله عز وجل، قال حاتم: ففيما أداه جبرائيل عن الله عز وجل إلى رسول الله وأداه رسول الله إلى أصحابه إلى الثقات وأداه الثقات إليك هل سمعت فيه من كان فى داره إشراق وكانت سعتها أكثر كان له عند الله المنزلة أكبر؟ قال: لا، قال: فكيف سمعت؟ قال: سمعت أنه من زهد الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة الكبرى، قال له حاتم: فأنت بمن اقتديت بالنبى وأصحابه والصالحين أم بفرعون ونمروذ أول من بنى

بالجص والآجر؟ يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول: العالم على هذه الحالة فلا أكون أنا شرًا منه، وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضاً وبلغ أهل الرى ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له: إن الطنافسى بقزوين أكثر توسعًا منه، فسار حاتم متعمداً فدخل عليه فقال: رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمنى مبتدأ دينى ومفتاح صلاتى كيف أتوضأ للصلاة؟ قال: نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فأتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثًا ثلاثًا ثم قال: هكذا فتوضأ، فقال حاتم: مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوقع لما أريد، فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعًا أربعًا ثم قال الطنافسى: يا هذا أسرفت، قال له حاتم: فى ماذا؟ قال: غسلت ذراعيك أربعًا، فقال حاتم: يا سبحان الله العظيم أنا فى كف من ماء أسرفت وأنت فى جميع ذلك كله لم تسرف؟ فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعليم فدخل منزله لم يخرج إلى الناس أربعين يوماً.

فلما دخل حاتم بغداد اجتمع عليه أهل بغداد فقالوا: يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ولكن أعجمى وليس يكلمك أحد إلا قطعته، قال: معى ثلاث خصال أظهر بهن على خصمى: أفرح إذا أصاب خصمى وأحزن إذا أخطأ وأحفظ نفسى أن لا أجهل عليه، فبلغ ذلك الإمام أحمد بن حنبل فقال: سبحان الله ما أعقله قوموا بنا إليه، فلما دخلوا عليه قال له: يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا؟ قال: يا عبد الله لا تسلم من الدنيا متى يكون معك أربع خصال: تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيأك وتكون من شيئهم أيسًا فإذا كنت هكذا سلمت، ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال: يا قوم أية مدينة هذه؟ قالوا: مدينة رسول الله، قال: فأين قصر رسول الله حتى أصلى فيه؟ قالوا: ما كان له قصر إنما كان بيت لاطئ بالأرض، قال: فأين قصور أصحابه؟ قالوا: ما كان لهم قصور، فأخذ يتلفت ويقول: هذه مدينة فرعون، فأخذوه وذهبوا به إلى السلطان وقالوا: هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون، قال الوالى: ولماذا ذلك؟ قال حاتم: لا تعجل على أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت: مدينة من هذه؟ فقالوا: مدينة رسول الله، فقلت: فأين قصره؟ وقص القصة ثم قال: وقد قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ (الأحزاب: ٢١) فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر؟ فخلوا عنه وتركوه، فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى.

* * *

٢٣١- تغيير المنكر

وروى عن حبان بن عبد الله قال: تنزه هارون الرشيد ومعه رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن أبى جعفر فقال له هارون: قد كانت لك جارية تغنى فتحسن فجئنا بها، قال: فجاءت فغنت فلم يحمد أبو جعفر غناءها فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: ليس هذا عودى، فقال للخادم: جئنا بعودها، قال: فانطلق فوافق شيخًا يلقط النوى فقال: الطريق يا شيخ، فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فأخذه من الخادم فضرب به الأرض فأخذه الخادم وذهب به إلى صاحب الربع فقال: احتفظ بهذا فإنه طلبة أمير المؤمنين، فقال له صاحب الربع: ليس فى بغداد أعبد من هذا فكيف يكون طلبة أمير المؤمنين؟! فقال له: اسمع ما أقول لك.

ثم دخل على هارون فقال: إنى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فأخذه فضرب به الأرض فكسره فاستشاط هارون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن أبى جعفر: ما هذا الغضب يا أمير المؤمنين ابعث إلى صاحب الربع يضرب عنقه به ويرمى به فى الدجلة، فقال: لا ولكن نبعث إليه ونناظره أولاً فجاء الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين فقال: نعم، قال: اركب، قال: لا فجاء يمشى حتى وقف على باب فقيل لهارون: قد جاء الشيخ.

فقال للندماء: أى شيء ترون؟ نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ أو نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر؟ فقالوا له: نقوم إلى مجلس آخر ليس فيه منكر أصلح، فقاموا إلى مجلس ليس فيه منكر ثم أمر بالشيخ فأدخل وفى كمه الكيس الذى فيه النوى فقال الخادم: أخرج هذا من كمك وادخل على أمير المؤمنين، فقال: من هذا عشائى الليلة قال: نحن نعشيك، قال: لا حاجة لى فى عشائكم.

فقال هارون للخادم: أى شيء تريد منى؟ قال: فى كمه نوى قلت له اطرحه وادخل على أمير المؤمنين فقال: دعه لا يطرحه قال فدخل وسلم وجلس فقال له هارون: يا شيخ ما حملك على ما صنعت؟ قال: وأى شيء صنعت؟ وجعل هارون يستحى أن يقول كسرت عودى؟ فلما أكثر عليه قال: إنى سمعت آباءك وأجدادك يقرءون هذه الآية على المنبر: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ (النحل: ٩٠) وأنا رأيت منكرًا فغيرته، فقال: فغيره فوالله ما قال إلا هذا فلما خرج أعطى

الخليفة رجلاً بدرة وقال اتبع الشيخ فإن رأيته يقول قلت لأمير المؤمنين وقال لى لا تعطه شيئًا، وإن رأيته لا يكلم أحداً فقل له: يقول لك أمير المؤمنين خذ هذه البدرة، فقال: قل لأمير المؤمنين يردها من حيث أخذها، ويروى أنه أقبل بعد فراغه من كلامه على النواة التى يعالج قلعها من الأرض يقول:

* أرى الدنيـا لمن هى فى يديه *
* همـومًا كلمـا كـثـرت لديه *
* تهين المكرمين لها بصغير *
* وتكرم كل من هانت عليـه *
* إذا استغنيت عن شىء فدعه *
* وخذ ما أنت محتاج إليه *

* * *

٢٣٢- زاهـــــد

أتت عمة عمر بن عبد العزيز إلى امرأته فاطمة، فقالت: إنى أريد كلام أمير المؤمنين.

قالت لها: اجلسى حتى يفرغ، فجلست، فإذا بغلام قد أتى، فأخذ سراجًا.

فقالت لها فاطمة: إن كنت تريدينه فالآن، إذا كان فى حوائج العامة كتب على الشمع، وإذا صار إلى حاجة نفسه دعا بسراجه، فقامت، فدخلت عليه، فإذا بين يديه أقراص وشىء من ملح وزيت وهو يتعشى، فقالت: يا أمير المؤمنين، أتيت بحاجة لى - ثم رأيت أن أبدأ بك قبل حاجتى.

وقال: «وما ذاك يا عمة»؟.

قالت: لو اتخذت لك طعامًا ألين من هذا.

قال: «ليس عندى يا عمة، ولو كان عندك لفعلت».

قالت: يا أمير المؤمنين، كان عمك عبد الملك يجرى على كذا وكذا، ثم كان أخوك الوليد فزادنى، ثم وليت أنت فقطعته عنى.

قال: «يا عمة، إن عمى عبد الملك، وأخى الوليد، وأخى سليمان كانوا يعطونك من مال المسلمين، وليس ذاك مال لى فأعطيكيه، ولكنى أعطيك من مالى إن شئت».

قالت: وما ذاك، يا أمير المؤمنين؟.

قال: «عطائى مائتا دينار، فهل لك؟».

قالت: وما يبلغ منى عطاؤك؟

قال: «فليس أملك غيره يا عمة».

قالت: فانصرفت عنه.

(سيرة عمر بن عبد العزيز، لابن عبد الحكم - ص: ٦٣ - ٦٤).

* * *

٢٣٣ - أترى الله يعطيك وينسانى؟

خرج الرشيد إلى الحج فلما كان بظاهر الكوفة، إذا أبصر بهلولاً المجنون على قصبة، وخلفه الصبيان وهو يعدو، فقال: من هذا؟ فقيل له: لهلول المجنون، فقال: كنت أشتهى أن أراه، فادعوه من غير ترويع، فذهبوا إليه وقالوا: أجب أمير المؤمنين، فلم يجب، فذهب إليه الرشيد، وقال: السلام عليك يا بهلول، فقال: عليك السلام يا أمير المؤمنين، فقال: دعوتك لاشتياقى إليك، فقال بهلول: لكنى لم أشتق إليك، فقال الرشيد: عظنى يا بهلول، فقال: وبم أعظك؟ هذى قصورهم وهذى قبورهم!

فقال الرشيد: زدنى فقد أحسنت! فقال: يا أمير المؤمنين، من رزقه الله مالاً وجمالاً، فعف فى جماله، وواسى فى ماله، كتب فى ديوان الأبرار، فظن الرشيد أنه يريد شيئًا؛ فقال: قد أمرنا لك أن تقضى دينك، فقال: لا يا أمير المؤمنين، لا يقضى الدين بدين، اردد الحق على أهله، واقض دين نفسك من نفسك، قال: فإنا أمرنا أن يجرى عليك، فقال: يا أمير المؤمنين، أترى الله يعطيك وينسانى؟ ثم ولى هاربًا.

(«عقلاء المجانين» النيسابورى - ٦٩)

* * *

٢٣٤ - لا يجمع الله لعبد أمنين ولا خوفين

قال مالك بن دينار: رأيت الحسن البصرى فى منامى بعد أن مات، مسروراً شديد البياض.

فقلت له: ألست من الموتى؟

فقال لى: بلى.

فقلت: ماذا صرت بعد الموت؟ فلعمرى لقد طال حزنك فى الدنيا.

فقال الحسن: رفع الله لنا ذلك الحزن علم الهداية إلى منازل الأبرار فحللنا بثوابه مساكن المتقين، وهذا فضل الله علينا ورحمته.

قلت: فماذا تأمرونى به يا أبا سعيد؟

فقال الحسن: اعلم أن أطول الناس حزنًا فى الدنيا، أطولهم فرحًا فى الآخرة، وهذا تصديق لقول رسول الله ﷺ: «لا يجمع الله لعبد أمنين ولا خوفين» إذا خاف فى الدنيا أمنه فى الآخرة، وإذا أمنه فى الدنيا أخافه فى الآخرة.

* * *

٢٣٥- زراعة همة

من عجيب النماذج الناجحة فى زراعة الهمة العالية فى الأطفال ما يقال من أن الشيخ شمس الدين الذى تولى تربية السلطان محمد الفاتح العثمانى - رحمه الله - كان يأخذ بيده، ويمر به على الساحل ويشير إلى أسوار القسطنطينة التى تلوح من بعد شاهقة حصينة، ثم يقول له: أترى إلى هذه المدينة التى تلوح فى الأفق إنها القسطنطينية، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن رجلاً من أمته سيفتحها بجيشه، ويضمها إلى أمة التوحيد، وما زال يكرر هذه الإشارة على مسمع الأمير الصبى إلى أن نمت شجرة الهمة فى نفسه العبقرية، وترعرعت فى قلبه، فعقد العزم على أن يجتهد ليكون هو ذلك الفاتح الذى بشر به الصادق المصدوق ﷺ، وقد كان، فقد كان والده السلطان مراد الثانى - منذ صغره - يستصحبه معه بين حين وآخر إلى بعض المعارك، ليعتاد مشاهدة الحرب والطعان، ومناظر الجنود فى تحركاتهم واستعداداتهم ونزالهم، وليتعلم قيادة الجيش وفنون القتال عمليًا، حتى إذا ما ولى السلطنة، وخاض غمار المعارك خاضها عن دراية وخبرة، ولما جاء اليوم الموعود شرع السلطان «محمد الفاتح» فى مفاوضة الإمبراطور قسطنطين ليلمه القسطنطينية، فلما بلغه رفض الإمبراطور تسليم المدينة، قال رحمه الله:

«حسنًا عن قريب سيكون لى فى القسطنطينية عرش أو يكون لى فيها قبر».

وحاصر السلطان «محمد الفاتح» - أنعم به من فاتح - القسطنطينية واحدًا وخمسين يومًا، تعددت خلالها المعارك العنيفة، وبعدها سقطت المدينة الحصينة التى استعصت على الفاتحين قبله، على يد بطل شاب، له من العمر ثلاث وعشرون سنة، وحقق هذا

الفاتح البطل للمسلمين أملاً غاليًا ظل يراودهم ثمانية قرون، حاولوا تحقيقه مرارًا فلم يفلحوا، وكأن القدر كان قد ادخر فى هذا الشرف لهذا البطل المغوار.

(«علو الهمة» محمد إسماعيل المقدم)

* * *

٢٣٦- ذكاء الشافعى

عن الربيع بن سليمان قال: كان الشافعى يومًا جالسًا بين يدى مالك بن أنس، فجاء رجل، فقال لمالك: إنى رجل أبيع القمرى، وإنى بعت فى يومى هذا قمريا، فرده على، فقال: إن قمريك لا يصيح، فحلفت له بالطلاق أن قمريى لا يهدأ من الصياح.

فقال له مالك: طلقت امرأتك، ولا سبيل لك عليها.

وكان الشافعى يومئذ ابن أربع عشرة سنة، فقال لذلك الرجل: أيهما أكثر، صياح قمريك أم سكوته؟

فقال: صياحه.

فقال: أمسك، ولا شىء عليك.

قال: فزجره مالك، وقال: يا غلام، من أين لك هذا؟

فقال: لأنك حدثتنى عن الزهرى، عن أبى سلمة بن عبد الرحمن، عن أم سلمة، أن فاطمة بنت قيس قالت: يا رسول الله، إن أبا جهم ومعاوية خطبا لى.

فقال: «أما معاوية فصعلوك، وأما أبو جهم فرجل لا يذر سوطه عن عاتقه».

وقد كان أبو جهم يأكل وينام، ويدع عصاه فى بعض أحواله إلا أنه قال: «لا يضع عصاه» وأراد به أبلغ أحواله، والعرب تجعل أكثر الفعلين لمداومته، فلما كان صياح قمرى هذا أكثر من سكوته جعلته فى صياحه دائمًا.

فتعجب مالك من احتجاجه.

(«طبقات الشافعية» للإمام السبكى - ٥ / ١٤٧)

* * *

٢٣٧- يا رفيق ارفق بنا

قال حماد بن سلمة: «ألح المطر علينا سنة من السنين، وفى جوارى امرأة من المتعبدات، لها بنات أيتام، فوكف السقف عليهن، فسمعتها تقول: يا رفيق! ارفق بى،

فسكن المطر، فأخذت صرة فيها عشرة دنانير وقرعت بابها، فقالت: اجعله حماد بن سلمة، فقلت: أنا حماد، سمعتك وقد تأذيت بالمطر فقلت: يا رفيق ارفق بنا، فما بلغ من رفقه؟ قالت: سكن المطر، وأدفأ الصبيان، وجف البيت، قال: فأخرجت الدنانير، وقلت: أنتفعي بها، فخرجت صبية عليها مدرعة من صفوف تستبين خروقها، وقالت: ألا تسكت يا حماد، تفترض بيننا وبين ربنا مولانا؟ ثم قالت: يا أمه! قد علمنا أنا لما شكونا مولانا أنه سيبعث إلينا بالدنيا ليطردنا عن باباه، ثم ألصقت خدها بالتراب، ثم قالت: أما أنا! وعزتك لا زايلت بابك وإن طردتني.

ثم قالت: يا حماد رد عافاك الله دنانيرك إلى الموضع الذى أخرجتها منه فإنا رفعنا حوائجنا إلى من يقبل الودائع ولا يبخس المعاملين.

(«صفة الصفوة» لابن الجوزى)

* * *

٢٣٨- توبة جار لأحمد بن حنبل

قال جعفر الصائغ: كان فى جيران أبى عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل رجل ممن يمارس المعاصى والقاذورات، فجاء يومًا إلى مجلس أحمد يسلم عليه، فكان أحمد لم يرد عليه ردًا تامًا وانقبض منه، فقال له: يا أبا عبد الله لم تنقبض منى؟ فإنى قد انتقلت عما كنت تعهدنى برؤيا رأيتها، قال: وأى شىء رأيت؟ قال: رأيت النبى ﷺ فى النوم كأنه على علو من الأرض وناس كثير أسفل جلوس، قال: فيقوم رجل منهم إليه، فيقول: ادع لى فيدعو له، حتى لم يبق من القوم غيرى، قال: فأردت أن أقوم فاستحييت من قبيح ما كنت عليه، قالت لى: يا فلان لم لا تقوم إلى فتسألنى أدع لك؟ قال: قلت: يا رسول الله يقطعنى الحياء، لقبيح ما أنا عليه، فقال: إن كان يقطعك الحياء فقم، فسلنى أدع لك، فإنك لا تسب أحداً من أصحابى، قال: فقمت فدعا لى فانتبهت وقد بغض الله إلى ما كنت عليه، قال: فقال لنا أبو عبد الله: يا جعفر يا فلان حدثوا بهذا واحفظوه فإنه ينفع.

(«كتاب التوابين» لابن قدامة)

* * *

٢٣٩- أصحاب الغار

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رجل منهم: اللهم كان لى أبوان، شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فأبى بى طلب الشجر، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما، وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت - والقدح على يدى - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، والصبية يتضاغون عند قدمى، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، الهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج منه، قال الآخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عم، كانت أحب الناس إلى - وفى رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء - فأردتها على نفسها فامتنعت حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار؛ على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها - وفى رواية: فلما قعدت بين رجليها - قالت: اتق الله، ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى، وتركت الذهب الذى أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، وقال الثالث: اللهم استأجرت أجراء، وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد، ترك الذى له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءنى بعد حين، فقال: يا عبد الله! أد إلى أجرى، فقلت: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق!! فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بى! فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون».

(الحديث متفق عليه)

* * *

٢٤٠- يأمر بقتل مائة وخمسين رجلاً

جاء في كتاب (العقائق النعمانية لعلماء الدولة العثمانية) أن السلطان سليم خان أمر بقتل مائة وخمسين رجلاً من حفاظ الخزائن، فتنبه لذلك المفتى العالم : (علاء الدين على ابن أحمد المفتى) فذهب إلى الديوان العالى، ولم يكن من عادتهم أن يذهب المفتى إلى الديوان العالى إلا لحادث عظيم، فتحير أهل الديوان، ولما دخل الديوان سلم على الوزراء، فاستقبلوه وأجلسوه فى صدر المجلس، ثم قالوا له : أى شيء دعا المولى إلى المجيء إلى الديوان العالى؟

فقال : أريد أن أدخل على السلطان ولى معه كلام، فعرضوه على السلطان خان، فأذن له وحده، فدخل وسلم عليه وجلس، ثم قال : وظيفة أرباب الفتوى أن يحافظوا على آخرة السلطان، وقد سمعت أنك أمرت بقتل مائة وخمسين رجلاً لا يجوز قتلهم شرعًا، فعليك بالعفو عنهم، فغضب السلطان وكان صاحب حدة، وفقال : إنك تتعرض لأمر السلطنة وليس ذلك من وظيفتك، قال : لا، بل أتعرض لأمر آخرتك وإنه من وظيفتى، فإن عفوت فلك النجاة، وإلا عليك عقاب عظيم، فانكسرت عند ذلك ثورة غضبه، وعفا عن الكل، ثم تحدث معه ساعة، ولما أراد أن يقوم، قال له : تكلمت فى آخرتك، وبقى لى كلام يتعلق بالمروءة، قال السلطان : وما هو؟

قال : إن هؤلاء من عبيد السلطان فهل يليق بعبيد السلطنة أن يتكففوا الناس؟

قال : لا، فقررهم فى مناصبهم، فقبله السلطان، وقال : إلا أنى أعزرهم لتقصيرهم فى خدمتهم، قال : هذا جائز، لأن التعزير مفوض إلى السلطان، ثم سلم عليه وانصرف وهو مشكور.

(«تربية الأولاد فى الإسلام» عبد الله ناصح علوان ـ ١ / ٤٧٩)

* * *

٢٤١- ماشطة ابنة فرعون

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لما كانت الليلة التى أسرى بى فيها، وجدت رائحة طيبة فقلت : ما هذه الرائحة الطيبة يا جبريل؟ قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها؟

فقلت: ما شأنها؟

قال: بينا هى تمشط بنت فرعون، إذ سقط المشط من يدها، فقالت: باسم الله، فقالت بنت فرعون: أبى! فقالت: لا ولكن ربى وربك، ورب أبيك، الله.

قالت: وإن لك ربًا غير أبى؟ قالت: نعم، قالت: فأعلمه بذلك؟

قالت: نعم، فأعلمته، فدعا بها، فقال: يا فلانة ألك رب غيرى؟

قالت: نعم ربى وربك الله.

فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أخذ بأولادها يلقون فيها واحداً، واحداً.

فقالت: إن لى إليك حاجة؟

قال: وما هى؟

قالت: أحب أن يجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد فتدفن جميعًا.

قال: وذلك لك علينا.

فلم يزل أولادها يلقون فى البقرة حتى انتهى إلى ابن لها رضيع، فكأنها تقاعست من أجله، فقال لها: يا أماه! اقتحمى، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة».

(الحديث أخرجه أحمد ـ ٣/ ٣٠٩، وابن حبان ـ ٢٨٩٢)

* * *

٢٤٢- صلاح النفس

ذهب رجل إلى إبراهيم بن أدهم وقد كان من أطباء القلوب، وقال له: إنى مسرف على نفسى فاعرض علىَّ ما يكون زاجراً لها، فقال له إبراهيم: إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاة، فقال الرجل: وكان متشوقًا لسماع موعظته: هات ما عندك يا إبراهيم.

فقال: الأولى إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل شيئًا من رزقه، فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً: كيف تقول ذلك يا إبراهيم والأرزاق كلها من عند الله.

فقال: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه، قال: لا، يا إبراهيم هات الثانية.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده، فتعجب الرجل أكثر من تعجبه السابق ثم قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والبلاد كلها ملك الله، فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه قال: لا، يا إبراهيم هات الثالثة.

فقال إبراهيم: إذا أردت أن تعصى الله فانظر مكانًا لا يراك فيه، فاعصه فيه قال: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ وهو أعلم بالسرائر (يعلم السر وأخفى) وسمع دبيب النملة على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فقال له إبراهيم: إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه، قال: لا، يا إبراهيم هات الرابعة.

فقال إبراهيم: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له: أخرنى إلى أجل معدود، فقال الرجل: كيف تقول ذلك يا إبراهيم؟ والله تعالى يقول: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ (الأعراف: ٣٤) فقال له: إذا كنت تعلم ذلك فكيف ترجو النجاة، قال: نعم، هات الخامسة يا إبراهيم فقال: إذا جاءك الزبانية وهم ملائكة جهنم ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم، فلما كان الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكيًا: كفى يا إبراهيم أنا أستغفر الله وأتوب إليه ولزم العبادة حتى فارق الحياة..

(«زاد المتقين» الحازمى)

* * *

٢٤٣- سفيان الثورى... وماء زمزم

يروى عن عبد الرحمن بن أبى عباد المكى أنه قال: قدم علينا شيخ يكنى بأبى عبد الله، قال: أقبلت في السحر إلى بئر زمزم، وإذا بشيخ قد سدل ثوبه على وجهه وأتى البئر واستقى، قال: فقمت إلى فضلته، فشربت منها، فإذا هو ماء مضروب بعسل، لم أذق ماء قط أطيب منه، فالتفت وإذا بالشيخ قد ذهب فلما كان من السحر في الليلة الثانية أتيت البئر وإذا بالشيخ دخل من باب المسجد قد سدل ثوبه على وجهه، فأتى البئر واستقى، فشرب وخرج، فقمت إلى فضلته فإذا هو سويق ألذ ما يكون، فلما كان في الليلة الثالثة، أتى البئر أيضًا واستقى.

فأخذت طرق محلفته، ولففته على يدى، ثم شربت فضلته، فإذا هو لبن مضروب بسكر لم أذق قط أطيب منه.

فقلت: يا شيخ، بحق هذا البيت عليك من أنت؟

قال: تكتم علىَّ.

قلت: نعم.

قال: أنا سفيان الثورى. («بحر الدموع» ص-١٠٧).

* * *

٢٤٤- جارية خالد الوراق

قال خالد الوراق: كانت لى جارية شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يومًا فأخبرتها برفق الله، وقبوله يسير العمل، فبكت، ثم قالت: يا خالد! إنى لأؤمل من الله تعالى آمالاً لو حملتها الجبال أشفقت من حملها، كما ضعفت عن حمل الأمانة، وإنى لأعلم أن كرم الله مستغاث لكل مذنب، ولكن كيف لى بحسرة السباق؟

قال: قلت: وما حسرة السباق؟ قالت: غداة الحشر، إذا بعثر ما فى القبور، وركب الأبرار نجائب الأعمال، فاستبقوا إلى الصراط، وعزة سيدى!

لا يسبق مقصر مجتهداً أبدًا، ولو حبا المجد حبوًا، أم كيف لى بموت الحزن والكمد إذا رأيت القوم يتراكضون، وقد رفعت أعلام المحبين، وجاز الصراط المشتاقون، ووصل إلى الله المحبون، وخلفت مع المسيئين المذنبين؟؟ ثم بكت.

(صفة الصفوة، لابن الجوزى)

* * *

٢٤٥- الربيع بن خيثم... ونار الحداد

قال بكر بن ماعز: خرجنا مع عبد الله بن مسعود ﷺ ومعنا الربيع فمررنا على حداد، فقام عبد الله فنظر إلى حديدة فى النار فنظر الربيع إليها فتمايل ليسقط، فمضى عبد الله حتى أتينا على أتون بعض الحدادين على شاطئ الفرات، فلما رآه عبد الله تلهب النار فى وجهه قرأ هذه الآية: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان: ١٢).

فصعق الربيع وخر مغشيًا عليه، فحمله ابن مسعود إلى داره ورابطه إلى وقت الظهر فلم يفق، ثم صلى بالناس فرجع إليه وقال: يا ربيع يا ربيع، فلم يفق فرابطه إلى المغرب، ثم صلى بالناس المغرب ورجع إليه فلم يفق، ثم صلى بالناس العشاء الآخرة ورجع إليه، فقال: يا ربيع يا ربيع فلم يجبه ولم يفق حتى ضربه برد السحر.

(«حلية الأولياء» ٢٠/ ١١٠)

* * *

٢٤٦- توبة الأمير حميد بن جابر

عن إبراهيم بن بشار قال: كنت يومًا مارًا مع إبراهيم - يعنى ابن أدهم - فى صحراء، فأتينا على قبر مسنم، فترحم عليه وبكى، فقلت: قبر من هذا؟

فقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرقًا فى بحار الدنيا، فأخرجه الله تعالى منها واستنقذه، ولقد بلغنى أنه سر يومًا بشيء من ملاهى ملكه ودنياه وغروره وفتنته، ثم نام فى مجلسه ذلك مع من يخصه من أهله، فرأى فى منامه رجلاً واقفًا على رأسه، بيده كتاب، فناوله، ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرون فانيًا على باق، ولا تغترن بملكك، وقدرتك، وسلطانك، وخدمك، وعبيدك، ولذاتك، وشهواتك، فإن الذى أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو ملك لولا أنه بعده هلك، وهو فرح وسرور، لولا أنه لهو وغرور، وهو يوم لو كان يوثق به بغد، فسارع إلى أمر الله تعالى، فإن الله تعالى قال: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾(آل عمران: ١٣٣) .

قال: فانتبه فزعًا، وقال: هذا تنبيه من الله عز وجل وموعظة، فخرج من ملكه لا يعلم به، فلما بلغنى قصته وحدثت بأمره، قصدته، فسألته، فحدثنى ببدء أمره، وحدثته ببدء أمرى، فما زلت أقصده حتى مات، ودفن ها هنا فى قبره - رحمه الله.

(«كتاب التوابين» لابن قدامة المقدسى).

* * *

٢٤٧- الصغار الكبار

قام أبو يزيد البسطامى يتهجد بالليل، فرأى طفله الصغير يقوم بجواره فأشفق عليه لصغر سنه من برد الليل ومشقة السهر.

فقال له: ارقد يا غلام فإن أمامك ليل طويل.

فقال له الولد: فما بالك أنت قد قمت؟

فقال أبو يزيد: يا بنى قد طلب الله منى أن أقوم له.

فقال الغلام: لقد حفظت فيما أنتزل الله من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ**﴾(المزمل: ٢٠) .

فمن هؤلاء الذين قاموا مع نبى الله؟

فقال أبوه: هم يا بنى أصحابه؟ فقال الغلام: فلا تحرمنى من شرف صحبتك فى طاعة الله.

فقال أبو يزيد وقد تملكته الدهشة: يا بنى أنت طفل لم تبلغ الحلم بعد، فقال الغلام: يا أبت لقد رأيت أمى وهى توقد النار تبدأ بصغار قطع الخشب لتشتعل فى كبارها، فأخشى أن يبدأ الله يوم القيامة بنا قبل الرجال إن أهملنا فى طاعته، فعند ذلك انتفض أبوه من خشية الله وقال: سبحان الله قم يا بنى فأنت أولى بالله من أبيك.

* * *

٢٤٨- أغث الملهوف

عن إسحاق بن عباد البصرى قال: رأيت فى منامى ليلة قائلاً يقول: أغث الملهوف، فانتبهت، فقلت: انظروا هل فى جيراننا محتاج؟

فقالوا: ما ندرى، فنمت ثانيا فعاد إلى، فقال: تنام ولم تغث الملهوف؟!

قال: فانتبهت، ونمت الثالثة فعاد إلى فقمت فقلت للغلام: أسرج البغل، وأخذت معى ثلاثمائة درهم ثم ركبت البغل وأطلقت عنانه، فمر فأخذ على المسجد الجامع، ثم مضى فى سكة المربد، حتى خرج من الدروب إلى الجبانة فصار إلى المقابر، ثم عطف يمنة إلى مسجد يصلى فيه على الجنائز، فوقف البغل هناك، فنظرت فإذا رجل يصلى فلما أحس بى انصرفت فدنوت منه فقلت: يا عبد الله فى هذا الوقت، فى هذا الوضع ما أخرجك؟ فقال: أنا رجل خواص، كان رأس مالى مائة درهم، فذهبت من يدى ولزمنى دين مائتا درهم.

قال: فأخرجت الدراهم فقلت: هذه ثلاثمائة درهم فخذها فأخذها، فقلت: تعرفنى؟

قال: لا.

قلت: أنا إسحاق بن عباد، فإن نابتك نائبة فاعتنى منزلى فى موضع كذا، فقال: رحمك الله، بل إن تأتنا نائبة فزعنا إلى من أخرجك فى هذا الوقت حتى جاء بك إلينا.

(أخرجه ابن الجوزى- ٤٥٤ -فى «البر والصلة»)

* * *

٢٤٩- أعيتنا الحيل فيك

كان أبو جعفر المنصور أيام بنى أمية إذا دخل البصرة دخل متكتمًا وكان يجلس فى حلقة أزهر بن سعد السمان المحدث، فلما أفضيت إليه الخلافة قدم أزهر عليه فرحب به وقربه وقال: ما حاجتك يا أزهر؟

فقال: يا أمير دارى متهدمة وعلى أربعة آلاف درهم وأريد أن أزوج ابنى محمدًا، فوصله باثنى عشر ألف درهم، وقال: قد قضينا حاجتك فلا تأتنا بعد هذا طالبًا، فأخذها وارتحل، فلما كان بعد سنة أتاه فقال له أبو جعفر: ما حاجتك يا أزهر؟

قال: جئت مسلمًا، فقال: لا والله بل جئت طالبًا وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفًا فلا تأتنا طالبًا ولا مسلمًا، فأخذها ومضى، فلما كان بعد سنة أتاه، فقال: ما حاجتك يا أزهر؟ قال: أتيتك عائدًا، فقال: لا والله لا طالبًا ولا مسلمًا ولا عائدًا، فأخذها وانصرف، فلما مضت السنة أقبل، فقال: ما حاجتك يا أزهر؟

قال: يا أمير المؤمنين دعاء كنت أسمعك تدعو به جئت لأكتبه، فضحك أبو جعفر وقال: الذى تطلبه غير مستجاب فإنى دعوت الله تعالى أن لا أراك فلم يستجب لى، وقد أمرنا لك باثنى عشر ألفًا وتعال إذا شئت فقد أعيتنا الحيلة فيك. («غرائب الأخبار»).

* * *

٢٥٠- أبو الوقت

قال عنه يوسف بن أحمد الشيرازى فى (أربعين البلدان) له: «لما رحلت إلى شيخنا رحلة الدنيا ومسند العصر أبى الوقت عبد الأول الهروى قدر الله لى الوصول إليه فى آخر بلاد الكرمان، فسلمت عليه، وقبلته، وجلست بين يديه، فقال لى: ما أقدمك هذه البلاد؟.

قلت: كان قصدى إليك، ومعولى بعد الله عليك، وقد كتبت ما وقع لى من حديثك بقلمى، وسعيت إليك بقدمى، لأدرك بركة أنفاسك، وأحظى بعلو إسنادك، فقال: وفقك الله وإيانا لمرضاته، وهل سعينا له، وقصدنا إليه، لو كنت عرفتنى حق معرفتى، لما سلمت على ولا جلست بين يدى، ثم بكى بكاء طويلاً، وأبكى من حضره، ثم قال: اللهم استرنا بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا، يا ولدى، تعلم أنى رحلت أيضًا

لسماع «الصحيح» ماشيًا مع والدى من هراة إلى الداوودى ببوشنج ولى دون عشر سنين، فكان والدى يضع على يدى حجرين، ويقول: احملهما فكنت من خوفه أحفظهما بيدى، وأمشى وهو يتأملنى، فإذا رآنى قد عييت، أمرنى أن ألقى حجرًا واحدًا، فألقى، ويخف عنى، فأمشى إلى أن يتبين له تعبى، فيقول لى: هل عييت؟ فأخافه، وأقول: لا، فيقول: لم تقصر فى المشى؟ فأسرع بين يديه ساعة، ثم أعجز، فيأخذ الآخر، فيلقيه فأمشى حتى أعطب، فحينئذ كان يأخذنى ويحملنى، وكنا نلتقى جماعة الفلاحين وغيرهم، فيقولون: يا شيخ عيسى، ادفع إلينا هذا الصبى نركبه وإياك إلى بوشنج، فيقول: معاذ الله أن نركب فى طلب أحاديث رسول الله ﷺ، بل نمشى، وإذا عجز أركبته على رأسه إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ ورجاء ثوابه، فكان ثمرة ذلك من حسن نيته، أنى انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره، ولم يبق من أقرانى أحد سواى، حتى صارت الوفود ترحل إلى من الأمصار».

(«سير أعلام النبلاء» ٢٠ / ٣٠٧)

* * *

٢٥١- أقسم على ربك يا براء

البراء بن مالك بن النضر الأنصارى أحد الأبطال الشجعان المجابى الدعوى اشتد الأمر بالمسلمين فى موقعة اليمامة، فقال له خالد بن الوليد: قم يا براء، فركب فرسه، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل المدينة لا مدينة لكم اليوم، وإنما هو الله وحده والجنة، ثم حمل وحمل الناس معه، فانهزم أهل اليمامة، ولقى البراء فى تلك الموقعة رجلاً جسيمًا ويقال له حمار اليمامة، بيده سيف أبيض، فضرب البراء رجليه فانقرع فوقع على قفاه، فأخذ البراء سيف ذلك الرجل، وأغمد سيفه، وضرب بذلك السيف حتى تقطع، وزحف المسلمون على أهل اليمامة حتى ألجئوهم إلى حديقة فيها مسيلمة، فما كان من البراء إلا أن طلب من المسلمين أن يحملوه ويلقوا به فى داخل الحديقة فى وسط جموع مسيلمة، فلما صار فوق الجدار رمى بنفسه عليهم فقاتلهم حتى فتح الباب وبه بضع وثمانون جراحة ما بين رمية بسهم أو ضربة، فحمل إلى رحله يداوى وأقام عليه خالد بن الوليد، شهرًا حتى عوفى، وفى معركة تستر فى بلاد فارس اشتد الأمر بالمسلمين، وانكشف الناس، فقال المسلمون: يا براء أقسم على ربك، فقال: أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم

وألحقتنى بنبيك، فحمل وحمل المسلمون معه، فقتل البراء عظيمًا من عظماء الفرس واخذ سلبه، وانهزم الفرس، وقتل البراء.

وكان خالد بن الوليد قائداً على البراء وأمثاله، فصنع بهم الأعاجيب، ودوخ المسلمون الفرس والروم، فى آن واحد، لقد كان فيهم رجال رباهم رسول الإسلام بالإسلام فكانوا عجائب الدنيا.

(«زاد المتقين» الحازمى)

* * *

٢٥٢- من كانت الدنيا همه

قال محمد بن الحسين الرامهرمزى: سمعت أبا معاوية - رحمه الله - وهو على سور طوسوس من الجرف يبكى ويقول: ألا من كانت الدنيا من أكبر همه طال فى القيامة غداً همه، ومن خاف ما بين يديه ضاق فى القيامة ذرعه، ومن خاف الوعيد لهى من الدنيا عما يريد.

يا مسكين، إن كنت تريد لنفسك الجزيل، فأقلل نومك بالليل إلا القليل، أقبل من اللبيب الناصح، إذا أتاك بأمر واضح، لا تهتمن بأرزاق من تخلف، فلست أرزاقهم تكلف، وطن نفسك للمقال، إذا وقفت بين يدى رب العزة للسؤال، قدم صالح الأعمال، ودع عنك كثرة الأشغال.

بادر ثم بادر قبل نزول ما تحاذر، إذا بلغ روحك التراقى، وانقطع عنك من أحببت أن تلاقى، كأنى بها وقد بلغت الحلوق، وأنت فى سكرات الموت مغموم، وقد انقطعت حاجتك إلى أهلك، وأنت تراهم حولك.

وبقيت مرتهنًا بعملك، والصبر ملاك الأمر، وفيه أعظم الأجر، فاجعل ذكر الله من جل شأنك، وأملك فيما سوى ذلك لسانك.

ثم بكى أبو معاوية بكاء شديداً، ثم قال: «أوه من يوم يتغير فيه لونى، ويتلجلج فيه لسانى، ويجف فيه وبقى ويقل».

(«صفة الصفوة» لابن الجوزى - ٤ / ٢٧١)

* * *

٢٥٣- تحمل أذى الجار

روى عن سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله أنه كان له جار مجوسى وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت فى دار سهل بثق فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط فيه من كنيف المجوسى ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زمنًا طويلاً إلى أن حضرت سهلاً الوفاة فرأى المجوسى ذلك البثق والقذر يسقط منه فى الجفنة فقال: ما هذا الذى أرى؟ قال سهل: هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالليل ولولا أنه حضرنى أجلى وأنا أخاف أن لا تتسع أخلاق غيرى لذلك وإلا لما أخبرتك فافعل ما ترى فقال المجوسى: أيها الشيخ أنت تعاملنى بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفرى؟ مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم مات سهل رحمه الله.

* * *

٢٥٤- التاجر الصادق

جاءت أبا حنيفة امرأة تطلب منه ثوب حرير فأخرجه لها فقالت له: إنى امرأة ضعيفة وإنها أمانة فبعنى هذا الثوب بما يقوم عليك فقال: خذيه بأربعة دراهم فقالت: لا تسخر منى وأنا عجوز كبيرة، فقال: إنى اشتريت ثوبين فبعت أحدهما برأس المال إلا أربعة دراهم فبقى هذا الثوب علىَّ بأربعة.

* * *

٢٥٥- نصر المظلوم

حدث الجاحظ أن المعتصم غضب على رجل من أهل الجزيرة الفراتية وأحضر السيف والنطع وقال له المعتصم: أحدثت كيت وكيت وأمر بضرب عنقه، فقال له أحمد بن أبى داود الإيارى القاضى: يا أمير المؤمنين سبق السيف العذل تأن فى أمره فإنه مظلوم، قال: فتسكن قليلاً قال ابن أبى داود: وغمرنى البول فلم أقدر على حبسه وعلمت أنى لو قمت قبل الرجل لهلك فطويت ثيابى وبلت فيها حتى خلصت الرجل قال: فلما قمت نظر المعتصم إلى ثيابى رطبة فقال: يا أبا عبد الله كان تحتك ماء.

فقلت: لا يا أمير المؤمنين ولكنه كان كذا وكذا، فضحك المعتصم ودعا لى وقال: أحسنت بارك الله عليك وخلع عليه وأمر له بمائة ألف درهم.

وابن أبى داود هذا هو الذى يقول فيه الكلبى:

ابـــن أبـــى داود روح كـــلــــه
مـن قـــــرنـه إلى قـــــدمــــــه

* * *

٢٥٦- الحلم سيد الأخلاق

دعى أبو عثمان الحيرى إلى طعام وكان الداعى قد أراد تجربته فلما بلغ منزله قال له: ليس لى وجه (ليس عندى طعام) فرجع أبو عثمان فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيًا فقال له: يا أستاذ ارجع فرجع عثمان فقال له مثل مقالته الأولى فرجع ثم دعاه الثالثة وقال: ارجع إلى ما يوجب الوقت فرجع فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الأولى، فرجع أبو عثمان ثم جاءه الرابعة فرده حتى عامله بذلك مرات وأبو عثمان لا يتغير من ذلك فأكب على يديه وقال: يا أستاذ إنما أردت أن أختبرك فما أحسن خلقك فقال: إن الذى رأيت منى هو خلق الكلب إن الكلب إذا دعى أجاب وإذا زجر انزجر.

* * *

٢٥٧- السخاء

بعث هارون الرشيد إلى مالك بن أنس ﷺ بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الليث بن سعد فانفذ إليه ألف دينار فغضب هارون وقال: أعطيه خمسمائة وتعطيه ألفًا وأنت من رعيتى؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن لى من علتى كل يوم ألف دينار فاستحييت أن أعطى مثله أقل من دخل يوم.

* * *

٢٥٨- الحلم الكامل

سبب رجل على بن الحسين بن على ﷺ فرمى له بخميصة كانت عليه وأمر له بألف درهم.

* * *

٢٥٩- التجمل مع وجود داعى النفرة

تزوج رجل بامرأة فلما دخلت عليه رأى بها الجدرى (مرض مشهور) فقال : اشتكيت عينى، ثم قال : عميت، وهذا جائز شرعًا فبعد عشرين سنة ماتت ولم تعلم أنه بصير، فقيل له فى ذلك فقال : كرهت أن أحزنها كراهتى لما بها، فقيل له : سبقت الفتيان.

* * *

٢٦٠- ومن يتق الله يجعل له مخرجًا

جلس الحسن بالمجلس وإذا بالحجاج قد طلع على برذون أبيض وحوله الشرط فجاء إلى حلقة الحسن فسلم ثم ثنى رجله ونزل إلى جانب الحسن فلما انتهى من حديثه أقبل على الحجاج فسايره فقال الحجاج : إن هذا الشيخ شيخ مبارك معظم لحق أهل القبلة ناصح لأهل الملة صاحب سنة واستقامة ونصيحة للخاصة والعامة عليكم بهذا الشيخ إذا حضرتم فاحضروا مجلسه فإن مجلسه يعرف فضله وترجى عاقبته فإنه لولا ما ألزمنا من حق هذه الرعية لأحببت الحضور معكم ثم وثب وقام (أى الحجاج).

فقام شيخ كبير فاستقبل الحسن فقال : يا أبا سعيد إنى شيخ كبير من الديوان وعطائى زهيد ولى عيال ثم بكى بكاء شديداً فرفع الحسن رأسه ثم بكى فقال : إن السلطان ناصر لله ولدينه ولعباده وإن سلطاننا هذا قاتل عباد الله على الدينار والدرهم وأفناهم وقتلهم وقطعهم عضواً عضواً أخذه من كل خبيث وأنفقه فى كل سرف فسعى به فوالله ما قمنا حتى جاء حارس فى عنقه سيف وقال للحسن : أجب الأمير فانطلق وانطلقنا معه حتى دخلنا على الحجاج وهو جالس على سريره وبيده قضيب يحذر به فقام وسلم على الحسن وقال : يا حسن أنت صاحب الكلمات قال : أى الكلمات أصلح الله الأمير؟

قال : كذا وكذا، قال : نعم فنكس الحجاج رأسه وأطرق طويلاً ثم رفع رأسه وقال : ما دعاك إلى هذا؟ قال : ما أخذ الله فى الكتاب من قوله : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ** ﴾ (آل عمران : ١٨٧) فقال الحجاج : اذهب أيها الرجل فتكلم بما بدا لك فإنما أنت ناصح لخاصتنا وعامتنا فليس مثلك يوجد.

* * *

٢٦١- الناس ثلاثة

دخل ابن السماك على محمد بن سليمان والى البصرة فقال له: عظنى، فقال: بماذا؟ أصلحك الله إنما الناس ثلاثة: زاهد وصابر وراغب.

فأما الزاهد: فقد خرجت الأفراح والأحزان من قلبه لا ييأس على ما فاته ولا يفرح بما آتاه الناس منه ونفسه فى غنى.

وأما الصابر: فإن يشتهيها بقلبه فإذا ذكر ما فيها من عارها وشنارها اقتنع لو اطلعت على ما فى قلبه من التعفف لاطلعت على أمر عظيم.

وأما الراغب: فلا يدرى من أين أتته الدنيا؟ أفسد فيها الدين أو دنس عرضه فمن أى الثلاثة أنت؟ قال: من الراغبين، قال: أف لك ولصاحبك وتركه وانصرف.

* * *

٢٦٢- الناس سواسية

كان العمرى يطوف بالبيت فجاء هارون الرشيد يطوف فقال الربيع للعمرى: تنح تبّا فإن هذا أمير المؤمنين فقال له: هل هو إلا عبد مخلوق؟! فقال هارون: من هذا؟ فقالوا: العمرى فأقبل العمرى على هارون فقال: أصلح الله الأمير لا تغيرنك خلافتك ووزراؤك وأعداؤك عن ربك واعلم أنك ستصير عن قريب إلى ربك فيسألك عن رعيتك حتى عن الفتيل والنقير والقطمير فلا ينجيك شيء إلا العدل، فبكى هارون بكاء شديداً.

* * *

٢٦٣- لتبيننه ولا تكتمونه

كان طاوس اليمنى بمكة والحجاج بن يوسف بها، فنظر الحجاج إلى طاوس فقال: من أين الرجل؟ قال: من اليمن، قال: كيف خلفت بها محمداً (أخا الحجاج)؟ قال: عريضاً جسيماً، قال: لم أسألك عن هذا وإنما أسألك عن سيرته، قال: تركته ظلوماً غشوماً قال: أوما علمت أنه أخى؟ قال: يا حجاج، أوما علمت أنه واجب علىَّ، أفترى أنك أغنى عندى من أداء الحق؟ فبكى الحجاج ثم قال: ما فرحت بكلمة سمعتها مثل هذه.

* * *

(قصص الموت والآخرة)

٢٦٤- خاتمة حنظلة بن أبى عامر رضي الله عنه

تأمل - يرحمك الله - هذا حنظلة بن أبى عامر، أبوه أبو عامر الذى سُمى بالفاسق، كان حنظلة حديث عهد بالعرس، فلما سمع هواتف الحرب انخلع من أحضان زوجته وقام من فوره إلى الجهاد، فلما التقى بجيش المشركين فى ساحة القتال أخذ يشق الصفوف حتى خلص إلى قائد المشركين أبى سفيان صخر بن حرب، وكاد يقضى عليه، لولا أن أتاح الله له الشهادة، فقد شد على أبى سفيان، فلما استعلاه وتمكن منه رآه شداد بن الأسود، فضربه حتى قتله، ونزلت الملائكة فغسلته.

* * *

٢٦٥- خاتمة عمرو بن ثابت رضي الله عنه

كان عمرو بن ثابت المعروف بالأصيرم عند بنى عبد الأشهل يأبى الإسلام فلما كان يوم أحد قذف الله الإسلام فى قلبه للحسنى التى سبقت له منه فأسلم وأخذ سيفه ولحق بالنبى ﷺ فقاتل فأثخن بالجراح ولم يعلم أحد بأمره فلما انجلت الحرب طاف بنو عبد الأشهل فى القتلى يلتمسون قتلاهم فوجدوا الأصيرم وبه رمق يسير فقالوا: والله إن هذا الأصيرم ما جاء به لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر؟ ثم سألوه ما الذى جاء بك؟ أحرب على قومك أم رغبة فى الإسلام؟ فقال: بل رغبة فى الإسلام آمنت بالله ورسوله ثم قاتلت مع رسول الله ﷺ حتى أصابنى ما ترون، ومات من وقته فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «هو من أهل الجنة» قال أبو هريرة: ولم يصل من صلاة قط.

* * *

٢٦٦- خاتمة الذى وطئ بعرجته الجنة

كان عمرو بن الجموح أعرج شديد العرج، وكان له أربعة بنين شباب يغزون مع رسول الله ﷺ إذا غزا، فلما توجه إلى أحد أراد أن يتوجه معه فقال له بنوه: إن الله قد جعل لك رخصة فلو قعدت ونحن نكفيك وقد وضع الله عنك الجهاد، فأتى عمرو بن الجموح رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إن بنى هؤلاء يمنعوننى أن أخرج معك، ووالله إنى لأرجو

أن أستشهد فأطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال له رسول الله ﷺ: «أما أنت فقد وضع الله عنك الجهاد» وقال لبنيه: «ما عليكم أن تدعوه؟! لعل الله عز وجل أن يرزقه الشهادة» فخرج مع رسول الله ﷺ فقُتل يوم أحد شهيداً.

* * *

٢٦٧- خاتمة أنس بن النضر عم أنس بن مالك

لم يحضر أنس بن النضر غزوة بدر الكبرى فقال: لئن أشهدني الله قتالاً آخر للمشركين ليرين الله ماذا أصنع؟ فلما كانت غزوة أحد كان صاحبه سعد بن معاذ فقال له: يا سعد، واهًا لريح الجنة، إني لأجدها من دون أحد، فلما انتصر الكفار الأنذال قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني المسلمين - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين) فقاتل القوم حتى قُتل، فظلوا يبحثون عنه في الشهداء فلم يعرفوه حى عرفته أخته ببنانه وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم.

قال أنس: فكنا نظن (نتيقن) أن الله أنزل فيه وفي أمثاله: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ (الأحزاب: ٢٣).

* * *

٢٦٨- يدعو إلى الله وهو بين الصفين

في معركة اليرموك خرج من بين صفوف الروم جرجة - واسمه جور بن تيودور، وكان يجيد اللغة العربية، حتى كان بين الصفين ونادى: ليخرج إليَّ خالد، فخرج إليه خالد بن الوليد، وأقام أبا عبيدة مكانه، فوافقه بين الصفين حتى اختلفت أعناق دابتيهما، وقد أمن كل منهما صاحبه.

فقال جرجة: يا خالد اصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل بالله، هل أنزل الله على نبيكم سيفًا من السماء فأعطاكه فلا تسله على قوم إلا هزمتهم؟

خالد: لا.

جرجة: فلم سميت: سيف الله المسلول؟

خالد: إن الله عز وجل بعث فينا نبينا محمد ﷺ فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعًا، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه وبعضنا باعده وكذبه، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله، ثم إن

الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه، فقال: أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين، ودعا لى النصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين على المشركين.

جرجة: صدقتنى، ثم أعاد عليه **جرجة**: يا خالد أخبرنى إلام تدعونى؟

خالد: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، والإقرار بما جاء به من عند الله.

جرجة: فمن لم يجبكم؟

خالد: فالجزية، ونمنعهم.

جرجة: فإن لم يعطها؟

خالد: نؤذنه بحرب ثم نقاتله.

جرجة: ما منزلة الذى يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا؟

خالد: منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا، شريفنا ووضيعنا، وأولنا وآخرنا.

جرجة: هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل ما لكم فى الأجر والذخر؟

خالد: نعم وأفضل؟

جرجة: وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟

خالد: إنا دخلنا فى هذا الأمر وبايعنا نبينا ﷺ، وهو حى بين أظهرنا، تأتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات - المعجزات - وحق لمن رأى مثلما رأينا وسمع ما سمعنا أن يسلم ويبايع، وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج، فمن دخل فى هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا.

جرجة: بالله، لقد صدقتنى ولم تخادعنى ولم تألفنى؟

خالد: بالله، لقد صدقتك، وما بى إليك ولا إلى أحد منكم حاجة، وإن الله لولى ما سألت عنه.

جرجة: بالله لقد صدقتنى ولم تخادعنى ولم تألفنى، علمنى الإسلام، فمال به خالد إلى فسطاطه، وسكب على جسمه الماء من جهة لكى يتطهر قبل صلاته، ثم صلى ركعتين بعد أن علمه خالد الصلاة.

(«اليرموك» د/ شوقى أبو خليل - ص: ٤٨ - ٥٠)

* * *

٢٦٩- بين النووى والظاهر بيبرس

لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتالهم، فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه.

فقال: هل بقى من أحد؟

فقيل له: نعم بقى الشيخ محيى الدين النووى.

فطلبه فحضر.

فقال له: اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع.

فقال: ما سبب امتناعك.

فقال: أنا أعرف أنك كنت فى الرق للأمير (بندقدار) وليس لك مال، ثم مَنَّ الله عليك وجعلك ملكا وسمعت عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من ذهب وعندك مائتا جارية لكل جارية من الحلى فإذا أنفقت ذلك كله وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلاً من الحوائض وبقيت الجوارى بثيابهن دون الحلى، أفتيك بأخذ المال من الرباعية، فغضب الظاهر من كلامه.

وقال: اخرج من بلدى - يعنى دمشق.

فقال: السمع والطاعة، وخرج إلى (نوى).

فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به فأعده إلى دمشق.

فرسم برجوعه، فامتنع الشيخ، وقال: لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر.

(«من أخلاق العلماء» الجزء التاسع)

* * *

٢٧٠- من حفظ الله

أخرج الإمام أحمد فى مسند أبى عقرب، رضي الله عنه من (مسنده العظيم) (٥ / ٦٧): من حديث حميد بن هلال قال: كان رجل من الطفاوة، طريقه علينا، فأتى على الحى فحدثهم قال: قدمت المدينة فى عير لنا فبعنا بياعتنا ثم قلت: لأنطلقن إلى هذا الرجل: فلآتين من بعدى بخبره، قال: فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فإذا هو يرينى بيتًا قال: «إن امرأة كانت فيه، فخرجت فى سرية من المسلمين وتركت ثنتى عشرة عنزًا لها، وصيصتيها كانت تنسج

بها، قال: ففقدت عنزاً من غمها وصيصيتها، فقالت: يا رب إنك قد ضمنت لمن خرج فى سبيلك أن تحفظ عليه، وإنى قد فقدت عنزاً من غنمى وصيصيتى، وإنى أنشدك غنمى وصيصيتى» .

قال: فجعل رسول الله ﷺ يذكر شدة مناشدتها ربها تبارك وتعالى، قال رسول الله ﷺ: «فأصبحت عنزها وصيصيتها ومثلها، وهاتيك ائتها فاسألها إن شئت» قال: بل أصدقك.

فالعبد إذا كان منشغلا بطاعة الله عز وجل، فإن الله يحفظه فى تلك الحال وغيرها.

(قال ابن رجب: الصيصة: هى الصنارة التى يغزل بها وينسج، ثم قال: «فمن حفظ الله، حفظه الله من كل أذى».

قال بعض السلف: «إن اتقى الله فقد حفظ نفسه، ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه، والله الغنى عنه»).

* * *

٢٧١- بكاء ابن عمار

روى منصور بن عمار - رحمه الله - فقال: حججت حجة فنزلت سكة من سكك الكوفة، فخرجت فى ليلة مظلمة، فإذا بصارخ يصرخ فى جوف الليل، وهو يقول: إلهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى إياك مخالفتك، ولقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك غافل، ولكن خطيئة عرضت، أعاننى عليها شقائى، وغرنى سترك المرخى على، قد عصيتك بجهدى، وخالفتك بجهلى، فالآن من عذابك من يستنقذنى، وبحبل من اتصل إن أنت قطعت حبلك عنى؟!

واشباباه! واشباباه!

فلما فرغ من قوله: قرأت من كتاب الله عز وجل: ﴿نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ﴾ (التحريم: ٦) فسمعت حركة شديدة لم أسمع بعدها حسًّا، فمضيت، فلما كان الغدر رجعت فى مدرجتى، فإذا أنا بجنازة قد وضعت، وإذا عجوز كبيرة، فسألتها عن أمر الميت، ولم تكن عرفتنى، فقالت: مر هنا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه!.

مر بابنى البارحة وهو قائم يصلى، فتلا آية من كتاب الله، فلما سمعها ابنى تقطعت مرارته فوقع ميتاً. («المستدرك» للحاكم - ٢ / ٤٩٤).

٢٧٢- يسأله عن أهله

وقيل: خرج أعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة، فلما كان فى بعض الأيام ورد عليه أعرابى من جيه فقدم إليه الطعام، وكان إذ ذاك جائعًا فسأله عن أهله وقال: ما حال ابنى عمير؟ قال: على ما تحب قد ملأ الأرض والحى رجالاً ونساء، قال: فما فعلت أم عمير؟ قال: صالحة أيضًا، قال: فما حال الدار؟ قال: عامرة بأهلها، قال: وكلبنا إيقاع؟ قال: قد ملأ الحى نباحاً، قال: فما حال جملى زريق؟ قال: على ما يسرك، قال: فالتفت إلى خادمه، وقال: ارفع الطعام فرفعه، ولم يشبع الأعرابى، ثم أقبل عليه وسأله وقال: يا مبارك الناصية أعد علىَّ ما ذكرت، قال: سل عما بدا لك، قال: فما حال كلبى إيقاع؟ قال: مات، قال: وما الذى أماته، قال: اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات، قال: أومات جملى زريق؟ قال: نعم، قال: وما الذى أماته؟ قال: كثرة نقل الماء إلى قبر أم عمير، قال: أو ماتت أم عميرة، قال: نعم، قال: وما الذى أماتها قال: كثرة بكائها على عمير، قال: أو مات عمير؟ قال: نعم، قال: وما الذى أماته؟ قال: سقطت عليه الدار، قال: أوسقطت الدار؟ قال: نعم، قال: فقام له بالعصا ضاربًا فولى من بين يديه هاربًا.

* * *

٢٧٣- زوجتان أمينتان!!

كان ببغداد رجل بزاز (أى يبيع الأقمشة) فبينا هو ذات يوم فى دكانه إذ أقبلت امرأة، فطلبت منه شيئًا تشتريه، فبينا هى تحادثه، إذ كشف وجهها له فى خلال ذلك!!

فتحير الرجل، ثم قال لها: قد والله تحيرت مما رأيت، وإنى أخاف الله رب العالمين!!

فقالت المرأة له: ما جئت لأشترى منك شيئًا!! إنما أنا امرأة غريبة عن هذه البلدة، وقد مات زوجى وانتهت عدتى، وبقيت وحيدة، وقد خشيت على نفسى الفتنة، فأخذت أبحث عن رجل يتزوجنى، ولى أيام وأنا أتردد إلى السوق، ليقع بقلبى رجل صالح فأتزوجه!! وقد وقعت أنت بقلبى!! فكشفت لك عن وجهى، لترانى قبل أن تتزوجنى!!

فقال لها: ما مثلك يرد، ولكن لى ابنة عم وهى زوجتى، وقد عاهدتها ألا أغيرها ولا أطلقها، ولى منها ولد!! فقالت الفتاة: قد رضيت أن تجئ إلىَّ فى الأسبوع مرتين!! فرضى الرجل بذلك، وقام معها إلى القاضى، فعقد لها عقد النكاح، ثم مضى معها إلى منزلها

فدخل بها!! ثم ذهب إلى منزله فقال لزوجته: إن بعض أصدقائى قد سألنى أن أكون الليلة عنده، ومضى فبات عندها (أى عند الزوجة الجديدة) وكان يمضى كل يوم بعد الظهر، فبقى على هذا ثمانية أشهر، فأنكرت ابنة عمه أحواله، فقالت لجارية لها: إذا خرج فانظرى أين يمضى؟!! فتبعته الجارية، فجاء إلى دكانه فى الصباح، فلما جاءت الظهيرة أغلق دكانه وانصرف، فتبعته الجارية وهو لا يدرى بها، فمشى إلى أن دخل بيت زوجته الجديدة، فجاءت الجارية إلى الجيران، فسألتهم: لمن هذه الدار؟!! فقالوا: لامرأة قد تزوجت برجل تاجر بزاز؟!!.

فعادت الجارية إلى سيدتها فأخبرتها الخبر، فقالت لها سيدتها: إياك أن يعلم بهذا أحد!! ولم تظهر لزوجها شيئًا فأقام الرجل تمام السنة، ثم مرض ومات، وخلفه ثمانية آلاف دينار، فعمدت زوجته الأولى التى هى ابنة عمه، إلى نصيب ولدها الشرعى من التركة، وهو سبعة آلاف دينار، فأفردتها وأخرجتها على حدة، وقسمت الألف الباقية نصفين: نصف لها، ونصف للزوجة الأخرى، وتركت النصف فى كيس، وقالت لجاريتها: خذى هذا الكيس، واذهبى به إلى بيت المرأة، وأعلميها أن زوجها قد مات، وقد خلف ثمانية آلاف دينار، وقد أخذ الابن سبعة آلاف بحقه من الميراث، وبقيت ألف دينار فقسمتها بينى وبينك، وهذا نصيبك منها، وسلميه إليها، فمضت الجارية فطرقت عليها الباب، ودخلت وأخبرتها خبر الرجل، وحدثتها بموته وأعلمتها الحال، فبكت الزوجة الثانية، وفتحت صندوقها، وأخرجت منه رقعة، وقالت للجارية: عودى إلى سيدتك، وسلمى عليها عنى، وأعلميها أن الرجل طلقنى قبل أن يموت وكتبت لى براءة، وردى عليها هذا المال ـ فإنى لا أستحق فى تركته شيئًا، فرجعت الجارية إلى سيدتها فأخبرتها بهذا الخبر.

(«صفوة الصفوة» لابن الجوزى ـ ٢ / ٥٣٢)

* * *

٢٧٤- قصة رزق الله للغلام

خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له، فنزل على نخيل لقوم، وفيه غلام أسود يعمل فيه، إذ أتى الغلام بقوته، فدخل البستان كلب ودنا من الغلام، وجعفر ينظر إليه، فقال: يا غلام، كم قوتك كل يوم؟ قال: ما رأيت! قال: فلم آثرت به هذا الكلب؟ قال: ما هى بأرض كلاب، إنه جاء من مسافة بعيدة جائعًا، فكرهت أن أشبع وهو جائع، قال: فما أنت

صانع اليوم؟. قال: أطوى يومى هذا، فقال عبد الله بن جعفر: أُلام على السخاء، إن هذا الغلام لأسخى منى، فاشترى الحائط، والغلام وما فيه من الآلات، فأعتق الغلام ووهبه منه.

(«إتحاف السادة» - ٩/ ٧٥٨)

* * *

٢٧٥- اجعل ضفائرى لجام فرس فى سبيل الله

سبى الروم فى غزوة من الغزوات بعضًا من النساء المسلمات، فعلم بذلك منصور بن عمار، فقالوا له: لو اتخذت مجلسًا بالقرب من أمير المؤمنين هارون، فحرضت الناس على الجهاد.

ففعل... وبينما هو يحض الناس على الجهاد فى سبيل الله إذ طُرحت خرقة فيها صرة مختومة ومضموم بها كتاب، ففتح منصور بن عامر الكتاب وقرأ فإذا فيه: إنى امرأة من أهل البيوت من العرب، بلغنى ما فعل الروم بالمسلمات، وسمعت تحريضك الناس على الغزو فى ذلك، فعمدت إلى أكرم شىء من بدنى، وهما ذؤابتاى - ضفائرى - فقطعتهما وصورتهما فى هذه الخرقة المختومة...!

وأنشدك الله لما جعلتها قيد - لجام - فرس غاز فى سبيل الله!! فلعل الله أن ينظر إلىَّ على تلك الحال فيرحمنى بها، فلم يملك منصور نفسه فبكى وأبكى من حوله، فعزم هارون الرشيد على الجهاد فأمر بالنفير العام، فغزوا مع الجيش وفتح الله عليهم، وفكوا الأسيرات، وأطلقوا سراح المسلمات العفيفات الطاهرات.

(مجالس النساء)

* * *

٢٧٦- مات وإصبعه إلى السماء

عن جعفر بن عبد الله بن أسلم قال: لما كان يوم اليمامة، واصطف الناس كان أول من جرح أبو عقيل، رمى بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده فى غير مقتل، فأخرج السهم، ووهن له شقة الأيسر فى أول النهار، وجر إلى الرجل، فلما حمى القتال، وانهزم المسلمون، وجاوزوا رحالهم، وأبو عقيل واهن من جرحه، سمع معن بن عدى يصيح: «يا للأنصار»! الله الله والكَرَّة على عدوكم!.

قال عبد الله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد؟ ما فيك قتال! قال: قد نوه المنادى باسمى!.

قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يا للأنصار ولا يعنى الجرحى، قال أبو عقيل: أنا من الأنصار، وأنا أجيبه ولو حبواً.

قال ابن عمر: فتحزم أبو عقيل واخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادى: يا للأنصار، كرَّة كيوم حنين! فاجتمعوا رحمكم الله جميعًا، تقدموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوهم الحديقة؟ فاختلطوا، واختلفت سيوفهم بينا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبى عقيل، وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت فى الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحًا، كلها قد خلصت إلى مقتل، وقُتل عدو الله مسيلمة.

قال ابن عمر: فوقعت على أبى عقيل وهو صريع بآخر رمق، فقلت: يا أبا عقيل! قال: لبيك ـ بلسان ملتات ـ لمن الدبرة؟. يعنى: الهزيمة، قلت: أبشر، قد قُتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات يرحمه الله.

(«مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق» - ١/ ٥٠٩)

* * *

٢٧٧- وإليك هذه الخاتمة المنيرة

خاتمة شهداء يوم الرجيع ﷺ

عن أبى هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله عشرة رهط عينًا سرية وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى ﷺ فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم: بنو حيان فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم فلما أحس بهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى موضع فأحاط بهم القوم فقالوا: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق أن لا نقتل منكم أحداً.

فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم، أما أنا فلا أنزل فى ذمة كافر: اللهم أخبر عنا نبيك، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا، ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم: خبيب بن عدى، وزيد بن الدثنة، ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر، والله إن لى بهؤلاء لأسوة ـ يريد: القتلى ـ فجروه

وعالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه، وانطلقوا بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف خبيبًا، وكان خبيب هو قاتل الحارث يوم بدر.

فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى أجمعوا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحد بها فأعارته، فدرج بنى لها وهى غافلة حتى أتاه، فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك! قالت: والله ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب، فوالله لقد وجدته يومًا يأكل قطفًا من عنب فى يده، وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيبًا، فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه فى الحال قال لهم خبيب: دعونى أصلى ركعتين، فتركوه فركع ركعتين، فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بى جزع لزدت، اللهم أحصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تبقى منهم أحدًا، وقال:

ولست أبالى حين أقتل مسلمًا
على أى جنب كان لله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

رواه البخارى فى كتاب المغازى.

وخبيب ﵁ يقال له: بليع الأرض، لأن الأرض بلعته بعدما مات، ومن أشعاره فى آخر أنفاسه:

لقد جمع الأحزاب حولى وأطلبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مجمع
وكلهم مبدى العداوة جاهدًا
على لأنى فى وثاق بمضيع
وقد قربوا أبناءهم ونساءهم
وقربت من جزع طويل ممنع
إلى الله أشكو غربتى بعد كربتى
وما أرصد الأحزاب لى عند مصرعى

فـذا العـرش صـبـرى على مـا يـراد بى
فقـد بضعوا الحمى وقد ياس مطمعى
وقـد خـيـرونى الكفـر والمـوت دونه
فـقـد ذرفـت عـيناى من غـيـر مـجـزعى
ومـا بى حـذار المـوت إنى لمـيـت
وإن إلى ربـى إيـابى ومـرجـعـى

* * *

٢٧٨- خاتمة جعفر الطيار رضي الله عنه

فى غزوة مؤتة فى جمادى الأولى سنة ٨هـ وفق أغسطس أو سبتمبر سنة ٦٢٩م أخذ الراية زيد بن حارثة فجعل يقاتل قتال الأبطال حتى قُتل صريعًا، ثم أخذها جعفر بن أبى طالب فأخذ يقاتل قتالاً منقطع النظير حتى إذا أرهقه القتال قاتل حتى قطعت يمينه فأخذ الراية بشماله ولم يزل بها حتى قطعت شماله فاحتضنها بعضديه فلم يزل رافعًا إياها حتى قُتل، يقال: إنا روميًا ضربه ضربة قطعته نصفين، وأثابه الله بجناحيه جناحين فى الجنة يطير بهما حيث يشاء، ولذلك سمى بجعفر الطيار.

روى البخارى عن نافع أن ابن عمر أخبره أنه وقف على جعفر يومئذ وهو قتيل فعددت به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شىء فى دبره أو ظهره.

وفى رواية أخرى: قال ابن عمر: كنت فيهم فى تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبى طالب فوجدناه فى القتلى ووجدنا ما فى جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية.

وفى رواية العمرى عن نافع زيادة فوجد ما ذلك فيما أقبل من جسده، ولما قتل جعفر ابن أبى طالب أخذ الراية عبد الله بن رواحة وتقدم يقاتل، وكان يقول:

* أقـسـمت يا نفـسى لتنزلنه *
* كـارهة أو لـتـطـاوعـنـه *
* إن أجلب الناس وشـدوا الرنه *
* مـا لى أراك تـكرهين الجنه *

وظل يقاتل حتى قُتل.

(رواه البخارى فى كتاب المغازى)

٢٧٩- خاتمة حرام بن ملحان ﷺ

فى صفر من السنة الرابعة قدم أبو براء عامر بن مالك المدعو ملاعب الأسنة على رسول الله ﷺ بالمدينة فدعاه إلى الإسلام فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام فقال: يا رسول الله لو بعثت أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى دينك، فقال: «إنى أخاف عليهم أهل نجد» فقال أبو براء: أنا لهم جار، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك، فبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو فى أربعين من أصحابه، فساروا حتى نزلوا بئر معونة، وهى بين أرض بنى عامر وحرة بنى سليم، فنزلوا هناك ثم بعثوا حرام بن ملحان -أخا أم سليم الأنصارية، أم أنس بن مالك- بعثوه بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطفيل، الذى قام ينظر فى كتاب رسول الله ﷺ، وأمر رجلاً من أتباعه فطعن حرام بن ملحان بالحربة من خلفه، فلما أنفذها فيه ورأى حرام ﷺ الدم قال: فزت ورب الكعبة، ثم استنفر عدو الله بنى عامر لقتلهم فلم يجيبوه للعهد، وما أجابه إلا رعل وذكوان وعصية، فجاءوا حتى أحاطوا بأصحاب رسول الله ﷺ، فلما رآهم المسلمون أخذوا السيوف ثم قاتلوا حتى قتلوا عن آخرهم، ولم يبق إلا كعب بن زيد النجار وقع جريحًا بين الشهداء، وقد قنت رسول الله ﷺ شهرًا يدعو عليهم، على رعل وذكوان وعصية.

* * *

٢٨٠- خاتمة سعد بن الربيع الأنصارى ﷺ

قال زيد بن ثابت بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فقال لى: إن رأيته فأقرئه منى السلام وقل له: يقول لك رسول الله: «كيف تجدك؟» قال: فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم فقلت: يا سعد إن رسول الله يقرئك السلام ويقول لك: أخبرنى كيف تجدك؟ فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام، قل له: يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خُلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف، وفاضت نفسه من وقته.

وسعد بن الربيع هو الذى جعله رسول الله ﷺ أخا لعبد الرحمن بن عوف فخير سعد

عبد الرحمن أن يختار من ماله ما يشاء، وكانت له زوجتان فقال: اختر إحداهما أطلقها ثم تعتد فتتزوجها - رحمه الله.

(رواه البخارى وغيره)

* * *

٢٨١- خاتمة أحد الأعراب الأصحاب

قال شداد بن الهاد: جاء رجل من الأعراب إلى النبى ﷺ فآمن به واتبعه فقال: أهاجر معك فأوصى به بعض أصحابه، فلما كانت غزوة خيبر غنم رسول الله ﷺ شيئًا فقسمه وقسم للأعرابى فأخذه فجاء به إلى النبى ﷺ فقال: ما هذا يا رسول الله؟ قال: ما على هذا اتبعتك، ولكن اتبعتك على أن أُرمى ههنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال ﷺ: «إن تصدق الله يصدقك».

ثم نهض إلى قتال العدو، فأُتى به إلى النبى ﷺ وهو مقتول، فقال: «أهو هو؟» قالوا: نعم، قال: «صدق الله فصدقه، فكفنه النبى ﷺ فى جبته ثم قدمه فصلى عليه، وكان من دعائه له: «اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا فى سبيلك قتل شهيداً وأنا عليه شهيد».

[أخرجه النسائى ٤ / ٦ والحاكم ٣ / ٥٩٥ وصححه كما صححه الألبانى]

* * *

٢٨٢- خاتمة معاوية رضي الله عنه

لما حضرت معاوية بن أبى سفيان الوفاة قال: أقعدونى، فاقعد فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى وقال: تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والانحطاط، ألا كان هذا وغض الشباب وبكى حتى علا بكاؤه وقال: يا رب ارحم الشيخ العاصى، ذا القلب الناسى، اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وجُد بحلمك على من لا يرجو غيرك، ولم يثق بأحد سواك.

وروى عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه فى مرضه فرأوا فى جلده غضونًا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فهل الدنيا أجمع إلا ما جربنا أما والله لقد استقبلنا زهرتها بحدتنا وباستلذاذنا بعيشنا فما لبثت الدنيا أن نقضت ذلك منا حالاً بعد حال عروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد دمرتنا وأخلفتنا واستلأمت إلينا، أف للدنيا من دار أف لها من دار.

* * *

٢٨٣- خاتمة التابعين ومن بعدهم

خاتمة عبد الملك بن مروان

لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق يلوى ثوبًا بيده ثم يضرب به المغسلة فقال عبد الملك: ليتنى كنت غسالاً آكل من كسب يدى يومًا بيوم ولم آل من أمر الدنيا شيئًا، فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمن ما هم فيه.

وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدنى كما قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ** ﴾ (الأنعام: ٩٤).

* * *

٢٨٤- خاتمة عمر بن عبد العزيز

قالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز: كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار، فلما كان اليوم الذى قُبض فيه خرجت من عنده فجلست فى بيته آخر بينى وبينه باب وهو فى قبة له فسمعته يقول: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ (القصص: ٨٣) ثم هدأ، فجعلت لا أسمع حركة ولا كلامًا، فقلت لوصيف له: انظر أنائم هو؟ فلما دخل صاح فوثبت فإذا هو ميت.

وقيل له لما حضره الموت: اعهد يا أمير المؤمنين، قال: أحذركم مثل مصرعى هذا فإنه لا بد لكم منه.

وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له بطبيب فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه الموت، فرفع عمر بصره وقال: ولا تأمن الموت أيضًا على من لم يسق الموت، قال الطبيب: هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ فإنى أخاف أن تذهب نفسك، قال: ربى خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائى تحت شحمة أذنى ما رفعت يدى إلى أذنى فتناولته، اللهم خر لعمر فى لقائك، فلم يلبث أيامًا حتى مات.

وقيل: لما حضرته الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر، فقد أحيا الله بك سنناً وأظهر بك عدلاً! فبكى ثم قال: ألست أوقف فأسأل عن أمر هذا الخلق؟ فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى أن لا تقوم بحجتها بين يدى الله تعالى إلا أن يلقنها الله حجتها، فكيف بكثير مما ضيعنا؟ وفاضت عيناه، فلم يلبث إلا يسيراً حتى مات.

ولما قرب وقت موته قال: أجلسونى فأجلسوه، فقال: أنا الذى أمرتنى فقصرتُ، ونهيتنى فعصيت ـ ثلاث مرات ـ ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحد النظر، فقيل له فى ذلك فقال: إنى لأرى حضرة ما هم بإنس ولا جن، ثم قُبض رحمه الله.

* * *

٢٨٥- خاتمة معاذ ﷺ

لما حضرت معاذ ﷺ الوفاة قال: اللهم إنى كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر، ولما اشتد به النزع ونزع نزعًا لم ينزعه أحد، كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال: رب ما أخنقنى خنقك، فوعزتك إنك تعلم أن قلبى يحبك.

* * *

٢٨٦- خاتمة سلمان ﷺ

لما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكى جزعًا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ عهداً أن تكون بلغة أحدنا من الدنيا كزاد الراكب، فلما مات سلمان نظر فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا.

* * *

٢٨٧- خاتمة بلال ﷺ

ولما حضرت بلالا الوفاة قالت امرأته: واحزناه! فقال: بل واطرباه! غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه.

* * *

٢٨٨- خاتمة عبد الله بن المبارك

عند الوفاة فتح عبد الله بن المبارك عينه وضحك وقال: ﴿ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾ (الصافات: ٦١).

* * *

٢٨٩- خاتمة ابن المنكدر

ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكى لذنب أعلم أنى أتيته ولكن أخاف أنى أتيت ما حسبته هينًا وهو عند الله عظيم.

* * *

٢٩٠- خاتمة عامر بن عبد القيس

لما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له: ما يبكيك؟ قال: ما أبكى جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا، ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل فى الشتاء.

* * *

٢٩١- خاتمة فضيل بن عياض

لما حضرت فضيلاً الوفاة غشى عليه ثم فتح عينيه وقال: وابعد سفراه واقلة زاداه!.

* * *

٢٩٢- خاتمة أبى سعيد الخراز

قال رويم: حضرت وفاة أبى سعيد وهو يقول:

حنين قلوب العارفين إلى الذكر
وتذكارهم وقت المناجاة للسر
أديرت كئوس المنايا عليهم
فاغفوا عن الدنيا كإغفاء ذى الشكر
همومهم جوالة بمعسكر
به أهل ود الله كالأنجم الزهر

فأجسامهم فى الأرض قتلى بحبه
وأرواحهم فى الحجب فى العلا تسرى
فما عرسوا إلا بقرب حبيبهم
وما عرجوا من مس بؤس ولا قتر

* * *

ما نسيته فأذكره:

٢٩٣- خاتمة الجنيد

حكى أن أبا العباس بن عطاء دخل على الجنيد فى وقت نزعه فسلم عليه فلم يجبه ثم أجابه بعد ساعة وقال: اعذرنى فإنى كنت فى وردى! ثم ولى وجهه إلى جهة القبلة ومات، وقيل له وهو فى النزع الأخير قل: لا إله إلا الله، قال: ما نسيته فأذكره، وكان آخر حاله مع القرآن أنه ختمه فى هذا اليوم وهذا الوقت.

* * *

٢٩٤- خاتمة صخر بن الحارث

لما احتضر قيل له: كأنك تحب الحياة؟ قال: القدوم على الله شديد.

* * *

الذى أصابنى من طبيبى:

٢٩٥- خاتمة سرى السقطى

قال الجنيد: دخلت على سرى السقطى أعوده فى مرض موته فقلت كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كيف أشكو إلى طبيبى ما بى؟
والذى بى أصابنى من طبيبى

فأخذت المروحة لأروحه فقال: كيف يجد ريح المروحة من قلبه يحترق؟
ثم أنشأ يقول:

القلب محترق والدمع مستبق
والكرب مجتمع والصبر مفترق

كـــيف القـــرار علـى من لا قـــرار لـه
مـمـا جناه الهـوى والشـوق والقلق؟!
يا رب إن يك شىء فـيـــه لى فـــرح
فـــامنـن علـى بـه مـــا دام بى رمق

* * *

٢٩٦- خاتمة الشبلى

حكى أن قومًا من أصحاب الشبلى دخلوا عليه وهو فى الموت فقالوا: قل: لا إله إلا الله، فأنشأ يقول:

إن بيـــتًـــا أنـت ســـاكنـه
غـــيـــر مـحـتـــاج إلى الســـرج
وجـــهك المـــأمـــول حـــجـــتنا
يـوم يـأتـى الـنـاس بـالحــــــجج
لا أتـاح الله لـى فـــــرجًـــــا
يـوم أدعـــــو منـك بـالـفـــــرج

* * *

٢٩٧- خاتمة أحمد بن خضرويه

لما حضرت أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة فدمعت عيناه وقال: يا بنى باب كنت أدقه خمسًا وتسعين سنة ها هو ذا يفتح الساعة لى، لا أدرى أيفتح بالسعادة أو بالشقاوة؟ فآن لى أوان الجواب.

* * *

٢٩٨- خاتمة الشافعى

دخل المزنى على الشافعى - رحمة الله عليهما - فى مرضه الذى توفى فيه فقال له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقًا، ولسوء عملى ملاقيًا، ولكأس المنية شاربًا، وعلى الله تعالى واردًا، ولا أدرى أروحى تصير إلى الجنة فأهنئها، أم إلى النار فأعزيها؟ ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبى وضاقت مذاهبى
جعلت رجائى نحو عفوك سلما
تعاظمنى ذنبى فلما قرنته
بعفوك ربى كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل
تجود وتعفو منه وتكرما
ولولاك لم يغو بإبليس عابد
فكيف وقد أغوى حفيك آدما

* * *

٢٩٩- خاتمة أبى على الروذبارى

يحكى عن فاطمة أخت أبى على الروذبارى قالت: لما قرب أجل أبى على الروذبارى وكان رأسه فى حجرى فتح عينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول: يا أبا على قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تردها ثم أنشأ يقول:

وحقك لا نظرت إلى سواكا
بعين مودة حتى أراكا
أراك معذبى بفتور الحظ
بالخد المورد من حياكا

* * *

٣٠٠- خاتمة ربعى بن حراش وأخويه

ذكر أبو نعيم فى الحلية وابن الجوزى فى صفة الصفوة فى ترجمة ربعى بن حراش أحد الأئمة الثقات من رجال الكتب الستة حلف أنه لن يضحك فى هذه الحياة حتى يرى مقعده عند ربه، ووفى الرجل بيمينه فلما توفى لم يزك يضحك حتى غطى بالتراب.

وذكرها ابن حجر فى تهذيب التهذيب عن أخيه مسعود بن حراش فنقل عن مسعود ابن حراش وأخيه الربيع بن حراش كل واحد منهما بعد أن مات وسجى كشف كل واحد منهما الغطاء عن وجهه وقال للحاضرين بصوت يسمع: إنى قدمت على رحيم رحمان

فلتقانى بروح وريحان ولقيت ربًا غير غضبان، أسألكم بالله أن تعجلوا بجهازى فإن رسول الله ﷺ ينتظر دفنى.

* * *

٣٠١- خاتمة الحفاظ الذى حفظ خمسمائة ألف حديث

أبو زرعة الرازى

ذكر أبو نعيم أن أبا زرعة كان فى السوق وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلمة والمنذر ابن شاذان وجماعات من العلماء فذكروا حديث التلقين فاستحيوا من أبى زرعة فقالوا: يا أصحابنا تعالوا نتذاكر الحديث.

فقال محمد بن مسلمة: حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم قال: حدثنا عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى غريب، ولم يجاوزه، والباقون سكوت، فقال أبو زرعة وهو فى السوق: حدثنا أبو عاصم عن عبد الحميد بن جعفر عن صالح بن أبى غريب عن كثير بن مرة الحضرمى عن معاذ بن جبل قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وفى رواية: «حرمه الله على النار» وتوفى -رحمه الله.

* * *

٣٠٢- خاتمة غلام

ويروى عن عبد الله بن شبرمة أنه قال: دخلت مع عامر الشعبى على مريض نعوده فوجدنا رجلاً يلقنه الشهادة ويقول له: لا إله إلا الله، وهو يكثر عليه، فقال الشعبى: أرفق به، فتكلم المريض وقال: إن تلقنى أو لا تلقنى فإنى لا أدعها، ثم قرأ: ﴿ **وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا** ﴾ (الفتح: ٢٦).

فقال الشعبى: الحمد لله الذى نجى صاحبنا، أخرج ابن أبى الدنيا عن الحسن قال: كان فى مصركم هذا رجل عابد فخرج من المسجد فلما وضع رجله فى الركاب أتاه ملك الموت فقال له: مرحباً، لقد كنت إليك بالأشواق فقبض روحه.

* * *

٣٠٣- اجلدوا غاسلة الميتات

كانت امرأة تغسل الميتات، وبينما تغسل إحدى المسلمات قالت: ربما زنى هذا الفرج - أى فرج الميتة - فألصق الله يدها بفرج الميتة، ولم تستطع أن تتخلص من انتقام الله تعالى وظلت وقتًا طويلا فى الغسل حتى دخل النساء إليها فوجدن يدها التصقت بفرج الميتة، فأرسلوا إلى الأطباء فقالوا: نقطع جزءا من فرج الميتة، وقال بعضهم: نقطع جزءاً من يد الحية.

فأرسلوا إلى الفقهاء فاختلفوا، فأرسلوا إلى الإمام مالك فقال: لعل المغسلة قذفت الميتة، فاسألوها فإن اعترفت فاجلدوها، فسألوها فاعترفت فجلدوها ثمانين جلدة، ففك الله يدها.

* * *

٣٠٤- خاتمة وراد العجلى

فى مجلس وعظ «ابن ذر» يذكر رواجف القيامة وزلزالها فإذا برجل من بنى عجل يقال له وراد يبكى ويصرخ ويضطرب فحمل من بين القوم صريعًا، فقال ابن ذر: ما الذى صدر منا وكلم قلبه حتى أبكاه؟ وسأل عن ليله كيف يقضيه؟ فقالت أخته: كان يبكى عامة الليل ويصرخ، قال: فما كان طعمه (طعامه)؟ قالت: قرصًا فى أول الليل وقرصًا فى آخره عند الشجرة، وكان إذا سجد بكى ثم قال: مولاى عبدك يحب الاتصال بطاعتك فأعنه عليها بتوفيقك، يا أيها المنان، مولاى عبدك يحب اجتناب سخطك فأعنه على ذلك بمنك أيها المنان، مولاى عبدك عظيم الرجاء لخيرك فلا تقطع رجاءه يوم يفرح الفائزون، فلما مات وراد فحمل إلى حفرته نزلوا إليه ليدفنوه فإذا اللحد مفروش بالريحان، فأخذ بعض القوم الذين نزلوا إلى القبر من ذلك الريحان شيئًا، فمكث سبعين يومًا طريًا لا يتغير، يغدو الناس ويروحون وينظرون إليه، قال: فكثر الناس فى ذلك حتى خاف الأمير أن يفتن الناس فأرسل إلى الرجل فأخذ ذلك الريحان وفرق الناس وقال: فقده الأمير من منزله لا يدرى كيف ذهب.

* * *

٣٠٥- التقاء الأموات والأحياء

وقال سعيد بن المسيب: التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسى فقال أحدهما للآخر: إن مت قبلى فالقنى فأخبرنى ما لقيت من ربك؟ وإن أنا مت قبلك لقيتك فأخبرتك، فقال الآخر: وهل يلتقى الأموات والأحياء؟ قال: نعم، أرواحهم فى الجنة تذهب حيث تشاء، قال: فمات فلان فلقيه فى المنام فقال: توكل وأبشر فلم أر مثل التوكل قط.

* * *

٣٠٦- لقيت رءوفًا رحيمًا

قال العباس بن عبد المطلب: كنت أشتهى أن أرى عمر فى المنام، فما رأيته إلا عند قرب الحول، فرأيته يمسح العرق عن جبينه، وهو يقول: هذا أوان فراغى إن كاد عرشى ليهد لولا أن لقيت رءوفًا رحيمًا.

ولما حضر شريح بن عابد الثمالى الوفاة دخل عليه غضيف بن الحارث وهو يجود بنفسه فقال: يا أبا الحجاج، إن قدرت على أن تأتينا بعد الموت فتخبرنا بما ترى فافعل، قال: فمكث زمانًا لا يراه، ثم رآه فى منامه فقال له: أليس قد مت؟ قال: بلى، قال: فكيف حالك؟ قال: تجاوز ربنا عنا الذنوب فلم يهلك منا إلا الأحراض، قلت: وما الأحراض؟ قال الذين يشار إليهم بالأصابع فى الشىء.

* * *

٣٠٧- أفضل الأعمال الاستغفار

قال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز: رأيت أبى فى المنام بعد موته كأنه فى حديقة فدفع إلى تفاحات فأولتهن الولد، فقلت: أى الأعمال وجدت أفضل؟ فقال: الاستغفار أى بنى.

* * *

٣٠٨- مع أئمة الهدى فى جنة عدن

رأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فقال: يا أمير المؤمنين ليت شعرى إلى أى الحالات صرت بعد الموت؟ قال: يا مسلمة هذا أوان فراغى والله ما استرحت إلا الآن، قال: قلت: فأين أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: مع أئمة الهدى فى جنة عدن.

* * *

٣٠٩- ذاك فى الدرجات العلى

قال صالح البراد: رأيت زرارة بن أوفى بعد موته فقلت: رحمك الله ماذا قيل لك وماذا قلت؟ فأعرض عنى، قلت: فما صنع الله بك؟ قال: تفضل علىَّ بجوده وكرمه، قلت: فأبو العلاء بن يزيد -أخو مطرف- قال: ذاك فى الدرجات العلى، قلت: فأى الأعمال أبلغ فيما عندك؟ قال: التوكل وقصر الأمل.

* * *

٣١٠- وما تراه يكون من الكريم

قال مالك بن دينار: رأيت مسلم بن يسار بعد موته فسلمت عليه فلم يرد علىَّ السلام فقلت: ما يمنعك أن ترد السلام؟ قال: أنا مت فكيف أرد عليك السلام؟ فقلت له: ماذا لقيت بعد الموت؟ قال: لقيت والله أهوالاً وزلازل عظامًا شدادًا، قال: قلت له: فما كان بعد ذلك؟ قال: وما تراه يكون من الكريم؟ قبل منا الحسنات وعفا عنا السيئات ومحا عنا التبعات، قال: ثم شهق مالك شهقة خر مغشيًّا عليه، قال: فلبث بعد ذلك أيامًا مريضًا ثم انصدع قلبه فمات.

* * *

٣١١- الثعبان الأقرع ينتظر تارك الصلاة

حكى الإمام القرطبى أن رجلا تاركًا للصلاة جاءوا ليدفنوه وبعد حفر القبر نظروا فإذا الثعبان الأقرع قد شق الأرض وجلس فى القبر الثانى فحفروا قبرًا ثالثًا فوجدوا الثعبان الأقرع فألقوه مع الثعبان الأقرع.

وحكى مثل هذا فى زماننا هذا إلا أنهم فى المرة الثالثة حاولوا أن يخرجوا الثعبان

الأقرع من القبر عن طريق الشرطة وغيرهم فخرج، وبعد أن دفنوا تارك الصلاة جاء الثعبان الأقرع وشق الأرض وأحاط بتارك الصلاة إحاطة السوار بالمعصم حتى سمع المشيعون صوت تحطيم وتكسير عظام تارك الصلاة.

* * *

٣١٢- جعلنى فى المقربين

قال جميل بن مرة: كان مورق العجلى لى أخا وصديقًا فقلت له ذات يوم: أينا مات قبل صاحبه فليأت صاحبه فيخبره بالذى صار إليه، قال: فمات مورق فرأت أهلى فى منامها كأنه أتانا كما كان يأتى فقرع الباب كما كان يقرع ثلاثًا فقامت ففتحت له كما كانت تفتح وقالت: ادخل يا أبا المعتمر إلى باب أخيك، فقال: كيف أدخل وقد ذقت الموت؟ إنما جئت لأعلم جميلاً بما صنع الله بى، أعلميه أنه قد جعلنى فى المقربين.

* * *

٣١٣- طول الحزن رفع درجة الحسن فى الجنة

ولما مات محمد بن سيرين حزن عليه بعض أصحابه حزنًا شديدًا فرآه فى المنام فى حال حسنة فقال: يا أخى قد أراك فى حال يسرنى فما صنع الحسن؟ قال: رفع فوقى بسبعين درجة، قلت: ولم ذاك وقد كنا نرى أنك أفضل منه؟ قال: ذاك بطول حزنه.

* * *

٣١٤- عزلة الناس إذا كثر الفساد

وقال ابن عيينة: رأيت سفيان الثورى فى النوم فقال: أوصنى، قال: أقلل من معرفة الناس.

* * *

٣١٥- رفعت فى عليين

لما ماتت رابعة رأتها امرأة من صاحباتها وعليها حلة إستبرق وخمار فى سندس وكانت كفنت فى جبة وخمار من صوف فقالت لها: ماذا فعلت فى الجبة وخمار الصوف؟ قالت: والله إنه نزع عنى وأبدلت به هذا الذى ترين على وطويت أكفانى وختم عليها

ورفعت فى عليين ليكمل لى ثوابها يوم القيامة، قالت: فقلت لها: لهذا كنت تعملين أيام الدنيا، فقالت: وما هذا مما رأيت من كرامة الله لأوليائه، فقلت لها: فما فعلت عبدة بنت أبى كلاب؟ فقالت: هيهات هيهات سبقتنا والله إلى الدرجات العلى، قالت: قلت: وبم وقد كنت عند الناس أعبد منها؟ فقالت: إنها لم تكن تبالى على أى حال أصبحت من الدنيا أو أمست، فقلت: فما فعل أبو مالك؟ فقالت: يزور الله تبارك وتعالى متى يشاء، قالت: قلت: فما فعل بشر بن منصور؟ قالت: بخ بخ، أعطى والله فوق ما كان يأمل، قالت: قلت: مرينى بأمر أتقرب به إلى الله تعالى، قالت: عليك بكثرة ذكر الله، فيوشك أن تغتبطى بذلك فى قبرك.

* * *

٢١٦- كيف وجدت طعم الموت

لما مات عبد العزيز بن سليمان العابد رآه بعض أصحابه وعليه ثياب خضر وعلى رأسه إكليل من لؤلؤ، فقال: كيف كنت بعدنا وكيف وجدت طعم الموت وكيف رأيت الأمر هناك؟ قال: أما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وغمه، إلا أن رحمة الله وارت عنا كل عيب وما تلقانا إلا بفضله.

* * *

٢١٧- أعقبنى فرحًا دائمًا

قال صالح بن بشير: لما مات عطاء السلمى رأيته فى منامى فقلت: يا أبا محمد ألست فى زمرة الموتى؟ قال: بلى، قلت: فإلام صرت بعد الموت؟ قال: صرت والله بعد الموت إلى خير كثير ورب غفور شكور، قال: قلت: أما والله لقد كنت طويل الحزن فى دار الدنيا، فتبسم وقال: والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحًا دائمًا، قلت: ففى أى الدرجات أنت؟ قال: مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

* * *

٣١٨- فى روضة من رياض الجنة

لما مات عاصم الجحدرى رآه بعض أهله فى المنام فقال: ألست قد مت؟ قال: بلى، قال: فأين أنت؟ قال: أنا والله فى روضة من رياض الجنة، أنا ونفر من أصحابى، نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر وابن عبد الله المزنى فنتلقى أخباركم، قال: صبيحتها، قلت: بأجسادكم أم بأرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجساد وإنما تتلاقى الأرواح.

ورئى الفضيل بن عياض بعد موته فقال: لم أر للعبد خيراً من ربه.

* * *

٣١٩- كسا موضع السجود نوراً

كان مرة الهمدانى يكثر السجود حتى أكل التراب جبهته، فلما مات رآه رجل من أهله فى منامه، وكأن موضع سجوده كهيئة الكواكب الدرية فقال: ما هذا الأثر الذى أرى بوجهك؟ فأجاب: كُسِىَ موضع السجود بأكل التراب له نوراً، قال الرجل: فما منزلتك فى الآخرة، قال: خير منزل، دار لا يتنقل عنها أهلها فلا يموتون.

* * *

٣٢٠- عمر بن عبد العزيز يبكى

عن عطاء قال: دخلت على فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة عمر بن عبد العزيز فقلت لها: يا بنت عبد الملك أخبرينى عن أمير المؤمنين، قالت: أفعل، ولو كان حيًّا ما فعلت، إن عمر ـ رحمه الله ـ كان قد فرغ بدنه ونفسه للناس كان يقعد لهم يومهم، فإن أمسى وعليه بقية من حوائج يومه وصله بليله إلى أن يمسى مساء وقد فرغ من حوائج يومه، فدعا بسراجه، الذى كان يسرج له من ماله، ثم قام فصلى ركعتين، ثم أقعى واضعاً رأسه على يده، تسايل دموعه على خده ،يشهق الشهقة فأقول: قد خرجت نفسه وانصدعت كبده، فلم يزل كذلك ليلته حتى برق له الصبح، ثم أصبح صائماً.

قالت: فدنوت منه فقلت: يا أمير المؤمنين، لشىء ما كان قبل الليلة ما كان منك.

قال: أجل فدعينى وشأنى، وعليك بشأنك، فقلت له: إنى أرجو أن أتعظ.

قال: إذن أخبرك.

إني نظرت إليَّ فوجدتني قد وليت أمر هذه الأمة، صغيرها وكبيرها، وأسودها وأحمرها، ثم ذكرت الغريب الضايع، والفقير المحتاج، والأسير المفقود، وأشباههم في أقاصي البلاد وأطراف الأرض فعلمت أن الله سائلي عنهم، وأن محمداً ﷺ حجيجي فيهم فخفت ألا يثبت لي عند الله عذر، ولا يقوم لي مع رسول الله ﷺ حجة، فخفت على نفسي خوفًا بكى له عيني، ووجل له قلبي، فأنا كلما ازددت لها ذكرًا ازددت لهذا وجلاً، وقد أخبرتك فاتعظي الآن أو دعي.

(«محاسبة النفس» لابن أبي الدنيا - ٩٢)

* * *

٣٢١- عجائب في طلب العلم

قص الإمام أبو حاتم - رحمه الله تعالى - شيئًا مما لقيه أثناء رحلته في طلب العلم، فقال: لما خرجنا من المدينة من عند داود الجعفري صرنا إلى الجار، وركبنا البحر وكنا ثلاثة أنفس: أبو زهير المروزي، شيخ، وآخر نيسابوري، فركبنا البحر، وكانت الريح في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر، وضاقت صدورنا، وفني ما كان معنا من الزاد، وبقيت بقية، فخرجنا إلى البر فجعلنا نمشي أيامًا على البر، حتى فني ما كان معنا من الزاد والماء، فمشينا يومًا وليلة لم يأكل أحد منا شيئًا، ولا شربنا، واليوم الثاني كمثل، واليوم الثالث، كل يوم نمشي إلى الليل، فإذا جاء المساء صلينا، وألقينا بأنفسنا حيث كنا، وقد ضعفت أبداننا من الجوع والعطش والعياء، فلما أصبحنا اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر طاقتنا، فسقط الشيخ مغشيًّا عليه، فجئنا نحركه، وهو لا يعقل، فتركناه، ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري قدر فرسخ أو فرسخين، فضعفتُ، وسقطتُ مغشيًّا عليَّ، ومضى صاحبي وتركني، فلم يزل هو يمشي، إذ بصر من بعيد قومًا قد قربوا سفينتهم من البر ونزلوا على بئر موسى، عليه السلام، فلما عاينهم لوَّح بثوبه إليهم، فجاءوا معهم الماء في إداوة فسقوه، وأخذوا بيده، فقال لهم: «رفيق لي قد ألقوا بأنفسهم مغشيًّا عليهم» فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي، ففتحت عيني، فقلت: «اسقني» فصب من الماء في ركوة أو مشربة شيئًا يسيرًا، وأخذ بيدي، فقلت: «ورائي شيخ ملقى» قال: «قد ذهب إلى ذاك جماعة».

فأخذ بيدي وأنا أمشي أجر رجلي، ويسقيني شيئًا بعد شيء، حتى إذا بلغت إلى عند

سفينتهم، وأتوا برفيقى الثالث الشيخ، وأحسنوا إلينا أهل السفينة، فبقينا أيامًا، حتى رجعت إلينا أنفسنا، ثم كتبوا لنا كتابًا إلى مدينة يقال لها: «راية» إلى واليهم، وزودونا من الكعك والسويق والماء، فلم نزل نمشى حتى نفد ما كان معنا من الماء والسويق والكعك، فجعلنا نمشى جياعًا عطاشًا على شط البحر، حتى وقفنا إلى سلحفاة قد رمى به البحر مثل الترس، فعمدنا إلى حجر كبير فضربنا على ظهر السلحفاة، فانفلق ظهره، وإذا فيها مثل صفرة البيض، فأخذنا من بعض الأصداف الملقى على شط البحر، فجعلنا نغترف من ذلك الأصفر، فنتحساه حتى سكن عنا الجوع والعطش، ثم مررنا وتحمّلنا حتى دخلنا مدينة «الراية» وأوصلنا الكتاب إلى عامهلم، فأنزلنا فى داره، وأحسن إلينا، وكان يقدم إلينا كل يوم القرع، ويقول لخادمه: «هات لهم باليقطين المبارك» فيقدم إلينا ذاك اليقطين من الخبز أيامًا، فقال واحد منا بالفارسية: «لا تدعو باللحم المشئوم؟»‌.

وجعل يسمع الرجل صاحب الدار، فقال: «أنا أحسن بالفارسية: فإن جدتى كانت هروية».

فأتانا بعد ذلك باللحم، ثم خرجنا من هناك، وزودنا إلى أن بلغنا مصر.

(«علو الهمة» محمد إسماعيل المقدم)

* * *

٣٢٢- ما قرت لى معك عين

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: قلت ليزيد بن مرثد: ما لى أرى عينيك لا تجف؟

قال: وما مسألتك عنه؟

قلت: عسى الله عز وجل أن ينفعنى به.

قال: يا أخى إن الله عز وجل قد توعدنى إن أنا عصيته أن يسجننى فى النار، والله لو لم يتوعدنى أن يسجننى إلا فى الحمام لكنت حريًّا ألا تجف لى عين.

قال: فقلت له: فهكذا أنت فى خلواتك؟

قال: وما مسألتك عنه؟

قلت: عسى الله عز وجل أن ينفعنى به.

فقال: والله إن ذلك ليعرض لى حين أسكن إلى أهلى فيحول بينى وبين ما أريد، وإنه

ليوضع الطعام بين يدى فيعرض لى فيحول بينى وبين أكله، حتى تبكى امرأتى ويبكى صبياننا، ما يدرون ما أبكانا، ولربما أضجر ذلك امرأتى فتقول: يا ويحها ما خصت به من طول الحزن معك فى الحياة الدنيا ما تقر لى معك عين.

(«حلية الأولياء» لأبى نعيم - ٥/ ١٦٤)

* * *

٣٢٣- توبة جارية من بنات الكبار

كان أبو شعيب البراثى أول من سكن براثى فى كوخ يتعبد به، فمرت بكوخه جارية من بنات الكبار كانت ربيت فى قصور الملوك، فنظرت إلى أبى شعيب فاستحسنت حاله وما كان عليه، فصارت كالأسير له، فعزمت إليه وقالت: أريد أن أكون لك خادمة، فقال لها: إن أردت ذلك فغيرى من هيئتك، وتجردى عما أنت فيه حتى تصلحى لما أردت، فتجردت عن كل ما تملكه، ولبست ثياب النساك وحضرته، فتزوجها، فلما دخلت الكوخ رأت قطعة خصاف فى مجلس أبى شعيب تقيه الندى، فقالت: ما أنا بمقيمة فيها حتى تخرج ما تحتك، لأنى سمعتك تقول: إن الأرض تقول: يا بن آدم تجعل اليوم بينك وبينى حجابًا وأنت غداً فى بطنى؟ فما كنت لأجعل بينى وبينها حجابًا، فأخذ أبو شعيب الخصاف فرمى بها، فمكثت معه سنين كثيرة تتعبد أحسن عبادة، وتوفيا على ذلك متعاونين.

(«كتاب التوابين» لابن قدامة)

* * *

٣٢٤- العجب من صبر أم عقيل

ذكر أبو الفرج بن الجوزى فى «عيون الحكايا» قال الأصمعى: خرجت أنا وصديق لى إلى البادية، فضللنا الطريق، فإذا نحن بخيمة عن يمين الطريق، فقصدناها، فسلمنا، فإذا امرأة ترد علينا السلام.

قالت: ما أنتم؟

قلنا: قوم ضالون عن الطريق، أتيناكم فأنسنا بكم.

فقالت: يا هؤلاء، ولوا وجوهكم عنى حتى أقضى حقكم، ما أنتم له أهل، ففعلنا فألقت لنا حصيراً، فقالت: اجلسوا عليه إلى أن يأتى ابنى، ثم جعلت ترفع طرف الخيمة

وتردها إلى أن رفعتها فقالت: أسأل الله بركة المقبل، أما البعير فبعير ابنى وأما الراكب فليس بابنى، فوقف الراكب عليها فقال: يا أم عقيل، أعظم الله أجرك فى عقيل، قالت: ويحك! مات ابنى؟ قال: نعم، قالت: وما سبب موته؟ قال: ازدحمت عليه الإبل، فرمت به فى البئر، فقالت: انزل فاقض ذمام القوم، ودفعت إليه كبشًا فذبحه وأصلحه وقرَّب إلينا الطعام، فجعلنا نأكل ونتعجب من صبرها، فلما فرغنا خرجت إلينا وقد تكورت، فقالت: يا هؤلاء، هل فيكم من أحد يحسن من كتاب الله شيئًا؟ قلت: نعم، قالت: اقرأ علىَّ من كتاب الله آيات أتعزى بها، قلت: يقول الله عز وجل فى كتابه:

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (البقرة: ١٥٥ - ١٥٧).

قالت: إنها لفى كتاب الله هكذا؟.

قلت: والله إنها لفى كتاب الله هكذا، قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله أحتسب عقيلاً - تقول ذلك ثلاثًا: اللهم إنى فعلت ما أمرتنى به فأنجز لى ما وعدتنى.

(«عيون الحكايا» أبو الفرج بن الجوزى - رحمه الله)

* * *

٣٢٥- لا يفتى ومالك فى المدينة

كلمة نسمعها كثيراً ونرددها فى بعض المواقف والمناسبات، وهى تدل على عظيم قدر الإمام مالك وعلو مكانته وغزارة علمه، وقد أضحت مثلاً يضرب لمن أريدالإشادة بعلمه وفضله والرجوع إليه وقبول قوله وحكمه، فما أصل هذه الكلمة وما سبب إطلاقها؟!!.

يروى أن امرأة فى المدينة المنورة ماتت، فجىء لها بالمغسلة، فلما وضع الجثمان وتقدمت المغسلة لتباشر الغسل، صبت الماء على جسد هذه الميتة وجعلت تدلكه، فلما وصلت بالدلك إلى فرج الميتة قذفتها بالسوء وقالت: كثيراً ما زنى هذا الفرج، فالتصقت يد المغسلة بجسم الميتة، وجعلت لا تستطيع فصلها عن جسمها، فأغلقت الباب حتى لا يراها أحد على هذه الحال... وأهل الميتة ينتظرون خروج المغسلة من البيت، لكنها أبطأت... فدخلت إحدى النساء عليها فرأتها على هذه الهيئة، فحاولوا فصل اليد

الملتصقة بالجسم لكنهم لم يستطيعوا... فسألوا العلماء فى شأنها فتحيروا... واختلفوا... أيقطع جزء من جسم الميتة لتخليص اليد، أم تقطع اليد وتدفن مع الجثة؟!! وأخيرا قالوا: علام نختلف وبيننا عالم المدينة الإمام مالك؟! فسألوه، فحضر بنفسه وسأل المغسلة من وراء الباب.. ماذا قلت فى حق الميتة؟ فصارحته بالحقيقة وقالت: لقد رميتها بالزنا! فقال الإمام مالك: هذه المرأة قاذفة، وحد القذف ثمانون جلدة، فتُجلد المرأة ثمانين جلدة، فباشروا الضرب، وبعد تمام الجلدة الثمانين رُفعت يد المغسلة من جسد الميتة وانفصلت عنها... ومن ذلك الحين قالوا: لا يفتى ومالك فى المدينة.

(«مواقف مشرقة فى حياة السلف» محمد موسى الأسود)

* * *

٣٢٦- الفتيا والفقه

قال الإمام المحدث الفقيه أبو بكر الأجرى: أخبرنا أبو بكر أخبرنا إبراهيم بن الهيثم الناقد أخبرنا داود بن رشيد أخبرنا الوليد عن روح بن جناح عن مجاهد، قال: بينا نحن وأصحاب ابن عباس حلق فى المسجد، طاوس وسعيد بن جبير وعكرمة، وابن عباس قائم يصلى، إذ وقف علينا رجل فقال: هل من مفتٍ؟.

فقلنا: سل.

فقال: إنى كلما بلت تبعه الماء الدافق.

قال: قلنا: الذى يكون منه الولد؟.

قال: نعم.

قلنا: عليك الغسل.

قال: فولى الرجل، وهو يُرَجِّع.

قال: وعجل ابن عباس فى صلاته، ثم قال لعكرمة: علىَّ بالرجل، وأقبل علينا، فقال: أرأيتم ما أفتيتم به هذا الرجل، عن كتاب الله؟.

قلنا: لا.

قال: فعن رسول الله ﷺ؟.

قلنا: لا.

قال: فعن أصحاب رسول الله ﷺ؟

قلنا: لا.

قال: فعمه؟

قلنا: عن رأينا.

قال: فقال: فلذلك قال رسول الله ﷺ: «ففيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد».

(أخرجه الترمذي وابن عساكر بإسناد حسن)

قال: وجاء الرجل، فأقبل عليه ابن عباس، فقال: أرأيت إذا كان ذلك منك أتجد شهوة في قبلك؟.

قال: لا.

قال: فهل تجد شهوة في قلبك؟

قال: لا.

قال: فهل تجد خدراً في جسدك؟

قال: لا.

قال: إنما هذه إبردة يجزيك منها الوضوء.

قال محمد بن الحسين: كيف لا يكون العلماء كذلك وقد قال النبي ﷺ: «من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين».

(«أخلاق العلماء» للآجري - ٣٧)

* * *

٣٢٧- ثلاثة بثلاثمائة

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: حدثتني مولاة أبي أمامة ﵁ وكانت نصرانية، كان أبو أمامة يحب الصدقة، ويجمع لها، وما يرد سائلاً، ولو ببصلة، أو تمرة، أو بشيء مما يؤكل، فأتاه سائل ذات يوم، وقد افتقر من ذلك كله، وما عنده إلا ثلاثة دنانير، فسأله فأعطاه ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً، ثم أتاه سائل فأعطاه ديناراً، قالت: فغضبت وقلت: لم تترك لنا شيئًا، قالت: فوضع رأسه للقيلولة، قالت: فلما نودي للظهر، أيقظته، فتوضأ ثم راح إلى المسجد، قالت: فرققت عليه وكان صائمًا، فاستلفت وجعلت

له عشاء، وأسرجت له سراجًا، وجئت إلى فراشه لأمهده له فإذا بذهب، فعددتها فإذا ثلاثمائة دينار، قلت: ما صنع الذى صنع إلا وقد وثق به ما خلف، فأقبل بعد العشاء، قالت: فلما رأى المائدة، ورأى السراج تبسم وقال: هذا خير من عند الله، قالت: فقمت على رأسه حتى تعشى، فقلت: يرحمك الله، خلفت هذه النفقة سبيل مضيعة، ولم تخبرنى فأرفعها، قال: وأى نفقة؟ ما خلفت شيئًا؟ قالت: فرفعت الفراش، فلما رآه فرح، واشتد تعجبه.

قالت: فقمت، فقطعت زنارى، وأسلمت.

قال ابن جابر: فأدركتها فى مسجد حمص، وهى تعلم النساء القرآن.

(«حلية الأولياء» ١٠/ ١٢٩)

* * *

٣٢٨- الداعية الصابرة على البلاء!!

كانت أم شريك الدوسية ﵂ مقيمة بمكة عند زوجها أبى العسكر الدوسى، وكانت مشركة آنذاك، فلما بعث الله نبيه ﷺ بدين الحق، وبدأ يدعو الناس إليه سرًّا، شرح الله صدرها للإسلام، فأسلمت وهى بمكة، وأدركت ﵂ على الفور، مسئوليتها العظيمة فى الدعوة إلى هذا الدين الحق ونشره بين الناس مهما كانت العواقب والتضحيات والضغوط!!

فكانت ﵂ تدخل على نساء قريش سرًّا فتدعوهم وترغبهم فى الإسلام، حتى ظهر أمرها وانكشف لزعماء قريش وكبارها، فأخذوها وحبسوها، ﵂، وقالوا لها: لولا قومك لفعلنا بك وفعلنا!! ولكننا سنردك إليهم!!

قالت أم شريك: وخرجوا بى إلى أهلى فى اليمن، فحملونى على بعير ليس تحتى شىء!! ثم تركونى ثلاثة أيام لا يطعموننى ولا يسقوننى!! وكانوا إذا نزلوا منزلاً أوثقونى وربطونى إلى شجرة أو صخرة، فى الشمس المحرقة، واستظلوا هم منها!! يريدوننى أن ارجع عن دينى، فلم ارجع بحمد الله، وثبتنى الله عليه.

فبينما هم قد نزلوا منزلاً، وأوثقونى فى الشمس، وقد أوشكت على الموت من شدة الجوع والعطش، وإذا أنا ببرد شىء على صدرى (!!!) فنظرت إليه فإذا هو دلو من ماء!! فشربت منه قليلاً، ثم نزع منى فرُفع، ثم عاد مرة أخرى، ففتحت فمى فشربت منه!! ثم رُفع ثم عاد، فشربت منه، ثم رفع مراراً، ثم تركت فشربت حتى ارتويت!! ثم أفضت سائرة

على جسدى وثيابى، والمشركون الذين معى لا يشعرون بذلك.

فلما استيقظوا إذا هم بأثر الماء، ورأونى حسنة الهيئة، فقالوا لى: كيف انحللت من قيودك فأخذت سقاءنا وماءنا، فشربت منه؟!! فقلت لهم: لا والله!! ولكنه كان من الأمر كذا وكذا، فقالوا: لئن كنت صادقة فيما تقولين لدينك خير من ديننا!!.

فلما نظروا إلى أسقيتهم وجدوها كما تركوها، لم ينقص من الماء الذى فيها شىء!! فأسلموا عند ذلك كلهم!!.

فطوبى لأم شريك بهذه الكرامة العظيمة!!.

(«صفة الصفوة» ابن الجوزى - ٢ / ٥٣)

* * *

٣٢٩- قصص الأوفياء

هذه صفحات مشرقة نتلمس فيها سير الأوفياء ومنهاج سلوكهم الحافل بالعظات والعبر، كان الوفاء فيها زينة الشخصيات المؤمنة التى نهلت من سيرة المصطفى ﷺ وتألفت فى عهده، لتبقى نبراسا نستمد من هديه السعادة والفلاح.

وفاة المصطفى ﷺ:

صنف العلماء فى سيرة النبى الكريم ﷺ ومبعثه وغزواته وأخلاقه ومعجزاته ومحاسنهُ وشمائله كتبًا كثيرة يصعب عدّها، حتى إن هذه الكتب المؤلفة أصبحت بحاجة إلى معجم خاص ودراسة مستقلة.

وقد ارتبطت صفة الوفاء فى خُلُق النبى ﷺ بصفات الأمانة والإيمان وتوثقت من خلالها روابط التسامح فى الإسلام، تكاملت خصال الوفاء فى خلقه ففضّله الله تعالى بها على جميع خلقه.

ذكر الإمام العلامة أبو الحسن على بن محمد الماوردى المتوفى (٤٥٠هـ) فى كتابه «أعلام النبوة» فى الباب العشرين فى شرف أخلاقه وكمال فضائله ﷺ ما نصه:

الخصلة السادسة: حفظه للعهد ووفاؤه بالوعد، فإنه ما نقض لمعاهد عهداً، ولا أخلف لمراقب وعداً، يرى الغدر من كبائر الذنوب.

والإخلاف من مساوئ الشيم، فيلتزم فيها الأغلظ ويرتكب فيها الأصعب، حفظًا

لعهده ووفاء بوعده، حتى يبتدئ معاهدوه بنقضه، فيجعل الله تعالى له مخرجًا.

وكان من هديه ﷺ أن أعداءه إذا عاهدوا واحداً من أصحابه على عهد لا يضر بالمسلمين من غير رضاه أمضاه لهم.

كما عاهدوا حذيفة وأباه ألا يقاتلاهم معه ﷺ فأمضى لهم ذلك، وقال لهما: [انصرفا ففيا لهم بعهدهم ونستعين بالله عليهم].

قبل سنة من هدنة الحديبية، كانت قريش تحاصر المدينة، وقد جمعت لذلك الأحزاب من أهل القرى والأعراب، فنقض بنو قريظة عهدهم مع رسول الله واشتد بذلك الكرب وزُلزل المؤمنون زلزالاً شديداً، ولكن الله نصر عبده وأعز جنده، وألقى الرعب فى قلوب المشركين، ولم تمض فترة وجيزة حتى كان جيش الإسلام بقيادة رسول الله يزحف إلى مكة، فنزل الحديبية وبعثت قريش رسلها إلى محمد ﷺ.

وها هو ذا عروة بن مسعود الثقفى رسولها يعود إليها، يصف حال محمد ﷺ وجنده بهذه العبارة:

«إنى قد جئت كسرى فى ملكه وقيصر فى ملكه والنجاشى فى ملكه وإنى والله ما رأيت ملكًا فى قومه قط مثل محمد فى أصحابه» كان محمد ﷺ فى منعة وقوة، ولكنه كان يعلن أنه لا يريد الحرب، ويقول: [لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها].

فلما جاء سهيل بن عمرو مفوضاً من قريش لعقد هدنة، يرجع بها محمد ﷺ وجيشه عن دخول مكة، كان من شروط هذه الهدنة شرط ظاهر الغبن، وهو أن محمداً ﷺ يسلم إلى قريش من لجأ إليه من المسلمين بغير إذن وليه، ولا يطلب تسليم من لجأ إلى قريش من أتباعه، ذلك الشرط أهاج أصحاب محمد ﷺ حتى إن عمر - رضي الله عنه - كان يذهب تارة إلى أبى بكر، وأخرى إلى رسول الله ﷺ يقول: ألسنا المسلمين؟ أليسوا المشركين؟ ألست رسول الله؟ فعلام نعطى الدَّنيَّة فى ديننا، فيقول محمد ﷺ: [أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعنى].

ويقول أبو بكر: أشهد أنه رسول الله.

فقبول المسلمين لهذا الشرط هو استسلام منهم لأمر لم يدركوا سره، وكان ذلك أعظم بلاء وامتحان لصبرهم.

وبينا هم على هذه المضاضة وقد فرغ رسول الله ﷺ من الجدل من مفوض قريش (سهيل بن عمرو) ولم يكتب العهد ولم يمض، جاءهم أبو جندل مستصرخًا يرسف فى قيوده، وأبو جندل هذا هو ابن سهيل بن عمرو نفسه، وقد انفلت إلى المسلمين من أيدى المشركين، فلما رأى سهيل ابنه قام إليه وأخذ بتلابيبه وقال: يا محمد، لقد لَجَّتِ القضية بينى وبينك (أى: فرغنا من المناقشة) قبل أن يأتيك هذا، قال محمد ﷺ: [صدقت] وأبو جندل ينادى: يا معشر المسلمين! أرد إلى المشركين يفتنوننى فى دينى؟

تصوروا ذلكم المقام، مقام محمد ﷺ وهو الشجاع وهو القوى الذى خرج من المدينة زاحفًا بجيش كبير تصوروه وهو يرى أقرب أصحابه يكاد يجنح إلى العصيان، ثم تصوروا لاجئًا يرسف فى القيود، وهو من أبناء الأعزة من قريش، يرسف فيها لمحمد ﷺ، ثم انظروا إليه ﷺ لا يحتال ولا يتردد، ولما يكتب ولما يمض، يقول لسهيل: « صدقت لقد لجت القضية ».

ويرد صاحبه باكيًا إلى أعدائه.

ذلك هو أعلى الأمثال فى الوفاء بعهد العدو، بل أرسل الله محمداً ﷺ بشريعة فى الوفاء، تجعل حق الميثاق فوق حق الدين نفسه، فقد جعل الدية للمشرك من قوم بينهم وبين المسلمين عهد، ولم يجعل دية المسلم من قوم ليس بينهم وبين المسلمين عهد.

وكذلك حرم نصرة المسلم للمسلم على من بيدهم ميثاق المسلمين من أهل الملل الأخرى، فقد جاء فى القرآن: ﴿ **وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ** ﴾ (الأنفال: ٧٢).

ذلك هو التقديس للعقود والمواثيق الذى يبقى أبد الدهر فيه الهدى للناس جميعًا، هذا وفاؤه لأعدائه إذا عاهدهم، والآن انظروا معى إلى وفائه لعدو قد قتل فى حربه:

كان مطعم بن عدى من أشراف قريش وكان رسول الله ﷺ حين رجع من الطائف، ولقى من ثقيف منكر القول والفعل، طلب جوار بعض رؤساء مكة، ليدخلها آمنًا على حياته فأبوا وقبل مطعم أن يدخلها فى حمايته، فلما كانت وقعة « بدر » بعد ذلك، ودارت الدائرة على قريش وقتل نفر من صناديدها، كان بين القتلى مُطعم بن عدى، وفيه يقول حسان بن ثابت، شاعر رسول الله ﷺ:

أيا عين فابكى سيد القوم واسفحى
بدمع وإن أنزفته فاسبكى الدّما

وبكى عظيم المشعرين كليهما
على الناس معروف له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحداً
من الناس أبقى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا
عبيدك ما لبَّى مُهِلٌّ وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها
وقحطان أو باقى بقية جُرهُما
لقالوا هو الموفى بجيرة جاره
وذمته يوماً إذا ما تذمما
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم
على مثله فيهم أعز وأكرما

يسمو إلى أعلى ما تصل إليه الرجولة والإنسانية الكاملة فيبكى المروءة فى عدو هو أحد صرعاه فى القتال؟ ذلكم هو الوفاء الذى علا فوق كل شيء.

ثم انظروا إلى وفائه للمشركين أيضاً: كان بين شروط هدنة الحديبية أن من شاء دخل فى عقد محمد ﷺ وعهده، ومن شاء دخل فى عقد قريش وعهدها، فدخلت خزاعة على شركها فى عهد محمد ﷺ، فلما نقضت قريش عهدها معه، ونصرت حليفتها بكراً عليها، ذهب عمرو بن سالم الخزاعى يطالب بالعهد ويطلب نصر حلفائه، فوقف على رسول الله ﷺ وهو فى المسجد ينشده ويقول:

* يا رب إنى ناشد محمدا *
* حلف أبينا وأبيه الأتلدا *
* فانصر هداك الله نصراً أعتدا *
* وادع عباد الله يأتوا مددا *
* فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا *
* إن قريشاً أخلفوك الموعدا *
* ونقضوا ميثاقك المؤكدا *

فكان ذلك الاعتداء على المشركين من حلفاء المسلمين سببًا فى الاتجاه إلى فتح مكة، فأسرع رسول الله ﷺ بالتجهيز والزحف عليها.

* * *

هذه أمثلة سقناها من وفاء بطل الإسلام ﷺ لأعداء الملة وقد عاهدهم أو ذكر لهم صنيعًا أو قبل مخالفتهم على غيرهم ووفاؤه لأصدقائه هو الذى نستنفد فيه القراطيس ولا ننتهى، فحياته هى البر والوفاء.

يقول عبد الله بن أبى الحمساء: بايعت محمداً ووعدته أن آتيه فى مكانه، فنسيت فذكرته بعد ثلاثة أيام فإذا هو فى مكانه، فلما رآنى لم يزد على أن قال: لقد شققت علىّ، أنا هنا منذ ثلاثة أيام أنتظرك، وكان ذلك فى الجاهلية قبل أن يبعث محمد ﷺ، وروت عائشة: أن عجوزاً جاءت إلى النبى ﷺ فقال لها: من أنت؟ فقالت: جثامة المزنية، فقال: أنت حسانة؟ كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبى أنت وأمى، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ قال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة وإن حسن العهد من الإيمان.

وبعد وقعة حنين وفيها كادت هوازن تقضى على الإسلام لولا ثباته ﷺ جاءه وفد منها، وهى الباغية المستكبرة، تطلب العفو عن أسراها، فماذا وجدت لتحرك به رحمته وتستثير شفقته؟ لا شىء، فليس أشد سواداً من ما فيها معه، ولكنها وجدت فى وفائه ملجأها ومنتهاها، فقال رجل منهم: يا محمد إن فى الحظائر مرضعاتك وحواضنك، ولو أنَّا ملحنا - أى: أرضعنا - للنعمان بن المنذر أو الحارث بن أبى شمر الغسانى ثم نزل منا مثل الذى نزلت رجونا عطفه وعائدته علينا، فقال ﷺ: «أمّا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم».

فقال المهاجرون والأنصار: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، وبذلك ردّ على هوازن آلاف الأسرى.

تلك هى النفس الوفية التى تكرم أمة ظالمة مغلوبة وفاءً للبن الذى رضعته فيها، فهل للناس وقد عفا فيهم أثر المعروف أن يتذكروا؟

ثم إليكم هذه الحادثة، فقلبوا تاريخ القادة فى العالم أحياء وأمواتًا ثم اذكروا محمداً ﷺ وصلوا عليه.

كان يتجهز فى المدينة لفتح مكة، وكان يخفى أمره، حتى على أبى بكر وعائشة، فلما أعلن العزم، سارع حاطب بن أبى بلتعة إلى امرأة استأجرها وكتب لها كتابًا إلى قريش وضعته فى شعرها وفتلت عليه قرونها، فعلم رسول الله ﷺ وأخذت المرأة فى الطريق، فلما سأل حاطبًا ما حمله على فعله؟ قال: يا رسول الله، أما والله إنى لمؤمن، ما غيرت ولا بدلت، ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم.

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، دعنى فلأضرب عنقه، فإن الرجل قد نافق، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك يا عمر؟ لعل الله اطلع على أصحاب بدر يوم بدر فقال: اعملوا ما شئم فقد غفرت لكم».

(رواه البخارى ومسلم)

فأنزل الله فى حاطب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ (الممتحنة: ١).

تأملوا فى هذا، إن وفاء محمد ﷺ لأصحابه الذين نصره بهم فى بدر جعله يرجو أن يكون الله قد غفر لحاطب حتى هذه الفعلة.

ثم كان رسول الله ﷺ فى مرض الموت، فلما اشتد به خرج إلى أصحابه، فصعد المنبر وقال: «يا معشر المهاجرين استوصوا بالأنصار خيرًا، فإن الناس يزيدون وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد، وإنهم كانوا عيبتى التى أويت إليها فأحسنوا إلى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم».

ثم انظروا أخيرًا إلى مقام الوفاء من نفسه وهو يقول يوم أحد حين أمر بدفن القتلى: «انظروا إلى عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام فإنهما كانا متصافيين فى الدنيا فاجعلوهما فى قبر واحد».

وذكر الإمام البخارى فى «الأدب المفرد»:

حدثنا أبو عاصم عن جعفر بن يحيى بن ثوبان قال: حدثنى عمارة عن ثوبان، قال: حدثنى أبو الطفيل قال: رأيت النبى ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة وأنا يومئذ غلام أحمل عضو البعير فأتته امرأة فبسط لها رداءها، قلت: من هذه؟ قيل: هذه أمه التى أرضعته، وذكر أن امرأة ركبت ناقة فنذرت إن نجاها الله عليها لتذبحنها، فلما أخبرت النبى ﷺ قال: «بئسما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها، ثم تنحرينها».

ذلكم هو الوفاء الذى نحن فى أشد الحاجة إليه، ولن يستقيم أمر العالم حتى يتذوقه الناس وحتى يؤمنوا به إيمان محمد ﷺ وأصحابه.

* * *

٣٣٠- وفاء المرأة لزوجها

إن الثبات على صدق الوفاء من أفضل ما تتحلى به النساء، ولهذا (درجة المرأة المسلمة على مواتاة زوجها ومصافاته، واستخلاص نفسها له، واحتمال نبوة الطبع منه، وأكثر ما كان صفاء نفسها، وسماح خلقها وعذوبة طبعها، إذا استحال الدهر بالرجل فرزأه فى ماله، أو نكبه فى قوته، أو بدله بكرم المنصب، وروعه السلطان، أعرافا من السجن، وأصفادا من الحديد.

بل لقد كان وفاؤها له بعد عفاء أثره، وامحاء خبره، عديل وفائها له وهى بين أفياء نعمته، وأكناف داره، وكان إيثار الإسلام له بعد حدادها عليه أربعة أشهر وعشرة أيام، لا تتجمل فى أثنائها، ولا تزدان، ولا تفارق داره إلى دار أبيها سنة من سنن هذه الوفاء، وآية من آياته.

لذلك كانت المرأة المسلمة ترى الوفاء لزوجها بعد الموت، أثر مما تراه لأبيها وأمها وذوى قرابتها، فكانت تؤثر فضائله، وتذكر شمائله فى كل موطن ومقام، بل ربما عرض ذكره وهى بين خليفته من بعده، فلا تتحرج فى ذكر فضائله وتفضيله إن كانت ترى الفضل له).

ومن حديث ذلك أن أسماء بنت عميس كانت لجعفر بن أبى طالب، ثم لأبى بكر من بعده، ثم خلفهما على رضي الله عنه، فتفاخر مرة ولداها محمد بن جعفر ومحمد بن أبى بكر، كل يقول: «أنا أكرم منك، وأبى خير من أبيك» فقال لها على: «اقضى بينهما يا أسماء» قالت: «ما رأيت شابا من العرب خيراً من جعفر، ولا رأيت كهلا خيراً من أبى بكر» فقال على: «ما تركت لنا شيئًا، ولو قلت غير الذى قلت لمقتك!».

فقالت أسماء: «إن ثلاثا أنت أقلهم لخيار».

وأوصى أبو بكر رضي الله عنه أن تغسله أسماء بنت عميس رضي الله عنها، ففعلت وكانت صائمة، فسألت من حضر من المهاجرين: وقالت: «إنى صائمة، وهذا يوم شديد البرد، فهل علىَّ من غُسل؟» فقالوا: «لا» وكان أبو بكر رضي الله عنه قد عزم عليها لما أفطرت، وقال: «هو أقوى

لك» فذكرت يمينه في آخر النهار، فدعت بماء، فشربت، وقالت: «والله لا أتبعه اليوم حنثًا».

ومن ذلك أيضًا ما روى من أن النساء قمن (حين رجع رسول الله ﷺ من أحد يسألن الناس عن أهليهن، فلم يخبرن حتى أتين رسول الله ﷺ، فلا تسأله واحدة إلا أخبرها، فجاءته حمنة بنت جحش، فقال: «يا حمنة، احتسبي أخاك عبد الله بن جحش» قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله، وغفر له، ثم قال: «يا حمنة، احتسبي خالك حمزة بن عبد المطلب» قالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحمه الله، وغفر له» ثم قال: «يا حمنة احتسبي زوجك مصعب بن عمير» فقالت: «يا حرباه».

قال النبي ﷺ: «إن للمرأة لشعبة من الرجل ما هي له في شيء».

(رواه ابن ماجه وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه ٣٤٧)

ولعمرك إن في قول رسول الله ﷺ لبلاغًا لما أوثرت المرأة به، وأبرت فيه من فرط الحنو على زوجها، وفضل الوفاء له بعد موته، ولما تسور المجرمون الفسقة على أمير البررة، وقتيل الفجرة، عثمان رضي الله عنه وتبادره بالسيوف، ألقت زوجته «نائلة بنت الفرافصة» بنفسها عليه حتى تكون له وقاءه من الموت، فلم يرع القتلة الآثمة حرمتها، وضربوه بالسيف ضربة انتظمت أصابعها، ففصلتها عن يدها، ونفذت إليه فجندلته، ثم ذبحوه رضي الله عنه.

(الدر المنثور في طبقات ربات الخدور/ صـ٥١٧)

ولما خطبها أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه أبت، وقالت: «والله لا قعد أحد مني مقعد عثمان أبدًا».

(السير ٧/ ٣٤٣)

ومع أن رغبة الأيم عن الزواج، وكراهيتها له، واعتكافها دونه، لم يكن من بادئ الإسلام في شيء، فقد قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ﴾ (النور: ٣٢).

وعن جابر عن أم مبشر الأنصارية: أن النبي ﷺ خطب أم مبشر بنت البراء بن معرور فقالت: إني اشترطت لزوجي ألا أتزوج بعده، فقال النبي ﷺ: «إن هذا لا يصلح».

ومع الرخصة لهن في النكاح والتوسعة عليهن في أمره - فإن كثيرًا من الأيامى أنفسهن أن يتبدلن ببعولتهن زوجًا آخر، وفاء لهم وإبقاء على ذكراهم، بل أملاً أن تمتد الزوجية بينهم في الدار الآخرة.

فقد كان مما بشر به الإسلام المرأة الصالحة، أن المؤمن إذا دخل الجنة، ألحق به

أزواجـه، قـال تعـالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ (الرعـد: ٢٣) فيجمعهم الله في الجنات منعمين، يتكئون في ظلالها مسرورين فرحين: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ (يس: ٥٦) ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (الزخرف: ٧٠).

وكان من آيات وفاء بعض الصالحات لأزواجهن بعد موتهم إمساكهن عن الزواج، لا لغرض إلا ليكنَّ زوجات لهن في الجنة.

فعن ميمون بن مهران قال: خطب معاوية بن أبي سفيان ﷺ أم الدرداء، فـأبت أن تزوجه، وقالت: سمعت أبا الدرداء يقول: قال رسول الله ﷺ: «المرأة في آخر أزواجها، أو قال: لآخر أزواجها».

انظر المطالب العالية (١٦٧٣) والحديث صححه الألباني في الصحيحة (١٢٨١)

وعن عكرمة: «أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام، وكان شديداً عليها، فأتت أباها، فشكت ذلك إليه، فقال: «يا بنية اصبري، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح، ثم مات عنها، فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة».

(الصحيحة للألباني (٣/ ٢٧٦) والتذكرة للقرطبي صـ٥٧٦)

وعن حذيفة ﷺ أنه قال لزوجته: «إن شئت أن تكوني زوجتي في الجنة، فلا تزوجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا».

(رواه البيهقي في سننه ٧/ ٦٩، ٧٠)

وعن جبير بن نفير، عن أم الدرداء، أنها قالت لأبي الدرداء: «إنك خطبتني إلى أبوي في الدنيا، فأنكحوك، وأنا أخطبك إلى نفسك في الآخرة» قال: «فلا تنكحين بعدي» فخطبها معاوية، فأخبرته بالذي كان، فقال: «عليك بالصيام».

(سير أعلام النبلاء: ٤/ ٢٧٨)

وقال الأصمعي: (خرج سليمان بن عبد الملك ومعه سليمان بن المهلب بن أبي صفرة من دمشق متنزهين، فمرا بالجبانة، وإذا امرأة جالسة على قبر تبكي، فهبت الريح، فرفعت البرقع عن وجهها، فكأنها غمامة غلت شمسًا، فوقفنا متعجبين ننظر إليها، فقال لها ابن المهلب: «يا أمة هل لك في أمير المؤمنين بعلاً؟» فنظرت إليهما ثم نظرت إلى القبر وقالت:

فـإن تسـألاني عن هواى فـإنه
بملحـود هذا القبـر يا فـتيـان
وإنى لأستحيـه والتـراب بيننا
كـما كنت أستحيـه وهو يرانى

فانصرفنا ونحن متعجبون).

(الدر المنثور صـ٤٦٥، ٤٦٦)

وأخيـراً: هذا مثل للزوجة المسلمة الفاضلة ينبغى لكل مسلمة أن تجعله نصب عينها.

-٣٣١

إن فاطمة بنت أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان كان لأبيها - يوم تزوجت - السلطان الأعظم على الشام والعراق والحجاز واليمن وإيران والسند وقفقاسيا والقريم وما وراء النهر إلى نجارا وجنوة شرقًا، وعلى مصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب والأقصى وإسبانيا غرباً، ولم تكن فاطمة بنت الخليفة الأعظم فحسب، بل كانت كذلك أخت أربعة من فحول خلفاء الإسلام وهم: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك، وكانت فيما بين ذلك زوجة أعظم خليفة عرفه الإسلام بعد خلفاء الصدر الأول، وهو أمير المؤمنين «عمر بن عبد العزيز»

بنت الخليفة، والخليفة جدها
أخت الخلائف والخليفة زوجها

وهذه السيدة التى كانت بنت خليفة، وزوجة خليفة، وأخت أربعة من الخلفاء، خرجت من بيت أبيها إلى بيت زوجها يوم زفت إليه وهى مثقلة بأثمن ما تملكه امرأة على وجه الأرض من الحلى والمجوهرات، ويقال: إن من هذه الحلى قرطى اللذين اشتهرا فى التاريخ، وتغنى بهما الشعراء، وكانا وحدهما يساويان كنزاً.

(البداية والنهاية ٩/ ٦٧)

ومن فضول القول أن أشير إلى أن عروس عمر بن عبد العزيز كانت فى بيت أبيها تعيش فى نعمة لا تعلو عليها عيشة امرأة أخرى فى الدنيا لذلك العهد، ولو أنها استمرت فى بيت زوجها تعيش كما كانت تعيش قبل ذلك لتملأ كرشها فى كل يوم، وفى كل ساعة بأدسم المأكولات وأندرها وأغلاها، وتنعم نفسها بكل أنواع النعيم الذى عرفه البشر، لاستطاعت

ذلك، . . . إلا أن الخليفة الأعظم عمر بن عبد العزيز اختار - فى الوقت الذى كان فيه أعظم ملوك الأرض - أن تكون نفقة بيته بضعة دراهم فى اليوم.

(البداية والنهاية ٩/ ١٩٨)

ورضيت بذلك زوجة الخليفة التى كانت بنت خليفة وأخت أربعة من الخلفاء فكانت مغتبطة بذلك لأنها تذوقت لذة القناعة، وتمتعت بحلاوة الاعتدال، فصارت هذه اللذة وهذه الحلاوة أطيب لها وأرضى لنفسها من كل ما كانت تعرفه من قبل ذلك من صنوف البذخ وألوان الترف، بل اقترح عليها زوجها أن تترفع عن عقلية الطفولة، فتخرج عن هذه الألاعيب وهذه السفاسف التى كانت تبهرج بها أذنها وعنقها وشعرها ومعصميها، مما لا يسمن ولا يغنى من جوع، ولو بيع لأشبع ثمنه بطون شعب برجاله ونسائه وأطفاله، فاستجابت له، واستراحت من أثقال الحلى والمجوهرات واللآلئ والدر التى حملتها معها من بيت أبيها، فبعث بذلك كله إلى بيت مال المسلمين.

وتوفى عقب ذلك أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، ولم يخلف لزوجته وأولاده شيئًا، فجاءها أمين بيت مال المسلمين، وقال لها: «إن مجوهراتك يا سيدتى لا تزال كما هى، وإنى اعتبرتها أمانة لك، وحفظتها لذلك اليوم، وقد جئت أستأذنك فى إحضارها».

فأجابته بأنها وهبتها لبيت مال المسلمين طاعة لأمير المؤمنين، ثم قالت: «وما كنت لأطيعه حيًّا، وأعصيه ميتًا».

وأبت أن تسترد من مالها الحلال الموروث ما يساوى الملايين الكثيرة، فى الوقت الذى كانت محتاجة فيه إلى دريهمات، وبذلك كتب الله لها الخلود، وها نحن نتحدث عن شرف معدنها ورفيع منزلتها بعد عصور وعصور، رحمها الله وأعلى مقامها فى جنات النعيم).

(مقدمة أداب الزفاف فى السنة المطهرة للألبانى صـ٨٤ - ٨٨)

* * *

٣٣٢- صدق الوفاء للزوجة

لقد تركت السيدة خديجة - رضي الله عنها - فى حياة النبى ﷺ أعظم الأثر، فلم يكن عجبًا أن يمتلئ بحبها هذا الامتلاء وأن يفى لذكراها أجمل الوفاء، وأن تفيض عواطفه كلما ذكرها بالحمد والثناء.

ومن صور وفائه ﷺ أنه كان بعد وفاة خديجة دائم الذكر لها والحنين إليها، يترحم عليها ويتحدث بأيامها، ويبرُّ صواحبها، ويتهلل لمن يراه من أهلها، حتى إن عائشة - ﵂ - كانت تغار منها بعد وفاتها، وتغضب حين يذكرها النبى أو يثنى عليها.

روى مسلم عن عائشة قالت: ما غرت على نساء النبى ﷺ إلا على خديجة، وإنى لم أدركها، قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: [أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة].

قالت: فأغضبته يومًا فقلت: خديجة! فقال رسول الله ﷺ: «إنى رزقت حبها».

وروى الإمام أحمد عن عائشة قالت: كان النبى ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها بأحسن الثناء، قالت: فغرت يومًا فقلت: ما أكثر ما تذكرها!... قد أبدلك الله خيرًا منها...! قال: «ما أبدلنى الله خيرًا منها، وقد آمنت بى إذ كفر بى الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس، ورزقنى الله ولدها إذ حرمنى أولاد النساء...!».

وكانت تستأذن عليه هالة بنت خويلد - أخت خديجة - فيهش لها وترتاح نفسه، لأن صوتها يذكره بصوت الحبيبة الغائبة خديجة، وجاءته ذات يوم امرأة عجوز من صويحبات خديجة فصار يسألها عن أحوالها وما صارت إليه، ولما خرجت قالت له عائشة: تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟! فقال: «إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان.

(رواه الحاكم والبيهقى فى شعب الإيمان)

* * *

٣٣٣- قصة أروع من الخيال

وتلخيص معناها أن النعمان كان قد جعل له يومين: يوم بؤس، من صادفه فيه قتله وأرداه، ويوم نعيم، من لقيه فيه أحسن إليه وأغناه، وكان هذا الطائى قد رماه حادث دهره بسهام فاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئًا لصبيته وصغاره، فبينما هو كذلك إذ صادفه النعمان فى يوم بؤسه، فلما رآه الطائى علم أنه مقتول، وأن دمه مطلول، فقال: حيا الله الملك، إن لى صبية صغاراً وأهلاً جياعًا، وقد أرقت ماء وجهى فى حصول شىء من البلغة لهم، وقد أقدمنى سوء الحظ على الملك فى هذا اليوم العبوس، وقد قربت

من مقر الصبية والأهل، وهم على شفا تلف من الطوى، ولن يتفاوت الحال فى قتلى بين أول النهار وآخره، فإذا رأى الملك أن يأذن لى فى أن أوصل إليهم هذا القوت وأوصى بهم أهل المروءة من الحى لئلا يهلكوا ضياعًا، ثم أعود إلى الملك وأسلم نفسى لنفاذ أمره.

فلما سمع النعمان صورة ما قاله وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع أطفاله رق له ورثى لحاله، غير أنه قال له: لا آذن لك حتى يضمنك رجل معنا، فإن لم ترجع قتلناه، وكان شريك بن عدى بن شرحبيل نديم النعمان معه، فالتفت الطائى إلى شريك وقال له:

يا شريك بن عدى
ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف
عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار
وافتقار وسقام
يا أخا كل كريم
أنت من قوم كرام
يا أخا النعمان جُد لى
بضمان والتزام
ولك الله بأنى
راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدى: أصلح الله الملك على ضمانه، فمر الطائى مسرعًا وصار النعمان يقول لشريك: إن صدر النهار قد ولى، ولم يرجع، وشريك يقول: ليس للملك علىَّ سبيل حتى يأتى المساء، قال النعمان لشريك: قد جاء وقتك ثُمَّ، قم فتأهب للقتل، فقال شريك: هذا شخص قد لاح مقبلا، وأرجو أن يكون الطائى، فإن لم يكن فأمر الملك ممتثل، قال: فبينما هم كذلك وإذا بالطائى قد اشتد عدوه فى سيره مسرعًا حتى وصل، فقال: خشيت أن ينقضى النهار قبل وصولى، ثم وقف قائمًا وقال: أيها الملك مر بأمرك، فأطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال: والله ما رأيت أعجب منكما، أما أنت يا طائى فما تركت لأحد فى الوفاء مقامًا يقوم فيه ولا ذكرًا يفتخر به، وأما أنت يا شريك فما تركت

لكريم سماحة يذكر بها فى الكرماء، فلا أكون أنا ألأم الثلاثة، ألا وإنى قد رفعت يوم بؤسى عن الناس ونقضت عادتى كرامة لوفاء الطائى وكرم شريك، فقال الطائى:

ولقد دعتنى للخلاف عشيرتى

فعددت قولهمو من الإضلال

إنى امرؤ منى الوفاء سجية

وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان: ما حملك على الوفاء وفيه إتلاف نفسك، فقال: دينى، فمن لا وفاء فيه لا دين له، فأحسن إليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرمًا إلى أهله وأناله ما تمناه.

* * *

٢٣٤- الوفاء فى حقوق الأخوة والصحبة

إن عقد رابطة بين شخصين كعقد النكاح بين الزوجين وكما يقتضى النكاح حقوقًا يجب الوفاء بها قيامًا بحق النكاح فكذا عقد الأخوة فلأخيك عليك حق الإخلاص والوفاء.

ومعنى الوفاء فى حق الأخوة: الثبات على الحب وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه، فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع قبل الموت حبط العمل وضاع السعى، ولذلك قال ﷺ فى السبعة الذين يظلهم الله فى ظله: «ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه».

(متفق عليه)

وقال بعضهم: قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى حال الحياة، فمن الوفاء للأخ: مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه والمتعلقين به ومراعاتهم أوقع فى قلب الصديق من مراعاة الأخ فى نفسه، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر، إذ لا يدل على خصلة الشفقة والحب إلا انتقالها وتجاوزها من المحبوب إلى كل من يتعلق به، ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة شمت به الشيطان، فإنه لا يحسد متعاونين على برٍّ، كما يحسد متآخيين فى الله ومتحابين فيه، فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما، قال الله تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٥٣).

ويقال: ما تواخى اثنان فى الله فتفرق بينهما إلا بذنب يرتكبه أحدهما.

وقال ابن المبارك: ألذ الأشياء مجالسة الإخوان، والانقلاب إلى كفاية والمودة الدائمة هى التى تكون فى الله، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض.

ومن ثمرات المودة فى الله ألا تكون مع حسد فى دين ودنيا، كيف يحسده وكل ما هو لأخيه فإليه ترجع فائدته؟ وبه وصف الله تعالى المحبين فى الله فقال سبحانه: ﴿ **وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ** ﴾ (الحشر: ٩).

ووجود الحاجة هو الحسد.

قال بزرجمهر: أى الأشياء أحق أن يستأنس إليه؟ قلت: الزمان الصالح والعمل بالخير دو الود الوفى بالإخاء الموفق فى الدين والسلطان ذو الرحمة والعدل.

ومن الوفاء ألا يتغير حاله فى التواضع مع أخيه وإن ارتفع شأنه واتسعت ولايته وعظم جاهه، فالترفع على الإخوان بما يتجدد من الأحوال لؤم، قال الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا

من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه فقال: يا بنى: لا تصحب من الناس إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت مرتبته لم يرتفع عليك.

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ فيما يخالف الحق فى أمر يتعلق بالدين، بل الوفاء له المخالفة، فقد كان الشافعى - رحمه الله - آخى محمد بن عبد الحكم، وكان يقربه ويقبل عليه ويقول: ما يقيمنى بمصر غيره، فاعتل محمد فعاده الشافعى رحمه الله فقال:

مرض الحبيب فعدته

فمرضت من حذرى عليه

وأتى الحبيب يعودنى

فبرئت من نظرى إليه

وظن الناس لصدق مودتهما أنه يفوض أمر حلقته إليه بعد وفاته.

فقيل للشافعى فى علته التى مات فيها: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم - وهو عند رأسه - ليومئ إليه فقال الشافعى: سبحان الله! أيشك فى هذا أبو يعقوب البويطى؟ فانكسر لها محمد ومال أصحابه إلى البويطى، مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطى أفضل وأقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعى لله وللمسلمين وترك المداهنة وآثر رضا الله تعالى.

فلما توفى الشافعى انقلب محمد بن عبد الحكم عن مذهبه ورجع إلى مذهب أبيه، ودرس كتب مالك - رحمه الله - وهو من كبار أصحاب مالك، وآثر البويطى الزهد والخمول ولم يعجبه الجمع والجلوس فى الحلقة واشتغل بالعبادة، وصنف كتاب الأم الذى ينسب الآن إلى الربيع بن سليمان ويعرف به، وإنما صنفه البويطى، ولكن لم يذكر نفسه فيه ولم ينسبه إلى نفسه فزاد الربيع فيه وأظهره.

والمقصود أن الوفاء بالمحبة من تمامها النصح لله.

قال الأحنف: الإخاء جوهرة رقيقة إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات، فاحرسها بالكظم حتى تعتذر إلى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير.

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء:

أن تكون شديد الجزع من المفارقة، نفور الطبع عن أسبابها، كما قيل:

وجدت مصيبات الزمان جميعها

سوى فرقة الأحباب هيِّنة الخطب

وأنشد ابن عيينة هذا البيت وقال: لقد عهدت أقوامًا فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إلى أنّ حسرتهم ذهبت من قلبى.

ومن الوفاء: ألا يسمع بلاغات الناس على صديقه ولا سيما من يظهر أولاً أنه محب لصديقه - كيلا يتهم - ثم يلقى الكلام عرضًا وينقل عن الصديق ما يوغر القلب، فذلك من دقائق الحيل فى التضريب.

ومن لم يحترز منه لم تدم مودته أصلاً.

قال واحد لحكيم: قد جئت خاطبًا لمودتك، قال: إن جعلت مهرها ثلاثًا فعلت، قال: وما هى؟ قال: لا تسمع على بلاغة ولا تخالفنى فى أمرى ولا توطئنى عشوة.

ومن الوفاء: ألا يصادق عدو صديقه، قال الشافعى - رحمه الله: إذا أطاع صديقك عدوك فقد اشتركا فى عداوتك.

* * *

٣٣٥- الدين والوفاء به

عن ابن الزبير قال: [لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت إلى جنبه فقال: يا بني، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا سأقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همي لدَيني، أفترى ديننا يبقى من مالنا شيء؟ يا بني بعْ ما لنا فاقض ديني، فأوصى بالثلث وثلث الثلث إلى عبد الله، فإن فضل من مالنا بعد قضاء الدين شيء فثلث لولدك.

قال هشام: وكان بعض ولد عبد الله قد وازى بعض بني الزبير خبيب وعباد، وله يومئذ تسع بنات، قال عبد الله: فجعل يوصيني بدَينه ويقول: يا بني إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي، قال: فوالله ما دريت ما عنى حتى قلت: يا أبه! من مولاك؟! قال: الله - عز وجل - قال: فوالله ما وقعت في كربة من دَينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه فيقضيه، قال: وقُتل الزبير ولم يدع ديناراً ولا درهمًا إلا أرضين بالغابة وداراً بالمدينة وداراً بالبصرة وداراً بالكوفة وداراً بمصر، قال: وإنما كان الذي عليه أن الرجل يجيء بالمال فيستودعه، فيقول الزبير: لا، ولكن هو سلف، إني أخشى عليه الضيعة، وما ولي إمارة قط ولا جباية ولا خراجًا ولا شيئًا إلا أن يكون في غزو مع النبي ﷺ أو مع أبي بكر وعمر وعثمان، فحسبت دَينه فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف، فلقي حكيم بن حزام الأسدي عبد الله فقال: يا بن أخي، كم على أخي من الدين؟ فكتمه وقال: مائة ألف، فقال حكيم: ما أرى أموالكم تتسع لهذه! فقال عبد الله: أفرأيت إن كان ألفي ألف ومائتي ألف! قال: ما أراكم تطيقون هذا، فإن عجزتم عن شيء فاستعينوا بي.

وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف، فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف، وقال: من كان له على الزبير دين فليأتنا بالغابة، فأتاه عبد الله بن جعفر، وكان له على الزبير أربعمائة ألف، فقال لابن الزبير: إن شئت تركتها لكم، قال: لا، قال: فاقطعوا لي قطعة، قال: لك من ههنا إلى ههنا، قال: فباعه لقضاء دينه، قال: وبقي منها أربعة أسهم ونصف، فقال المنذر بن الزبير: قد أخذت سهمًا بمائة ألف، وقال عمرو بن عثمان: قد أخذت سهمًا بمائة ألف، وقال ابن ربيعة: قد أخذت سهما بمائة ألف، فقال معاوية: كم بقي؟ قال: سهم ونصف، قال: قد أخذته بمائة وخمسين ألفًا، قال: وباع ابن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه، قال بنو الزبير: اقسم بيننا

ميراثنا، قال: لا والله! حتى أنادى بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادى بالموسم، فلما مضت أربع سنين قسم بينهم، فكان للزبير أربع نسوة، قال: فرفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائة ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف».

* * *

٢٣٦- وفاء النبى إبراهيم عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ (النجم: ٣٧).

وفى حديث أبى ذر عن النبى ﷺ: «إن الله تعالى أنزل على إبراهيم عشر صحائف وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف».

(رواه أبو نعيم وابن حبان)

وللمفسرين فى «الذى وفى» عشرة أقوال:

أحدها: أنه وفَّى عمل يومه بأربع ركعات فى أول النهار.

والثانى: أنه وفى فى كلمات كان يقولها، روى سهل بن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذى وفى؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلما أمسى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ (الروم: ١٧)» وختم الآية.

والثالث: أنه وفى الطاعة فيما فعل بابنه.

والرابع: أنه وفى ربه جميع شرائع الإسلام.

والخامس: أنه وفى ما أمر به من تبليغ الرسالة

والسادس: أنه عمل بما أمر به.

والسابع: أنه وفى بتبليغ هذه الآيات، وهى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ (النجم: ٣٨) وما بعدها.

والثامن: وفى شأن المناسك.

والتاسع: أنه عاهد ألا يسأل مخلوقًا شيئًا، فلما قذف فى النار قال له جبريل: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، فوفى بما عاهد.

والعاشر: أنه أدى الأمانة، ولا شك أن حذف المفعول يطلع على إعجاز بليغ للقرآن الكريم.

٣٣٧- وفاء إسماعيل عليه السلام

وقد مدح الله سبحانه سيدنا إسماعيل عليه السلام فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ (مريم: ٥٤).

وقد جاء في بعض الأخبار أنه وعد رجلاً أن يقيم له بمكان، فغاب عنه حولاً، فلما جاءه قال له: ما برحت من مكانك؟ فقال: لا والله ما كنت لأخلف موعدي!.

وقيل: غاب عنه اثني عشر يوماً، وعن مقاتل: ثلاثة أيام.

على أن وفاء إسماعيل مع أبيه أبلغ، ناهيك في صدقه أنه وعد أباه الصبر على الذبح بقوله: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢).

فصبر ووفى، ولا يبعد أن يكون ذلك إشارة إلى هذا الوعد والصدق فيه من أعظم ما يتصور.

* * *

٣٣٨- وفاء الصديق ﷺ

لقد أتم أبو بكر الصديق - ﷺ - الوفاء الغالي لله سبحانه وتعالى في حياته وعقيدته وعبادته، وأتم الوفاء أيضاً لرسول الله ﷺ، ولشريعته سبحانه وتعالى.

ووفاؤه - ﷺ - صفحات مشرقة تسجل في تاريخ الإنسانية، وتاريخ العظماء على الدهور.

ومن هذه الصفحات المشرقة نذكر وفاءه للنبي ﷺ بعد وفاته وحين تمم بعثة أسامة ابن زيد وسلمه قيادة الجيش بعد أن عرف نيّة النبي ﷺ بتسليمه الراية.

ومن مثل الوفاء ما ذكر في كتب الصحاح:

عن جابر بن عبد الله - ﷺ - قال: قال رسول الله ﷺ: «لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا].

فلم يجئ مال البحرين حتى قُبض النبي ﷺ، فلما جاء مال البحرين أمر أبو بكر الصديق - ﷺ - فنادى: من كان له عند رسول الله ﷺ عدَة أو دين فليأتنا، فأتيته وقلت له: إن النبي ﷺ قال لي كذا وكذا، فحثى له حثية فعددتها، فإذا هي خمسمائة، فقال لي: خذ مثليها.

٣٣٩- وفاء عثمان رضي الله عنه

كتب عثمان - رضي الله عنه - إلى عماله وولاته عقب توليته الخلافة هذا الكتاب: أما بعد فإن الله خلق الخلق بالحق خذوا الحق وأعطوا الحق، والأمانة الأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها، فتكونوا شركاء من بعدكم، الوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم ولا المعاهد، فإن الله خصم من ظلمهم.

* * *

٣٤٠- يسلخ حيا

قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد - الفاطميون - وصلبوه على السنة، سمعت الدارقطني يذكره ويبكي، ويقول: كان يقول وهو يسلخ: ﴿ **كَانَ ذَٰلِكَ فِى الْكِتَابِ مَسْطُورًا** ﴾ (الإسراء: ٥٨).

قال أبو الفرج بن الفرج: أقام جوهر - القائد - لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغني أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهماً وفيه تسعة.

قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرمي العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الألوهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديًّا فسلخه.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسه، حتى بلغ الوجه، وكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر، فرحمه السلاخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه، فقضى عليه.

وأخبرني الثقة أنه كان إماماً في الحديث والفقه، صائم الدهر كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان يسمع من جسده قراءة القرآن.

(سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٤٨)

* * *

٣٤١- حقوق

قال موسى بن عقبة: لما ولى عياض بن غنم قدم عليه نفر من أهل بيته يطلبون صلته فلقيهم بالبشر وأنزلهم، وأكرمهم، فأقاموا أيامًا ثم كلموه فى الصلة وأخبروه بما لقوه من المشقة رجاء صلته، فأعطى كل رجل منهم عشرة دنانير وكانوا خمسة فردوها وسخطوا ونالوا منه، فقال: أى بنى عم، والله ما أنكر قرابتكم ولا حقكم ولا بعد شقتكم، ولكن والله ما حصلت إلى ما وصلتكم به إلى البيبع خادمى وببيع ما لا غنى لى عنه فاعذرونى، قالوا: والله ما عذرك الله، فإنك والى نصف الشام، وتعطى الرجل منا ما جهده أن يبلغه إلى أهله؟ فتأمروننى أسرق مال الله؟.

فوالله لأن أشق بالمنشار أحب إلى من أن أخون فلسًا أو أن أتعدى، قالوا: قد عذرناك فى ذات يدك فولنا أعمالا نؤدى ما يؤدى الناس إليك ونصيب من المنفعة ما يصيبون، وأنت تعرف حالنا وإنا ليس نعدو ما جعلت لنا، قال: والله إنى لأعرفكم بالفضل والخير ولكن يبلغ عمر أنى وليت نفرًا من قومى فيلومنى، قالوا: فقد ولاك أبو عبيدة وأنت منه فى القرابة بحيث أنت فانفذ ذلك عمر، فلو وليتنا لأنفذه.

قال: إنى لست عند عمر كأبى عبيدة، فمضوا لائمين له.

(صفة الصفوة ١/ ٦٦٩)

* * *

٣٤٢- امرأة ماتت من خشية الله

وكانت بعض النساء الصالحات المتعبدات، وكانت بديعة الحسن فائقة الجمال، فسمع عنها وعن جمالها الساحر، رجل من الموسرين الأثرياء، فوقعت فى نفسه، ورغب فى الزواج بها، وكانت تخطب كثيرًا للزواج، فتأبى وترفض!!، فاشتد الأمر على الرجل الموسر، ولم يدر ماذا يصنع؟!! ثم إنه بلغه أنها تريد السفر إلى مكة، لحج بيت الله الحرام، فاشترى ذلك الرجل الموسر قافلة من الإبل، قوامها ثلاثمائة بعير، ونادى فى الناس: من أراد الذهاب إلى الحج، فليستأجر بعيرًا من فلان!! فاستأجرت المرأة منه بعيرًا لتخرج إلى الحج.

وخرجت القافلة بعد حين متجهة إلى بيت الله الحرام، فلما أصبحوا فى آخر الليل، وتوغلوا فى الصحراء، وهدأت العيون، وغطى الظلام المكان، ونام جميع أفراد القافلة،

اقترب ذلك الرجل الموسر من تلك المرأة الصالحة، ثم قال لها: إما أن تزوجينى نفسك، وإما غير ذلك - يعنى وإلا فعلت بك الفاحشة رغمًا عنك - فقالت له: ويحك!! اتق الله!! فقال لها: ما هو إلا ما تسمعين!!، والله ما أنا بصاحب قوافل، ولا خرجت إلا من أجلك!! فلما خافت على نفسها أن يغتصبها بالقوة، قالت له: ويحك!! انظر هل بقى من الرجال عين لم تنم؟! فقال لها: لا!!، لقد ناموا كلهم!!، فقالت له والدموع تنحدر من عينها: فهل نامت عين رب العالمين؟!.

ثم شهقت شهقة خرت بعدها ميتة، وخر الرجل مغشيًّا عليه، فلما أفاق قال: ويحى، قتلت نفسًا ولم أبلغ شهوتى.

(روضة المحبين لابن القيم)

* * *

٣٤٣- ألب أرسلان

فى عام ٤٦٣هـ سار ملك الروم أرمانوس إلى بلاد المسلمين بمائتى ألف مقاتل على أقل تقدير للمؤرخين، و يضم هذا الجيش الكثيف أخلاطًا من الروم، والفرنجة، والروس، والصرب، والأرمن والبوشناق، واتخذ طريقه إلى العراق، وقد أقطع بطارقته الأرض حتى بغداد، وعيَّن له نائبًا على بغداد قبل أن يسير، واستوصى نائبه بالخليفة خيرًا، فقال له: «ارفق بهذا الشيخ فإنه صاحبنا» وقد عزم أرمانوس أن يبيد الإسلام وأهله، وإذا انتهى من العراق وخراسان مال على الشام وأهله ميلة واحدة، فأباد المسلمين فيها أيضًا.

خرج أرمانوس من القسطنطينية متجهًا نحو الشرق، فوصل إلى ملازكرد فى شرقى تركيا اليوم، على مقربة من بحيرة وان، وأتى الخبر إلى ألب أرسلان السلطان السلجوقى، وهو فى أذربيجان، وقد عاد من حلب فلم يتمكن من جمع الجند لبعده عن مقر حكمه، ولقرب العدو منه، فسار بمن معه، وهم خمسة عشر ألفًا، للقاء العدو، متوكلاً على الله، وقال: «إننى أقاتل محتسبًا صابرًا، فإن سلمت فنعمة من الله تعالى، وإن كانت الشهادة فإن ابنى ملكشاه ولى عهدى».

وجد فى السير، وأرسل مقدمته أمامه، فالتفت عند مدينة خلاط بمقدمة الروس، وكان عددهم عشرة آلاف فهزم الروس، بإذن الله، وأسر قائدهم.

واقترب الجمعان بعضهما من بعض، وأرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه

الهدنة، فقد خافه لكثرة من معه إذ يعادل جند ملك الروم خمسة عشر مثلاً من المسلمين، غير إن ملك الروم قد أخذته العزة بالإثم، فقال: «لا هدنة إلا فى الرأى» - طهران اليوم - ولم يدر أنه يقدم قومه إلى الهاوية، فتأثر السلطان من هذا الرد المتغطرس فاستشار إمام جنده «أبا نصر محمد بن عبد الملك البخارى» فأجابه: «إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح، فالقهم اليوم الجمعة بعد الزوال، فى الساعة التى تكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر، والدعاء مقرون بالإجابة».

وكان يومها يوم الأربعاء لخمس بقين من ذى القعدة جاء يوم الجمعة، وحان وقت الزوال فصلى أبو نصر محمد بن عبد الملك البخارى بالناس، فبكى السلطان، وبكى الناس لبكائه، ودعا ودعوا معه بعد الصلاة، وقال لهم: «من أراد الانصراف فلينصرف، فما ههنا سلطان يأمر وينهى، وإنما جهاد ورغبة فى لقاء الله».

ثم ألقى القوس والنشاب، وأخذ السيف - ولبس البياض، وتحنط، وقال: «إن قتلت فهذا كفنى» وزحف إلى الروم، وزحفوا إليه، فلما اقترب منهم ترجل، ومرغ وجهه فى التراب، وبكى، وأكثر من الدعاء، وطلب النصر من الله، ثم ركب، وحمل على الروم، وحمل المسلمون حتى وصلوا إلى وسط الروم وحجز الغبار بينهم، وما هى إلا جولة حتى أنزل الله نصره، وهزم الروم، ومنحوا المسلمين أكتافهم، فقتلوا منهم خلقًا كثيراً حتى امتلأت الأرض بالجثث، وقدر عدد القتلى بمائة وخمسين ألف، أى أن كل مسلم قد قتل عشرة من الروم، ووقع ملك الروم أرمانوس وبطارقته جميعًا أسرى بأيدى المسلمين، وحمل أرمانوس إلى السلطان ألب أرسلان، فلما وقف بين يديه ضربه بيده ثلاث مقارع وقال: «لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل؟ قال: كل قبيح، قال: فما ظنك بى؟ قال: إما أن تقتل بعد أن تشهر بى فى بلادك، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء، وتعيدنى، قال: ما عزمت على غير العفو والفداء، فافتدى نفسه بمليون ونصف من الدنانير، فقام بين يدى السلطان وسقاه شربة من ماء، وقبَّل الأرض بين يديه، وقد ترك له السلطان عشرة آلاف دينار ليجهز بها، وأطلق معه جماعة من البطارقة الأسرى.

(رسائل إلى الشباب - محمود شاكر)

* * *

٣٤٤- شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروى

الإمام القدوة صاحب الحافظ الكبير شيخ خراسان، من ذرية صاحب النبى ﷺ أبى أيوب الأنصارى.، لما قدم السلطام ألب أرسلان هراة فى بعض قدماته، اجتمع مشايخ البلد، ورؤساؤه، ودخلوا على أبى إسماعيل، وسلموا عليه، وقالوا: ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج، ونسلم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك، وكانوا قد تواطئوا على أن حملوا معهم صنماً من نحاس صغيراً، وجعلوه فى المحراب تحت سجادة الشيخ، وخرجوا، وقام الشيخ إلى خلوته، ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصارى، وأنه مجسم، وأنه يترك فى محرابه صنمًا يزعم أن الله تعالى على صورته، وإن بعث السلطان الآن يجده، فعظم ذلك على السلطان، وبعث غلامًا وجماعة، فدخلوا وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم، فألقى الغلام الصنم، فبعث السلطان من أحضر الأنصارى، فأتى فرأى الصنم والعلماء، وقد اشتد غضب السلطان، فقال له السلطان: ما هذا؟ قال: صنم يعمل من الصفر شبه العلبة، قال: لست عن ذا أسألك، قال: فعم يسألنى السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا، وأنك تقول: إن الله تعالى على صورته، فقال شيخ الإسلام بصولة وصوت جهورى: سبحانك! هذا بهتان عظيم!! فوقع فى قلب السلطان أنهم كذبوا عليه، فأمر به فأخرج إلى داره مكرمًا، وقال لهم: أصدقونى، وهددهم، فقالوا: نحن فى يد هذا فى بلية من استيلائه علينا بالعامة، فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم، ونكل بهم، وصادرهم، وأخذ منهم وأهانهم، لأنهم أرادوا الكيد لشيخ الإسلام، فكاد الله لهم.

وقد كان ـ الشيخ ـ سيفًا مسلولاً على المتكلمين، له صوته وهيبته واستيلاء على النفوس ببلده، يعظمونه، ويتغالون فيه، ويبذلون أرواحهم فيما يؤمر به، كان عندهم أطوع وأرفع من السلطان بكثير، وكان طوداً راسيًا فى السنة لا يتزلزل ولا يلين ـ رحمه الله.

(سير أعلام النبلاء ١٨/ ٥٠٩، ٥١٢)

* * *

٣٤٥- فيمن ترك محبوبه حراما فبدل له حلالاً أو أعاضه الله خيرًا منه

تحت هذا العنوان كتب شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية: قال يحيى بن عامر التيمية: خرج رجل من الحى حاجًّا، فورد بعض المياه ليلاً، فإذا هو بامرأة ناشرة شعرها، فأعرض عنها، فقالت له: هلم إلىَّ، فلم تعرض عنى؟.

فقال: إنى أخاف الله رب العالمين، فتجلبت ثم قال: هبت والله مهابًا، إنى أولى من شركك فى الهيبة لمن أراد أن يتركك فى المعصية، ثم ولت فتبعها، فدخلت بعض خيام الأعراب، قال: فلما أصبحت أتيت رجلاً من القوم فسألته عنها، وقلت: فتاة صفتها كذا وكذا، فقال: هى والله ابنتى، فقلت: هل أنت مزوجنى بها؟ فقال: على الأكفاء، فقال: من أنت؟ فقلت: رجل من تيم الله، قال: كفو كريم، فما رمت حتى تزوجتها ودخلت بها، ثم قلت: جهزوها إلى قدومى من الحج، فلما قدمنا حملتها إلى الكوفة، وها هى ذى، ولى منها بنون وبنات.

وقال الحسين بن زيد: ولينا بديار مصر رجل فوجد على بعض أعماله، فحبسه وقيده، فأشرفت عليه ابنة الوالى فهويته، فكتبت إليه:

أيها الرامى بعينيـ
ـه وفى الطرف الحتوف
إن ترد وصلاً فقد أمـ
ـكنك الظبى الألوف

فأجابها الفتى:

إن ترينى زانى العيـ
ـنين فالفرج كفيف
ليس إلا النظر الفا
تر والشعر الظريف

فأجابته:

قد أردناك فألفيـ
ـناك إنسانًا كفيفًا

فتأبيت فلا زلـ
ـت لقيديك حليفًا

فأجابها:

ما تأبيت لأنى
كنت للظبى عيوفا
غير أنى خفت ربًّا
كان بى برًّا لطيفا

فذاع الشعر، وبلغت القصة الوالى، فدعا به فزوجها إياه، ودفعها إليه.

(روضة المحبين لابن القيم صـ٤٤٣)

* * *

٣٤٦- سمع من جسده القرآن

الإمام القدوة الشهيد: أبو بكر النابلسى:

قال أبو ذر الحافظ: سجنه بنو عبيد، وصلبوه على السنة، سمعت الدارقطنى يذكره ويبكى ويقول: كان يقول وهو يسلخ: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً﴾ (الإسراء: ٥٨).

قال ابن الجوزى: أقام جوهر القائد لابن تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسى، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمى فى الروم سهمًا وفينا تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمى العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الألوهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديًّا فسلخه.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفى: أخبرنى الثقة أن أبا بكر سُلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر، حى بلغ الصدر فرحمه السلاخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه، وأخبرنى الثقة أنه كان إمامًا فى الحديث والفقه، صائم الدهر، كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان يسمع من جسده قرآن كريم.

(السير ١٦/ ١٤٨، ١٤٩)

* * *

٣٤٧- كما تدين تدان

كان طارق بن زياد مولى لموسى بن نصير، وكان أميرًا على طنجة بأقصى المغرب، فبلغه اختلاف الفرنج واقتتالهم وكاتبه صاحب الجزيرة الخضراء ليمده على عدوه، فبادر طارق وعدى فى جنده، وهزم الفرنج، وافتتح قرطبة، وقتل صاحبها لزريق، وكتب بالنصر إلى مولاه، فحسده على الانفراد بهذا الفتح العظيم، وتوعده، وأمره ألا يتجاوز مكانه، وأسرع موسى بجيوشه وتلاقاه طارق، وقال: إنما أنا مولاك، وهذا الفتح لك، فأقام موسى بن نصير فى الأندلس سنتين يغزو ويغنم، وقبض على طارق، وأساء إليه، ثم استخلف على الأندلس ولده عبد العزيز بن موسى.

قال الذهبى عن موسى بن نصير: استخلف ابنه بأفريقية، وأخذ معه مائة من كبراء البربر، ومائة وعشرين من الملوك وأولادهم، فقدم مصر فى هيئة ما سمع بمثلها، فوصل العلماء والأشراف، وسار إلى الشام، فبلغه مرض الوليد، وكتب إليه سليمان يأمره بالتوقف، فما سمع منه، فآلى سليمان إن ظفر به ليصلبنه، وقدم قبل موت الوليد، فأخذ ما لا يحد من النفائس، ووضع باقيه فى بيت المال، وقومت المائدة بمائة ألف دينار.

وولى سليمان فأهانه، ووقف فى الحر - وكان سمينًا - فغشى عليه.

وبقى عمر بن عبد العزيز يتألم له، فقال سليمان: يا أبا حفص ما أظن إلا أننى خرجت من يمينى.

(السير ٤/ ٤٩٦)

* * *

٣٤٨- وفى السماء رزقكم

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرا منه:

قال الشيخ عبد القادر الجيلانى: أراد الله منى منفعة الخلق، فقد أسلم على يدى خمسمائة، وتاب على يدى أكثر من مائة ألف، وهذا خير كثير، وترد على الأثقال التى لو وضعت على الجبال تفسخت، فأضع جنبى على الأرض، وأقول: إن مع العسر يسرًا، ثم أرفع رأسى وقد انفرجت عنى، وقال: إن ولد لى ولد أخذته على يدى، وأقول: هذا ميت، فأخرجه من قلبى، فإذا مات لمن يؤثر عندى موته شيئًا.

قال عبد الرزاق ابن الشيخ: ولد لأبى تسعة وأربعون ولدًا، سبعة وعشرون ذكرًا، والباقى إناث.

(السير ٢٠/ ٤٤٧)

والجزاء من جنس العمل، يخرجهم من قلبه، فيورثه الله كثرة الأولاد، جزاء وفاقًا، ويمتع بهم، وتقر عينه بهم.

قال إبراهيم بن ديزيل: لما دعى عفان للمحنة، كنت آخذ بلجام حماره، فلما حضر عرض عليه القول فامتنع أن يجيب، فقيل له: يحبس عطاؤك، قال: وكان يعطى فى كل شهر ألف درهم، فقال: ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** ﴾ (الذاريات: ٢٢).

فلما رجع إلى داره عزله نساؤه ومن فى داره، قال: وكان فى داره نحو أربعين إنسانًا، فدق عليه داقٌ الباب، فدخل عليه رجل شبهته بسمان أو زيات ومعه كيس فيه ألف درهم، فقال: يا أبا عثمان ثبتك الله كما ثبت الدين، وهذا فى كل شهر.

(السير ١٠/ ٢٤٥، تاريخ بغداد ١٢/ ٢٧١، ٢٧٢)

* * *

٣٤٩- الغيرة على القرآن

حكى المبرد عن شيخه أبى عثمان المازنى أنه قصده بعض أهل الذمة ليقرأ عليه كتاب «سيبويه» وبذل له مائة دينار، فامتنع ورده، فقلت له: أترد هذا القدر مع شدة فاقتك؟ فقال: إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله، ولست أرى تمكين هذا الذمى منها غيرة على القرآن... فاتفق أن غنت جارية بحضرة الواثق بقول الحرجى:

أظلوم إن مصابكم رجلاً

أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف أهل مجلسه فى إعراب رجل، فمنهم من قال: هو نصب، وجعله اسم إن، ومنهم من رفعه على أنه خبرها، والجارية أصرت على النصب، وقالت: لقننى إياه كذلك شيخى أبو عثمان المازنى، فأمر الواثق بإحضاره إلى بين يديه، قال: فلما مثلت بين يديه قال: ممن الرجل؟ قلت: من بنى مازن، قال: أى الموازن؟ أمازن تيم أم مازن قيس أم مازن ربيعة؟ قلت: من مازن ربيعة، فكلمنى بكلام قومى فقال لى: با اسمك؟ وقومى يقلبون

الميم باءً والباء ميمًا، فكرهت أن أواجهك بلفظة مكر فقلت: بكر يا أمير المؤمنين، ففطن لما قصدته وأعجب به فقال: ما تقول فى قول الشاعر:

أظلوم إن مصابكم رجلاً
أهدى السلام تحية ظلم

أترفع رجلاً أم تنصبه؟ فقلت: الوجه النصب يا أمير المؤمنين، فقال: ولم ذلك؟ فقلت: هو بمنزلة قولك: إن ضربك زيدًا ظلم، فرجلا مفعول مصابكم ومنصوب به، والدليل عليه أن الكلام معلق إلى أن تقول: «ظلم» فتبسم، فاستحسنه الواثق وقال: هل لك من ولد؟ فقلت: نعم يا أمير المؤمنين بنية، قال: فما قالت لك عند مسيرك إلينا؟ قلت: أنشدت قول الأعشى:

أيا أبتا لا ترم عندنا
فإنا بخير إذا لم ترم
ترانا إذا أضمرتك البلا
د نجفى وتقطع منا الرحم

قال: فما قلت لها؟ قال: قلت قول جرير:

ثقى بالله ليس له شريك
ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: على النجاح إن شاء الله، ثم أمر لى بألف دينار، وردنى إلى البصرة مكرمًا، فقال أبو العباس المبرد: فلما عاد إلى البصرة قال لى: كيف رأيت يا أبا العباس؟ رددنا لله مائة دينار فعوضنا الله ألفًا.

(روضة المحبين صـ٤٥٤، ٤٥٥)

* * *

٣٥٠- معاذ الله أن نركب فى طلب حديث رسول الله ﷺ

قال يوسف بن أحمد الشيرازى فى «أربعين البلدان» له:

«لما رحلت إلى شيخنا رحلة الدنيا ومسند العصر أبى الوقت، قدر الله لى الوصول إليه فى آخر بلاد كرمان، فسلمت عليه وقبلته وجلست بين يديه، فقال لى: ما أقدمك هذه البلاد؟ قلت: كان قصدى إليك، ومعولى بعد الله عليك، وقد كتبت ما وقع إلى من

حديثك بقلمى، وسعيت إليك بقدمى لأدرك تركة أنفاسك وأحظى بعلو إسنادك، فقال: وفقك الله وإيانا لمرضاته، وجعل سعينا له، وقصدنا إليه، لو كنت عرفتنى حق معرفتى لما سلمت على ولا جلست بين يدى، ثم بكى بكاء طويلاً وأبكى من حضره، ثم قال: اللهم استرنا بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا، يا ولدى، تعلم أنى رحلت أيضًا لسماع «الصحيح» ماشيًا مع والدى من هراة إلى الداودى ببوشنج ولى دون عشر سنين، فكان والدى يضع على يدى حجرين، ويقول: احملهما، فكنت من خوفه أحفظهما بيدى، وأمشى وهو يتأملنى، فإذا رآنى قد عييت أمرنى أن ألقى حجرًا واحدًا، فألقى ويخف عنى، فأمشى إلى أن يتبين له تعبى، فيقول لى: هل عييت؟ فأخافه وأقول: لا، فيقول: لم تقصر فى المشى؟ فأسرع بين يديه ساعة ثم أعجز، فيأخذ الآخر فيلقيه، فأمشى حتى أعطب، فحينئذ كان يأخذنى ويحملنى، وكنا نلتقى جماعة الفلاحين وغيرهم، فيقولون: يا شيخ عيسى، ادفع إلينا هذا الطفل نركبه وإياك إلى بوشنج، فيقول: معاذ الله أن نركب فى طلب أحاديث رسول الله ﷺ بل نمشى، وإذا عجز أركبته على رأسى إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ ورجاء ثوابه، فكان ثمرة ذلك من حسن نيته أنى انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره ولم يبق من أقرانى أحد سواى، حتى صارت الوفود ترحل إلى من الأمطار، ثم أشار إلى صاحبنا عبد الباقى بن عبد الجبار الهروى أن يقدم لى حلواء، فقلت: يا سيدى، قراءتى لجزء أبى الجهم أحب إلى من أكل الحلواء، فتبسم وقال: إذا دخل الطعام خرج الكلام، وقدم لنا صحنًا فيه حلواء الفانيذ فأكلنا، وأخرجت الجزء، وسألته إحضار الأصل، فأحضره وقال: لا تخف ولا تحزن، فإنى قد تبرت ممن سمع على خلقًا كثيرًا، فسل الله السلامة، فقرأت الجزء وسررت به، وسير الله سماع «الصحيح» وغيره مرارًا، ولم أزل فى صحبته وخدمته إلى أن توفى ببغداد فى ليلة الثلاثاء من ذى الحجة».

(السير ٢٠/ ٣٠٧ - ٣٠٨)

* * *

نحيله على الله

قال أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى سنة ثلاثمائة يقول: كنت بمكة سنة أربعين ومائتين فرأيت خراسانيًا ينادى: معاشر الحاج من وجد هميانًا(*) فيه ألف دينار فرده علىَّ أضعف الله له الثواب قال: فقام إليه شيخ من أهل مكة كبير من موالى جعفر بن محمد فقال

له: يا خراسانى بلدنا فقير أهله شديد حاله، أيامه معدودة ومواسمه منتظرة، لعله يقع بيد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله له حلالاً يأخذه ويرده عليك، قال الخراسانى: فكم يريد؟

قال: العشر، مائة دينار، قال: لا أفعل ولكنا نحليه على الله عز وجل، قال: وافترقا.

قال ابن جرير: فوقع لى أن الشيخ صاحب القريحة هو الواجد للهميان، فاتبعته فكان كما ظننت فنزل إلى دار مستغلة خلفه الباب والمدخل فسمعته يقول: يا لبابة، قالت له: لبيك أبا غياث.

قال: وجدت صاحب الهميان ينادى عليه مطلقًا فقلت له: قيده بأن تجعل لواجده شيئًا، فقال: كم؟ فقلت: عشرة.

فقال: لا، لكنا نحيله على الله عز وجل، فأى شيء نعمل ولا بد لى من رده.

فقالت له: نقاسى الفقر معك منذ خمسين سنة ولك أربع بنات وأختان وأنا وأمى وأنت تاسع القوم، أشبعنا واكسنا ولعل الله عز وجل يغنيك فتعطيه أو يكافئه عنك ويقضيه.

فقال لها: لست أفعل ولا أحرق حشاشتى بعد ست وثمانين سنة، قال: ثم سكت القوم وانصرف، فلما أن كان من الغد على ساعات من النهار سمعت الخراسانى يقول: يا معاشر الحاج وفد الله من الحاضر والبادى، من وجد هميانًا فيه ألف دينار فليرده أضعف الله له الثواب.

قال: فقام إليه الشيخ فقال: يا خراسانى قد قلت لك بالأمس ونصحتك، وبلدنا والله فقير قليل الزرع والضرع، وقد قلت لك أن تدفع إلى واجده مائة دينار، فلعله أن يقع بيد رجل مؤمن يخاف الله عز وجل فامتنعت، فقل له عشرة دنانير منها فيرده عليك ويكون له فى العشرة الدنانير ستر وصيانة، قال: فقال له الخراسانى: لا نفعل، ولكن نحيله على الله عز وجل، قال: ثم افترقا.

قال الطبرى: فما اتبعت الشيخ ولا الخراسانى وجلست أكتب كتاب النسب للزبير بن بكار، فلما كان من الغد سمعت الخراسانى ينادى ذلك النداء بعينه، فقام إليه الشيخ فقال له: يا خراسانى قلت لك أول أمس العشر منه، وقلت لك أمس عشر العشر، أعط دينار عشر عشر العشر يشترى بنصف دينار قربة يستقى عليها للمقيمين بمكة بالأجرة وبنصف دينار شاة يحلبها ويجعل ذلك لعياله غداء، قال: لا نفعل، ولكن نحيله على الله عز وجل.

قال: فجذبه الشيخ وقال له: تعال فخذ هميانك ودعنى أنام الليل وأرحنا من محاسبتك، فقال له: امش بين يدىَّ، فمشى الشيخ وتبعه الخراسانى وتبعتهما، فدخل الشيخ، فما لبث أن خرج وقال: ادخل يا خراسانى فدخل ودخلت، فنبش تحت درجة له مزبلة فأخرج منها الهميان أسود من خرق كخاربة غلاظ فقال: هذا هميانك؟ فنظر إليه وقال: هذا هميانى، قال: ثم حل رأسه من شد وثيق ثم صب المال فى حجر نفسه وقلبه مراراً، وقال: هذه دنانيرنا، وأمسك فم الهميان بيده الشمال ورد المال ليده اليمنى فيه ثم شده شداً سهلا ووضعه على كتفه ثم أراد الخروج، فلما بلغ باب الدار رجع فقال للشيخ: يا شيخ مات أبى، رحمه الله، وترك من هذه ثلاثة آلاف دينار، فقال لى: أخرج ثلثها ففرقه على أحق الناس عندك، وبع رحلى واجعله نفقة لحجتك، ففعلت ذلك، وما وجدت من خراسان إلى ههنا رجلا أحق به منك، خذه بارك الله لك فيه، قال: ثم ولى وتركه.

قال: فوليت خلف الخراسانى فعدا أبو غياث فلحقنى وردنى وكان شيخًا مشدود الوسط بشريط معصب الحاجبين، ذكر أن له ستًّا وثمانين سنة، فقال لى: اجلس فقد رأيتك تتبعنى فى أول يوم وعرفت خبرنا بالأمس واليوم، سمعت أحمد بن يونس اليربوعى يقول: سمعت مالكًا يقول: سمعت نافعًا يقول: عن عبد الله بن عمر أن النبى ﷺ قال لعمر وعلى ﵄: «إذا أتاكما الله بهدية بلا مسألة ولا استشراف نفس فاقبلاها ولا ترداها على الله عز وجل» وهذه هدية من الله والهدية لمن حضر.

ثم قال: يا لبابة وفلانة، فصاح ببناته وأخواته وزوجته وأمها وقعد وأقعدونى فصرنا عشرة فحمل الهميان وقال: ابسطوا حجوركم فبسطت حجرى وما كان لهن قميص له حجر ليبسطوه، فمدوا أيديهم وأقبل يعد ديناراً ديناراً حتى إذا بلغ العاشرة إلى قال: ولك دينار حتى فرغ الهميان وكانت ألفًا فيها ألف فأصابنى مائة دينار، فداخلنى من سرور غناهم أشد مما داخلنى من سرور ضيافتى بالمائة دينار، فلما أردت الخروج قال لى: يا فتى، إنك مبارك، وما رأيت هذا المال قط ولا أقلته وإنى لأنصحك أنه حلال فاحتفظ به، واعلم أنى كنت أقوم فأصلى الغداة فى هذا القميص الخلق، ثم أنزعه فيصلين فيه واحدة واحدة ثم أكتسب إلى ما بين الظهر والعصر ثم أعود فى آخر النهار بما فتح الله عز وجل لى من أقط وتمر وكسيرات، ومن بقول نبذت ثم أنزعه فيتداولنه فيصلين فيه المغرب والعشاء الآخرة، فنفعهن الله بما أخذن ونفعنى وإياك بما أخذنا، ورحم صاحب المال فى قبره وأضعف ثواب الحامل للمال وشكر له.

قــال ابن جــرير : فودعته وكتبت بها العلم سنتين أتقوت بها وأشترى منها الورق، وأسافر وأعطى الأجرة، فلما كان بعد سنة ست وخمسين سألت عن الشيخ بمكة فقيل: إنه مات بعد ذلك بشهور، ووجدت بناته ملوكًا تحت ملوك، وماتت الأختان وأمهن، وكنت أنزل على أزواجهن وأولادهن فأحدثهم بذلك فيأنسون بى ويكرمونني، ولقد حدثني محمد بن حيان البجلي في سنة تسعين ومائتين أنه ما بقى منهم أحد.

فبارك الله لهم فيما صاروا إليه.

(صفة الصفوة ٢/ ٢٦٠ - ٢٦٤)

* * *

٣٥١- عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت

وقد قص أيضًا هذه القصة الشيخ محمد بن أبى بكر بن قوام الباسلى، وكان يوم قازان فى جملة من كان مع الشيخ تقى الدين ابن تيمية لما تكلم مع قازان، فحكى عن كلام شيخ الإسلام تقى الدين لقازان وشجاعته وجرأته عليه، وأنه قال لترجمانه: قل لقازان: أنت تزعم أنك مسلم ومعك مؤذنون وقاض وإمام وشيخ - على ما بلغنا - فغزوتنا، وبلغت بلادنا على ماذا؟ وأبوك وجدك هولاكو كانا كافريْن، وما غزوا بلاد الإسلام، بل عاهدوا قومنا، وأنت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت، قال: وجرت له مع قازان وقطلوا شاه وبولاى أنوب وشوب، قام ابن تيمية فيها كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله عز وجل، قال: وقرب إلى الجماعة طعام فأكلوا منه إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم وكله مما نهبتم من أغنام الناس، وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس، قال: ثم إن قازان طلب منه الدعاء فقال فى دعائه: اللهم إن كان هذا عبدك محمود إنما يقاتل لتكون كلمتك هى العليا، وليكون الدين كله لك، فانصره وأيده، وملكه البلاد والعباد، وإن كان إنما قام رياء وسمعة وطلبًا للدنيا، ولتكون كلمته هى العليا، وليذل الإسلام وأهله، فاخذله وزلزله، ودمره واقطع دبره، قال: وقازان يؤمِّن على دعائه، ويرفع يديه.

قال: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفًا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله، قال: فلما خرجنا من عنده قال له قاضى القضاة نجم الدين بن صرصرى: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك، والله لا نصحبك من هنا، فقال: وأنا والله لا أصحَبكم، قال: فانطلقا عصبة، وتأخر هو فى خاصة نفسه، ومعه جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواقين والأمراء من أصحاب قازان فأتوه

يتبركون بدعائه، وهو سائر إلى دمشق، وينظرون إليه، قال: والله ما وصل إلى دمشق إلا فى نحو ثلاثمائة فارس فى ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه فخرج عليهم جماعة من التتر، فشلحوهم عن آخرهم.

والجزاء من جنس العمل.

(البداية والنهاية ١٤/ ٩١، ٩٢)

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــوع	الصفحة
مقدمـــــــة	٥
١ - أبو حنيفة والزنديق	٧
٢ - «أسلم من فى الكنيسة على يديه»	٧
٣ - القوة الخفية	١٠
٤ - الوفاء العجيب	١٠
٥ - ستر الناس	١١
٦ - حفظ الفرج	١١
٧ - قمة الحلم	١٢
٨ - ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا﴾	١٢
٩ - الإمام الأعظم أبو حنيفة النعمان والزنادقة	١٣
١٠- ورقة التوت دليل على وجود الله	١٣
١١- فى كل شيء له آية	١٤
١٢- لا يركع إلا لله	١٤
١٣- إسلام قسيس	١٥
١٤- إسلام مشرك	١٥
١٥- الدين الحق	١٦
١٦- الرزاق لا ينسى أحداً	١٧
١٧- الرزق مقسوم	١٧
١٨- رزقك لا يأخذه غيرك	١٧
١٩- الرزاق هو الله	١٨
٢٠- طهر لفظ الجلالة «الله» فطهر الله قلبه	١٩
٢١- يدركك الرزق حيثما كنت	١٩
٢٢- رجل يسلم من الأفعى والعقرب	٢٠
٢٣- العفو الجميل	٢٠
٢٤- الحلم الجميل	٢٠
٢٥- العفو عند المقدرة	٢٠

الموضـــــــوع	الصفحة
٢٦- تأتى الأمانى على مقدار الرجال	٢٢
٢٧- قيمة حسن الخلق	٢٢
٢٨- (مهما طلبنا العزة فى غيره أذلنا الله) التواضـــع	٢٣
٢٩- (عدم الاضطراب والخوف) رباطة الجأش	٢٤
٣٠- (قصص الزواج) المرأة فتنة	٢٥
٣١- حديث المرأة قد يغرى أكثر من جمالها	٢٥
٣٢- الوصية الغالية	٢٦
٣٣- أب يخطب لابنته العالمة	٢٧
٣٤- زوجة مثالية عمياء بكماء صماء	٢٧
٣٥- المرأة الحزينة	٢٨
٣٦- نبل امرأة	٢٩
٣٧- لا تأذن فى بيته إلا بإذنه	٣٠
٣٨- (هكذا فليكن الزوج) الحلم مع كثرة دواعى الغضب	٣١
٣٩- حسن الخلق مع داعى النفور	٣١
٤٠- زواج ممنوع	٣٢
٤١- لا حبيب ألاعبه	٣٢
٤٢- (هذه تشكو زوجها) كعب بن سور وعمر	٣٣
٤٣- الأخلاق أساس اختيار الزوج	٣٤
٤٤- الزوج الكريم أفضل	٣٤
٤٥- الشباب أفضل من الكهول فى الزواج	٣٥
٤٦- الكذب الحلال!	٣٦
٤٧- (قصص العلماء والأمراء) الأمة خصم لك	٣٦

الموضـــــوع	الصفحة
٤٨- (إن أقوامًا غرهم ستر الله) خالد بن صفوان وعمر بن عبد العزيز	٣٧
٤٩- عبد الله بن مرزوق وأبو جعفر	٣٨
٥٠- حداد لا تحرقه النار	٣٨
٥١- مات لسماع آية فيها ذكر النار!!	٣٩
٥٢- إن مع العسر يسرًا	٤٠
٥٣- الإحسان إلى الأرملة والفقير	٤٢
٥٤- دع ما أنت فيه!!	٤٦
٥٥- تاب... ثم مات!!	٤٧
٥٦- ما ولدت النساء مثله!!	٤٧
٥٧- بم تلين القلوب؟!	٤٨
٥٨- الأجوبة المسكتة!!	٤٨
٥٩- شبيه يوسف!!	٥٠
٦٠- حسن أدب وحسن تعلم!!	٥٠
٦١- تحملة الفيلة مسيرة ثمانية أيام!!	٥١
٦٢- آية الإجماع	٥٢
٦٣- الشيخ الصغير	٥٣
٦٤- من تلاميذ الملائكة!!	٥٣
٦٥- المراقبة	٥٤
٦٦- لا تخف إلا من الله	٥٤
٦٧- أينام الله؟!	٥٥
٦٨- امرأة متوكلة	٥٥
٦٩- أين الله؟	٥٥
٧٠- خلق الذباب لإذلال الجبابرة	٥٦
٧٣- رأى الله منامًا	٥٧
٧٤- إلى متى تخدم الكلاب؟	٥٧
٧٥- علاج مرض البعد عن الله	٥٧
٧٦- علاج الهم	٥٨

الموضوع	الصفحة
٧٧- في النهي عن النفاق والكبر والرياء	٥٩
٧٨- مراكب الإيمان	٦٠
٧٩- أركان التوكل	٦١
٨٠- التوكل على الله	٦١
٨١- من أراد الله عزه فلا يذل	٦٢
٨٢- دينك لحمك ودمك	٦٢
٨٣- اللجوء إلى الله	٦٢
٨٤- الفزع إلى الله	٦٣
٨٥- أسأل الله أن يجريك	٦٤
٨٦- خشيت أن ينسوا الله	٦٤
٨٧- سمع كلام الله	٦٤
٨٨- مجد الله بين ملائكته	٦٤
٨٩- من جن خوفًا من الله	٦٥
٩٠- رجل يكلم الأسد	٦٥
٩١- قتله الله!!	٦٦
٩٢- مجابو الدعوة	٦٦
٩٣- (إنك لا تعدل في الرعية) ابن أبي ذئب وأبو جعفر	٦٦
٩٤- «سفيان الثوري والمهدي»	٦٧
٩٥ - سفيان قال للأمير: ملأت الأرض ظلمًا	٦٧
٩٦ - (إذا نامت الرعية في أمن نمت آمنا في قبرك) شبيب بن شيبة والمهدي	٦٨
٩٧ - من أخلاق المأمون	٦٨
٩٨ - ما لي وسعيد بن جبير	٦٩
٩٩ - عمرو بن عبيد والخليفة المنصور	٧٢
١٠٠- لم نكره الموت	٧٤
١٠١- يخرج من ظهر المبارك مبارك	٧٥
١٠٢- هل تلد الحية إلا حية؟!	٧٥

الموضوع | الصفحة

١٠٣- (المنصور وأحد رعيته)
النصيحة الخالصة ٧٧
١٠٤- نصيحة ٧٨
١٠٥- أعقل مجنون ٨٠
١٠٦- الأعرابى العابد الموحد والحجاج ٨٢
١٠٧- (بين الكيلانى والمقتفى)
هكذا الخطباء ٨٤
١٠٨- يعرف الله وهو ابن ثلاث سنين!! ٨٤
١٠٩- رحلة!! ٨٥
١١٠- بئس العبيد أنتم!! ٨٦
١١١- متى أوفق للعمل الصالح؟! ٨٧
١١٢- ثلاثون ألف دينار!! ٨٧
١١٣- يحرسه الأسد وهو يصلى!! ٨٨
١١٤- حول الحصاة إلى ذهب ٨٩
١١٥- مات الرجل من دعائه ٨٩
١١٦- الأقرع صاحب الشعر الجميل ٨٩
١١٧- قطع الله يد الظالم ٩٠
١١٨- مجاب الدعاء ٩٠
١١٩- أنا كنت غائبة فأين أنت يا رب؟ ٩٠
١٢٠- من للمظلوم سواك؟ ٩١
١٢١- عاقبة الظالمين ٩١
١٢٢- الدعاء المستجاب ٩٢
١٢٣- الداعى صاحب القلب السماوى ٩٢
١٢٤- الفرج بعد الشدة ٩٣
١٢٥- الفرج عند الكرب ٩٣
١٢٦- كاشف الكروب ٩٤
١٢٧- ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ ٩٥
١٢٨- ادعونى أستجب لكم ٩٦

الموضـــــوع	الصفحة

١٢٩- الدعوات الثلاث ٩٦
١٣٠- قتله بالدعاء ٩٧
١٣١- سهام الدعاء تصيب كبد السماء ٩٧
١٣٢- لماذا لا يستجيب الله لنا؟ ٩٨
١٣٣- أشد حبًا لله ٩٨
١٣٤- الولاء لله ولرسول الله ﷺ ٩٩
١٣٥- الفرسان تمشى على أمواج البحار ١٠٠
١٣٦- طعام وشراب وعلف
كرامات من السماء ١٠٠
١٣٧- عبروا البحر على أرجلهم ١٠١
١٣٨- الحمار الذى قام من الموت ١٠١
١٣٩- نجا بأعجوبة ١٠٢
١٤٠- يا رب احشرنى مع صاحب النقب ١٠٣
١٤١- النور الإلهى على رأسه الإخلاص ١٠٣
١٤٢- تواضعك خير من تجبرك ١٠٤
١٤٢- تواضعك خير من تجبرك ١٠٥
١٤٤- القرآن كلام الله غير مخلوق ١٠٥
١٤٥- (لقاء شعيب بن حرب وهارون الرشيد)
الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٠٦
١٤٦- وهكذا العلماء:
الإمام مالك وجعفر بن سليمان ١٠٧
١٤٧- ذكاء العلماء:
الإمام أبو حنيفة والمنصور ١٠٧
١٤٨- عالم أهل الشام مكحول ويزيد بن عبد الملك ١٠٧
١٤٩- العالم حطيط والحجاج ١٠٨
١٥٠- العابد صالح المرى والمهدى ١٠٨
١٥١- (بين الثقة العالم حماد بن سلمة ومحمد بن سليمان)
العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شىء ١٠٩

الموضـــــــــوع	الصفحة
١٥٢- الإمام الحسن البصرى والحجاج	١٠٩
١٥٣- (طاوس ابن نجيح) شيخ بألف شيخ	١١٠
١٥٤- سيد التابعين سعيد بن المسيب وهشام بن إسماعيل	١١١
١٥٥- الحاشية سبب الفساد	١١١
١٥٦- عزة العلماء	١١٢
١٥٧- عالم بألف عالم	١١٢
١٥٨- الرحمة	١١٣
١٥٩- ادعوا لأمى	١١٥
١٦٠- الصابر والشاكر فى الجنة	١١٥
١٦١- أغلى دموع	١١٦
١٦٢- أهل القرآن	١١٦
١٦٣- كيف لو نظر الخالق إلينا؟	١١٧
١٦٤- تتنزل على قبره رحمة تعم جميع أهل المقبرة	١١٨
١٦٥- من أين لنا الفراغ؟!	١١٨
١٦٦- وهم المعلم... وصدق التلميذ!!	١١٩
١٦٧- خمسة أخطاء!!	١١٩
١٦٨- إذا خشع جبار الأرض... رحمه جبار السماء!!	١٢٠
١٦٩- حسنة واحدة!!	١٢٠
١٧٠- خمس خصال!!	١٢١
١٧١- جارية الملك!!	١٢٢
١٧٢- من أنا؟ وما أنا؟!	١٢٤
١٧٣- سقاهم الله وأنا أنظر	١٢٥
١٧٤- من أفسد أهلى؟	١٢٥
١٧٥- الحسين يدعو على قاتله	١٢٦
١٧٦- قطع الله صوته	١٢٧
١٧٧- أقسمت عليك بحبك لى	١٢٧

الموضـــــوع الصفحة

١٧٨- أفعال الكرام ١٢٨
١٧٩- إن الله من وراء المعونة ١٢٩
١٨٠- الإيثار ١٣٠
١٨١- أكله الأسد وأنا أنظر ١٣٠
١٨٢- لا تذكرنى، ولا تأتنى ١٣٢
١٨٣- وأنت ممن يشنع علينا ١٣٢
١٨٤- اسألك فرجًا قريبًا ١٣٣
١٨٥- الرجل الصالح ١٣٣
١٨٦- الحيلة لا تجوز عليك ١٣٤
١٨٧- عظ نفسك بنفسك ١٣٥
١٨٨- العروس الشهيدة ١٣٥
١٨٩- نحن فى الفقر سواء ١٣٦
١٩٠- ليتك تسلم ١٣٦
١٩١- أصحاب الحديث... مفاليس ١٣٧
١٩٢- يقوم الليل وهو صبى ١٣٧
١٩٣- نحن بطالون ١٣٨
١٩٤- الفتنة ١٣٨
١٩٥- إن المحامد جياع ١٣٩
١٩٦- الأخوة فى الله وحقوقها ١٤٠
١٩٧- البلاء ١٤٠
١٩٨- آداب طالب العلم ١٤٠
١٩٩- هكذا فعل الكريم ١٤١
٢٠٠- هيبة العلماء ١٤٢
٢٠١- العفة ١٤٢
٢٠٢- أومثلى يجترئ أن يسألك الجنة ١٤٣
٢٠٣- الخوف ١٤٣
٢٠٤- ليس لهذا خلقت ١٤٤
٢٠٥- يفرك أذن الأسد ١٤٤

الموضـــــــــوع	الصفحة
٢٠٦- كيف ترى نفسك	١٤٥
٢٠٧- واسوء صباحاه	١٤٥
٢٠٨- من أحبك	١٤٦
٢٠٩- حتى الصغار	١٤٦
٢١٠- يقاتل بعد خروج أمعائه	١٤٧
٢١١- من الذى أغضب الجليل حتى حلف؟	١٤٧
٢١٢- كذاك الفخر يا همم الرجال	١٤٨
٢١٣- شغلنى ذكر النار عن النوم والشهوات	١٤٩
٢١٤- اللهم احشرنى فى حواصل الطير	١٤٩
٢١٥- دعنى أعيش سعيداً	١٥٠
٢١٦- عمر بن الخطاب وغنائم المسلمين	١٥١
٢١٧- منتهى العدل	١٥٣
٢١٨- ما زالت مواقف العدل تتلألأ	١٥٣
٢١٩- أمير المؤمنين ينام على الحصى!!	١٥٤
٢٢٠- وما زالت مواقف العدل	١٥٤
٢٢١- وما زالت مواقف العدل تتعدد	١٥٥
٢٢٢- الخليفة الراشد	١٥٦
٢٢٣- الحسن البصرى وعمر بن عبد العزيز «إن استقمت استقاموا»	١٥٦
٢٢٤- أحد الرعية وعمر بن عبد العزيز «ويحك ردد على كلامك»	١٥٧
٢٢٥- إقامة الحدود	١٥٧
٢٢٦- بلا عتاب	١٥٨
٢٢٧- النهى عن المنكر	١٥٨
٢٢٨- يغير المنكر عن طريق الأذان	١٥٩
٢٢٩- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر	١٦١
٢٣٠- أمدينة الرسول أم مدينة فرعون؟!	١٦٢
٢٣١- تغيير المنكر	١٦٤

الموضـــــــــوع الصفحة

٢٣٢- زاهد ١٦٥
٢٣٣- أترى الله يعطيك وينسانى؟ ١٦٦
٢٣٤- لا يجمع الله لعبد أمنين ولا خوفين ١٦٦
٢٣٥- زراعة همة ١٦٧
٢٣٦- ذكاء الشافعى ١٦٨
٢٣٧- يا رفيق ارفق بنا ١٦٨
٢٣٨- توبة جار لأحمد بن حنبل ١٦٩
٢٣٩- أصحاب الغار ١٧٠
٢٤٠- يأمر بقتل مائة وخمسين رجلاً ١٧١
٢٤١- ماشطة ابنة فرعون ١٧١
٢٤٢- صلاح النفس ١٧٢
٢٤٣- سفيان الثورى... وماء زمزم ١٧٣
٢٤٤- جارية خالد الوراق ١٧٤
٢٤٥- الربيع بن خيثم... ونار الحداد ١٧٤
٢٤٦- توبة الأمير حميد بن جابر ١٧٥
٢٤٧- الصغار الكبار ١٧٥
٢٤٨- أغث الملهوف ١٧٦
٢٤٩- أعيتنا الحيل فيك ١٧٧
٢٥٠- أبو الوقت ١٧٧
٢٥١- أقسم على ربك يا براء ١٧٨
٢٥٢- من كانت الدنيا همه ١٧٩
٢٥٣- تحمل أذى الجار ١٨٠
٢٥٤- التاجر الصادق ١٨٠
٢٥٥- نصر المظلوم ١٨٠
٢٥٦- الحلم سيد الأخلاق ١٨١
٢٥٧- السخاء ١٨١
٢٥٨- الحلم الكامل ١٨١
٢٥٩- التجمل مع وجود داعى النفرة ١٨٢

الموضـــــــوع	الصفحة

٢٦٠- ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ١٨٢
٢٦١- الناس ثلاثة ١٨٣
٢٦٢- الناس سواسية ١٨٣
٢٦٣- لتبيننه ولا تكتمونه
(قصص الموت والآخرة) ١٨٣
٢٦٤- خاتمة حنظلة بن أبى عامر رضي الله عنه ١٨٤
٢٦٥- خاتمة عمرو بن ثابت رضي الله عنه ١٨٤
٢٦٦- خاتمة الذى وطئ بعرجته الجنة ١٨٤
٢٦٧- خاتمة أنس بن النضر عم أنس بن مالك ١٨٥
٢٦٨- يدعو إلى الله وهو بين الصفين ١٨٥
٢٦٩- بين النووى والظاهر بيبرس ١٨٧
٢٧٠- من حفظ الله ١٨٧
٢٧١- بكاء ابن عمار ١٨٨
٢٧٢- يسأله عن أهله ١٨٩
٢٧٣- زوجتان أمينتان!! ١٨٩
٢٧٤- قصة رزق الله للغلام ١٩٠
٢٧٥- اجعل ضفائرى لجام فرس فى سبيل الله ١٩١
٢٧٦- مات وإصبعه إلى السماء ١٩١
٢٧٧- وإليك هذه الخاتمة المنيرة
خاتمة شهداء يوم الرجيع ١٩٢
٢٧٨- خاتمة جعفر الطيار رضي الله عنه ١٩٤
٢٧٩- خاتمة حرام بن ملحان رضي الله عنه ١٩٥
٢٨٠- خاتمة سعد بن الربيع الأنصارى رضي الله عنه ١٩٥
٢٨١- خاتمة أحد الأعراب الأصحاب ١٩٦
٢٨٢- خاتمة معاوية رضي الله عنه ١٩٦
٢٨٣-خاتمة التابعين ومن بعدهم
خاتمة عبد الملك بن مروان ١٩٧
٢٨٤- خاتمة عمر بن عبد العزيز ١٩٧

الموضـــــوع	الصفحة

٢٨٥- خاتمة معاذ رضي الله عنه ١٩٨
٢٨٦- خاتمة سلمان رضي الله عنه ١٩٨
٢٨٧- خاتمة بلال رضي الله عنه ١٩٨
٢٨٨- خاتمة عبد الله بن المبارك ١٩٩
٢٨٩- خاتمة ابن المنكدر ١٩٩
٢٩٠- خاتمة عامر بن عبد القيس ١٩٩
٢٩١- خاتمة فضيل بن عياض ١٩٩
٢٩٢- خاتمة أبى سعيد الخراز
ما نسيته فأذكره ١٩٩
٢٩٣- خاتمة الجنيد ٢٠٠
٢٩٤- خاتمة صخر بن الحارث
الذى أصابنى من طبيبى ٢٠٠
٢٩٥- خاتمة سرى السقطى ٢٠٠
٢٩٦- خاتمة الشبلى ٢٠١
٢٩٧- خاتمة أحمد بن خضرويه ٢٠١
٢٩٨- خاتمة الشافعى ٢٠١
٢٩٩- خاتمة أبى على الروذبارى ٢٠٢
٣٠٠- خاتمة ربعى بن حراش وأخويه ٢٠٢
٣٠١- خاتمة الحفاظ الذى حفظ خمسمائة ألف حديث
أبو زرعة الرازى ٢٠٣
٣٠٢- خاتمة غلام ٢٠٣
٣٠٣- اجلدوا غاسلة الميتات ١٠٤
٣٠٤- خاتمة وراد العجلى ٢٠٤
٣٠٥- التقاء الأموات والأحياء ٢٠٥
٣٠٦- لقيت رءوفًا رحيمًا ٢٠٥
٣٠٧- أفضل الأعمال الاستغفار ٢٠٥
٣٠٨- مع أئمة الهدى فى جنة عدن ٢٠٦
٣٠٩- ذاك فى الدرجات العلى ٢٠٦

الموضـــــوع	الصفحة
٣١٠- وما تراه يكون من الكريم	٢٠٦
٣١١- الثعبان الأقرع ينتظر تارك الصلاة	٢٠٦
٣١٢- جعلنى فى المقربين	٢٠٧
٣١٣- طول الحزن رفع درجة الحسن فى الجنة	٢٠٧
٣١٤- عزلة الناس إذا كثر الفساد	٢٠٧
٣١٥- رفعت فى عليين	٢٠٧
٣١٦- كيف وجدت طعم الموت	٢٠٨
٣١٧- أعقبنى فرحًا دائمًا	٢٠٨
٣١٨- فى روضة من رياض الجنة	٢٠٩
٣١٩- كسا موضع السجود نوراً	٢٠٩
٣٢٠- عمر بن عبد العزيز يبكى	٢١٠
٣٢١- عجائب فى طلب العلم	٢١١
٣٢٢- ما قرت لى معك عين	٢١٢
٣٢٣- توبة جارية من بنات الكبار	٢١٢
٣٢٤- العجب من صبر أم عقيل	٢١٣
٣٢٥- لا يفتى ومالك فى المدينة	٢١٤
٣٢٦- الفتيا والفقه	٢١٥
٣٢٧- ثلاثة بثلاثمائة	٢١٦
٣٢٨- الداعية الصابرة على البلاء!!	٢١٧
٣٢٩- قصص الأوفياء	
وفاة المصطفى ﷺ	٢١٧
٣٣٠- وفاء المرأة لزوجها	٢٢٣
٣٣٢- صدق الوفاء للزوجة	٢٢٧
٣٣٣- قصة أروع من الخيال	٢٢٨
٣٣٤- الوفاء فى حقوق الأخوة والصحبة	٢٣٠
٣٣٥- الدين والوفاء به	٢٣٣
٣٣٦- وفاء النبى إبراهيم عليه السلام	٢٣٤
٣٣٧- وفاء إسماعيل عليه السلام	٢٣٥

الموضــــــــوع	الصفحة

٣٣٨- وفاء الصديق رضي الله عنه ٢٣٥
٣٣٩- وفاء عثمان رضي الله عنه ٢٣٦
٣٤٠- يسلخ حيا ٢٣٦
٣٤١- حقوق ٢٣٧
٣٤٢- امرأة ماتت من خشية الله ٢٣٧
٣٤٣- ألب أرسلان ٢٣٨
٣٤٤- شيخ الإسلام أبو إسماعيل الهروى ٢٤٠
٣٤٥- فيمن ترك محبوبه حراما فبدل له
حلالاً أو أعاضه الله خيراً منه ٢٤١
٣٤٦- سمع من جسده القرآن ٢٤٢
٣٤٧- كما تدين تدان ٢٤٣
٣٤٨- وفى السماء رزقكم ٢٤٣
٣٤٩- الغيرة على القرآن ٢٤٤
٣٥٠- معاذ الله أن نركب فى طلب حديث رسول الله ﷺ ٢٤٥
نحيله على الله ٢٤٦
٣٥١- عاهدت فغدرت وقلت فما وفيت ٢٤٩
فهرس الموضوعات ٢٥١